



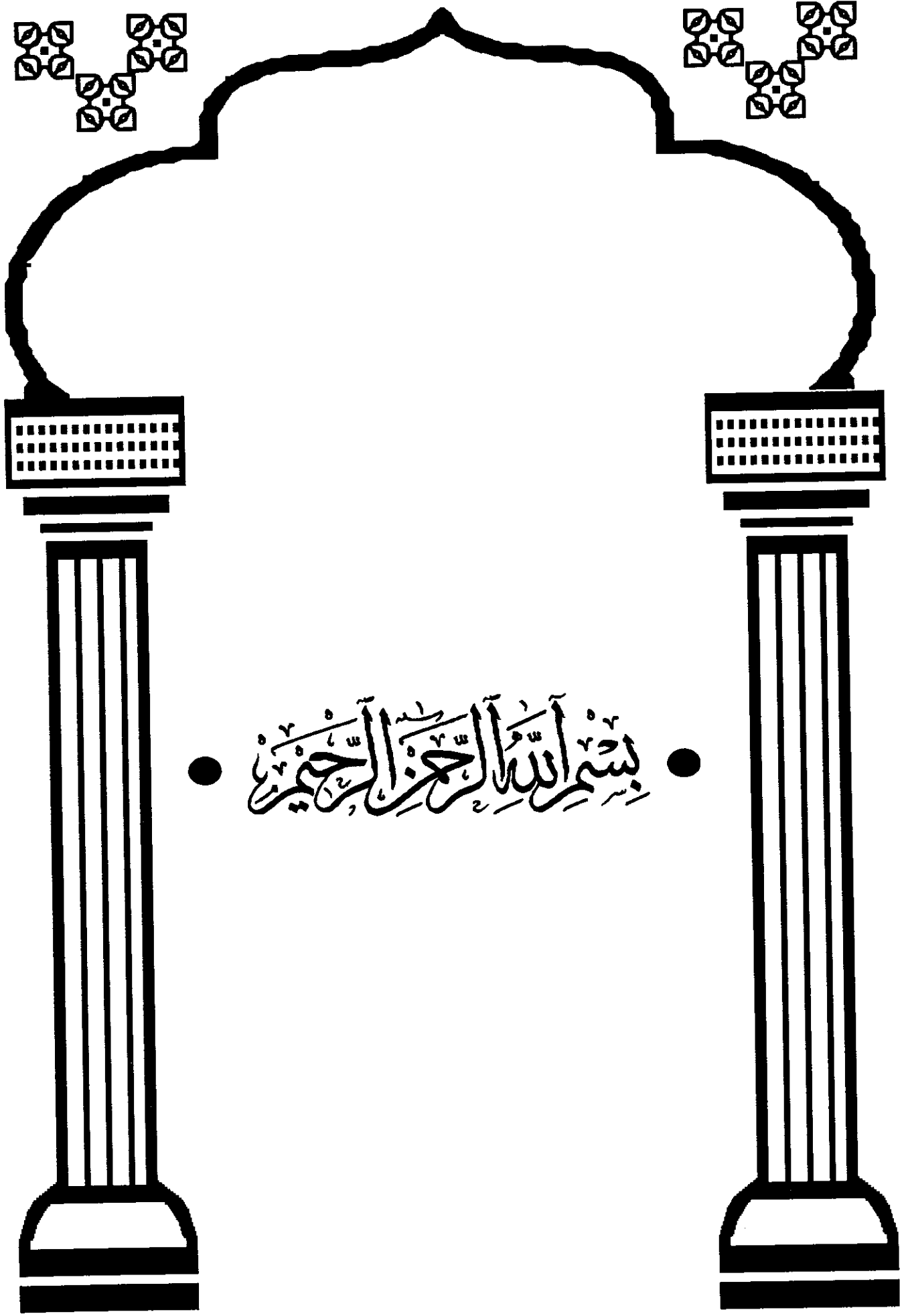
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

الدعوة الإسلامية في مصر إلى نهاية خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه —

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
سعود بن نايف بن سعود العلي

إشراف
الاستاذ الدكتور / مصطفى أحمد أبو سمك



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ^(١) ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد بدأ نور الدعوة الإسلامية يشع من أم القرى منذ أن نزل جبريل - عليه السلام - على نبينا محمد - ﷺ - موحياً إليه بآيات القرآن الكريم الأمرة بالتبليغ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤) .

وما إن جاءه الأمر بالتبليغ من السماء حتى سار - ﷺ - يبلغ هذا الدين متحملاً في سبيل الله أشد أنواع التعذيب ، وأقسى درجات المواجهة ، ولم يفت ذلك في عضده ، ولم يفل من عزمته ، وإنما ظل رسول الله ﷺ يبلغ الدعوة بكل وسائلها حتى اختاره الله إلى جواره وهو عنه راض .

(١) كان النبي ص يستفتح بها : مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة

والخطبة ١/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، رقم الحديث (٤٦) .

(٢) المدثر / ١ - ٢ .

(٣) الشعراء / ٢١٤ .

(٤) الحجر / ٩٤ .

- ب -

ثم سار من بعده - ﷺ - أولئك الأصحاب الذين تخرجوا في مدرسته ، فحملوا الأمانة ، وقاموا بأدائها على أكمل وجه ، فصاروا إسلاما يمشي على الأرض ، ومن ثم أقبل الناس يعتنقونه بفضل الله ثم بفضل من حملوه فشع نور دعوتهم في الأرجاء ، وأضاء القلوب ، ودخل الدين إلى القلوب قبل أن تدخل الجيوش البلاد ، كيف لا ؟ والرسول - ﷺ - يثنى على ذلك الزمن وأولئك الرجال بقوله : « خير القرون قرني .. »^(١).

ومن تلك البلاد التي دخلها نور الإسلام مصر ، وهي موضوع بحثي والذي أرجو أن أوفق في إبراز الجهود الدعوية في أرجائها تحت عنوان [الدعوة الإسلامية في مصر إلى نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه] .

(١) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ٤١١/٢ ، رقم الحديث (٢١٠) .

أسباب اختيار الموضوع :

أ - إن موضوع البحث الذي أشرت إلى عنوانه يمثل جزءاً من تاريخ الدعوة الإسلامية ، ولم يحظ بالتسجيل المتكامل في بحث واحد ، ومن ثم بقيت الدراسة الدعوية في مصر خلال الثلاثة عقود الأولى منذ بعثة نبينا محمد - ﷺ - وإلى نهاية خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، تبيانا لوسائل الدعوة ، وأساليبها ، وعوامل نجاحها ... منثورة الأجزاء في بطون المراجع ، فأردت أن أجمعها في موضع واحد محققا بذلك إحدى غايات البحث العلمي التي أشار إليها أهل الاختصاص فيه .

ب - إلقاء الضوء على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين في الدعوة إلى الله تعالى في بداية القرن الأول الهجري بصفة عامة ، وفي النصف الأول لفترة الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع هديهم بصفة خاصة .

ج - عرض الحوادث التاريخية بأسلوب آخر ليس للسرد وذكر الحوادث ، وإنما لاستنباط الدروس الدعوية ، وللوقوف أيضا على وسائل الدعوة وأساليبها ، ومعرفة المعوقات التي حصلت للدعاة في تلك الفترة ، والإفادة من الطرق التي تم التغلب عليها بواسطتها ، ثم معرفة عوامل النجاح في تلك الفترة اليسيرة ، وعرضها للدعاة ليفيدوا منها ، وكذا معرفة أشهر الدعاة ، ثم معرفة أثر ذلك الفتح الإسلامي على الدعوة .

وقبل هذا كله أود أن أساهم وأؤدي جزءاً من واجبي لخدمة الدعوة الإسلامية في عرض هذا الموضوع ودراسته دراسة منهجية .

الحدود الزمنية للبحث :

يتناول البحث فترة هامة من فترات الدعوة الإسلامية ، وذلك من عودة الرسول ﷺ من الحديبية إلى المدينة المنورة حينما بدأ بإرسال الرسل ، وكان لمصر من الرسل نصيب ، فقد أرسل الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى [المقوقس] حاكم مصر ، ونهاية البحث تنتهي بنهاية خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه - .

الحدود المكانية للبحث :

مكان البحث هو مصر الواقعة في الشمال الشرقي للقارة الأفريقية ، وحدودها : من الشرق : بحر القلزم المعروف بالبحر الأحمر ، ومن الشمال : بحر الروم المعروف بالبحر الأبيض المتوسط . أما حدود البحث من الجنوب والغرب فهي مرتبطة بالحدود الزمنية للبحث أي ما انتهت إليه خلافة الفاروق - رضي الله عنه - .

المنهج المستخدم في البحث :

في هذا البحث سوف أستخدم المنهج التاريخي في عرض الأحداث وتحليلها ابتغاء الوقوف على ماله علاقة بالدعوة ، وأستخرج ما فيها من أهداف وأساليب ووسائل ومعوقات ونتائج وأثار ، وذلك بعد تأصيل القضايا الدعوية من الكتاب والسنة ، وربطها بالنص لتكون أكثر توثيقاً .

خطة البحث :

- اشتملت هذه الدراسة على : مقدمة ، وتمهيد ، وثمانية فصول .
- التمهيد يشمل تعريفاً بمصطلحات البحث [الدعوة] [مصر] .

الفصل الأول : الأحوال السائدة فيها قبل الفتح الإسلامي .

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : الحالة الدينية .
- المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .
- المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية .

الفصل الثاني : سير الدعوة .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الدعوة في عهد النبي ﷺ ويشمل مطلبين :

- ١- فضل مصر كما ورد في النصوص .
- ٢- دعوة الرسول ﷺ لأهل مصر .

المبحث الثاني : الدعوة في عهد الصديق رضي الله عنه .

المبحث الثالث : الدعوة في عهد الفاروق رضي الله عنه .

الفصل الثالث : العقبان المواجهة للدعوة فترة البحث .

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : عدم استقرار المسلمين بعد فتح بيت المقدس .
- المبحث الثاني : موقف أهل البلاد من الدعوة الإسلامية .

الفصل الرابع : وسائل الدعوة وميادينها .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الوسائل . . ويشمل ثلاثة مطالب :

١- إرسال الرسل .

٢- الرسل .

٣- الجهاد .

المبحث الثاني : الميادين . . ويشمل :

١- المسجد .

٢- الميادين العامة .

الفصل الخامس : الأساليب الدعوية .

المبحث الأول : أسلوب الموعظة الحسنة .

المبحث الثاني : الحكمة .

المبحث الثالث : القدوة الحسنة .

الفصل السادس : عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر .

المبحث الأول : وضوح الإسلام وغموض النصرانية . .

وفيه ثلاثة مطالب :

١ - وضوح الإسلام .

٢ - غموض النصرانية .

٣ - أثر وضوح الإسلام على الدعوة في مصر .

المبحث الثاني : الصفات الموجودة . . وفيه مطلبان :

١ - أبرز الصفات التي اتصف بها الدعاة المسلمون .

- ٢- أثر الصفات على الدعوة الإسلامية في مصر .
المبحث الثالث : تحمس المسلمين واهتمامهم بالدعوة .
وفيه ثلاثة مطالب :
- ١- التحمس في القرآن الكريم .
 - ٢- التحمس والاهتمام بالدعوة في حياة الرسول ﷺ والصحابة .
 - ٣- نماذج من تحمس المسلمين واهتمامهم بالدعوة في مصر .
- المبحث الرابع : الاختلاط وتعميم اللغة العربية .
ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب :
- ١- الاختلاط .
 - ٢- تعميم اللغة العربية .
 - ٣- الآثار .
- المبحث الخامس : عدل الحكام .. واشتمل على :
- ١- مفهوم العدل .
 - ٢- واقعية عدل الإسلام وشموله أهل مصر .
 - ٣- أثر العدل على الدعوة الإسلامية في مصر .
- المبحث السادس : الانتصارات الإسلامية .. واشتمل على :
- ١- صدى الانتصارات .
 - ٢- كيف أصبح الانتصار عاملا من عوامل نجاح الدعوة .
- المبحث السابع: الأحوال السيئة التي كانت عليها البلاد .
المبحث الثامن : الحرية الدينية .

الفصل السابع : أشهر الدعاة .

الفصل الثامن : تقويم الجهود الدعوية .

وبعد ذلك الخاتمة التي اشتملت على النتائج والتوصيات التي

توصلت إليها .

تلك أبرز ما اشتمل عليه البحث وقد بذلت فيه كل ما استطعت من

جهد ، وأنفقت لإنجازه طويلاً من الوقت ، وتنقلت بين المكتبات بحثاً عن

الكتب التي تثري هذا البحث ، وحسبي أنني لم أدخر وسعاً في إعداد

بحثي وإتمامه و ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. ﴾^(١).

(١) البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

شكر وتنبؤ :

لايفوت الباحث أن يتقدم بالشكر لله أولاً ثم لحكومة المملكة العربية السعودية ممثلة في وزارة التعليم العالي على اهتمامها بالعلم وسبل نشره ، ولجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على تنفيذ تلك التوجهات ، كما أتقدم بالشكر لمنسوبي كلية الدعوة والإعلام على تهيئتهم الجو العلمي ، ممثلين في عميد الكلية ووكيلها وفضيلة رئيس قسم الدعوة والاحتساب .

ثم لايفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من قدم لي توجيهات ساهمت في إخراج هذه الرسالة من أعضاء هيئة التدريس بالكلية .

كما أتقدم بالشكر لأعضاء المناقشة الذين تكرموا وأفردوا جزءاً من وقتهم لقراءة البحث ومناقشته رغم أعمالهم الكثيرة ومشاغلم الجمعة .

وأتقدم بالشكر أيضاً لأستاذي الفاضل الدكتور / مصطفى أحمد أبو سمك الذي بذل الجهد والوقت لتوجيهي وتسديدي في البحث ، ولم يترك في الرسالة موضعاً إلا وجه فيه سواء كتابة أم مشافهة ، فله مني خالص الدعاء وعظيم الامتنان لقاء ماقدمه ، وأدعو الله أن يكون في ميزان حسناته .

ثم لا أنسى أن أشكر كل من كان له فضل - ممن لايتسع المجال لذكرهم - بإهداء نصح أو إرشاد أو إعارة كتاب ، شكر الله لهم وجزاهم عني خير الجزاء .

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاعي على الكتب والمراجع المتعلقة بموضوع البحث
فإني أقسم تلك الكتب إلى قسمين :

القسم الأول :

كتب تاريخية لا يوجد فيها مايتعلق بالدعوة وهي على نوعين :

أ - كتب ألفها غير المسلمين وقد جاءت على طريقتين :

- ١- سرد الحقائق ، ومثل هذا السرد جدير بأن يوجه .
- ٢- تشويه صورة الإسلام ، ومثل هذا التشويه يوجه
بالحجة القاطعة لتدمغه فإذا هو زاهق .

ب - كتب ألفها مسلمون ، وهدفها سرد الوقائع التاريخية ويلاحظ
على بعضها عدم التثبت في نقل الوقائع .

القسم الثاني :

كتب تهتم بالإسلام وانتشاره والفتوحات الإسلامية ومؤلفوها
مسلمون ، لكن يؤخذ عليها الأمور التالية :

- أ - أن الحس الدعوي يكاد يكون مفقوداً في بعضها .
- ب - عدم الاهتمام بجمع المادة الدعوية وتركها متفرقة ، بل ومفتقدة
للتوجيه الدعوي .

هذا ، ولا يدعي الباحث الكمال فيما كتب ، كما أنه لا يقلل من قيمة
الجهد المبذول في إخراج هذا البحث ، فالشكر لله أولاً على ماوفقني
إليه، وأعتذر مسبقاً عما وقع فيه من خلل وتقصير ، والله ولي التوفيق ،
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

التمهيد :

التعريف بمصطلحات البحث :

أولاً : الدعوة في اللغة :

هي مصدر سماعي للفعل [دعا] .

وهي على معان : يقال : [دعوت الله أدعوه دعاء] : ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، و [دعوت زيداً] : ناديته وطلبت إقباله ، و [دعا المؤذن الناس إلى الصلاة] فهو [داعي الله] والجمع [دعاة ، وداعون] مثل قاضٍ وقضاة وقاضون ، والنبي : [داعي الخلق إلى التوحيد]^(١) .

هذا وقد وردت اشتقاقاً مادة [دعا] في القرآن الكريم على صيغ عديدة منها :

- ١ - صيغة المصدر : يقول الله تعالى : ﴿ له دعوة الحق ... ﴾^(٢) .
- ٢ - صيغة الماضي : يقول الله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾^(٣) .
- ٣ - صيغة المضارع : يقول الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة ﴾^(٤) .
- ٤ - صيغة الأمر : يقول الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. ﴾^(٥) .

(١) أحمد بن محمد المقرئ ، المصباح المنير ١/٢٠٨ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٤ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٢٣ .

(٤) سورة يوسف ، آية ١٠٨ .

(٥) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

٥ - صيغة اسم الفاعل : يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله .. ﴾^(١).

ثانياً : الدعوة في الاصطلاح :

عرفت الدعوة في اصطلاح الدعاة بتعاريف كثيرة ، أذكر منها :

١ - الدعوة هي : « نقل الأمة من محيط إلى محيط »^(٢).

ويلاحظ على هذا التعريف مايلي :

أ - أنه ذكر أن الدعوة نقل ، وهي في الحقيقة محاولة قد تحقق

النقل والتغيير ، وقد لا تحقق شيئاً من ذلك .

ب - أن الأمة الإسلامية لها شخصيتها وميزتها ، وينبغي أن يحدد ،

فهو ذكر من محيط إلى محيط ولم يذكر ماهية المحيط الآخر .

٢ - عرفت الدعوة بأنها : (حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله

عز وجل على نبيه الخاتم)^(٣).

ويلاحظ على التعريف أنه لم يشر إلى أن الدعوة صارت علماً له

قواعده ووسائله وأساليبه .

٣ - وعرفت الدعوة بأنها : (قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم

الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ، ودينهم على قدر

الطاقة)^(٤).

ويلاحظ على التعريف أنه حدد المتلقين للدعوة بأنهم العوام ، مع أن

الدعوة تتسع دائرتها لتشمل العامي ، والمتعلم ، والمسلم ، والكافر .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٦ .

(٢) البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، ص ٣٥ .

(٣) رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي مناهجها وغاياتها ، ص ٣١ .

(٤) أبو بكر زكري ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩ .

٤ - وعرفت الدعوة بأنها : (قيام من عنده أهلية النصح الرشيد والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)^(١).

ولعل هذا التعريف - من وجهة نظر الباحث - أقرب إلى الصواب - والله أعلم - وذلك لشموله أركان الدعوة على النحو الآتي :

أ - الداعي ، في قوله : [من عنده] ، وذكر شروط الداعي أن يكون مسلماً ، ومن عنده أهلية النصح .

ب - المدعو ، في قوله : [الناس] وهو لفظ شامل لكافة الطوائف . . . أي يشمل الكفار على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، والمسلمين على اختلاف أقسامهم .

ج - موضوع الدعوة . في قوله : (الإسلام اعتقاداً ومنهجاً) .

د - الأساليب والوسائل في قوله : (بترغيبهم) (تحذيرهم) (بطرق مخصوصة) .

أكرر القول مؤكداً ، أن التعريف الأخير هو الذي أميل إليه

وأرجحه ؛ لاشتماله على ذكر الأصول الأربعة للدعوة إلى الله تعالى .

ثانياً : مصر .

أ - الموقع :

هي البلد الواقع في الشمال الشرقي للقارة الأفريقية ، وحدودها من الشرق بحر القلزم المعروف بالبحر الأحمر ، ومن الشمال بحر الروم المعروف بالبحر الأبيض المتوسط ، ومن الجنوب السودان ، ومن الغرب ليبيا .

ب - سبب التسمية :

سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام^(٢) .

(١) أبو المجد نوفل ، الدعوة إلى الله خصائصها مقوماتها مناهجها ، ص ٢١ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٣٧/٥ .

الفصل الأول

[الأحوال السائدة في مصر قبل الفتح الإسلامي]

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- ١ - الأحوال الدينية
- ٢ - الأحوال الاجتماعية
- ٣ - الأحوال الاقتصادية

الفصل الأول

[الأحوال السائدة في مصر قبل الفتح الإسلامي]

تقديم :

لابد لمن أراد أن يدعو لدين الله - عز وجل - فرداً كان أو جماعة ، أن يتعرف على حال من يدعوهم ليتسنى له دعوتهم وهو ملمٌ بطبائعهم وأحوالهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية إماماً يجعل الأحوال المذكورة بمثابة صفحات مفتوحة أمامه ، ومناطق معلومة بالنسبة إليه ، ومن ثم يستطيع اختيار الوقت المناسب والمدخل الملائم لعرض دعوته .

وكذلك يكون الحال والشأن فيمن يكتب عن الدعوة الإسلامية في أي عصر ومصر .

إنه لابد له من الوقوف والتعريف بالأحوال المذكورة السائدة فترة موضوع بحثه ورسالته ، وذلك حتى يبين مدى حاجة الناس الماسة - أفراداً ومجتمعات - لدعوة الإسلام في كل زمان ومكان .

وبادئ ذي بدء ، أقول على سبيل الإجمال : إن مصر التي أضاعها نور الإسلام عن طريق الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لم تكن الأحوال فيها مستقرة هادئة قبل دخول الإسلام فيها ، وإنما كانت أحوالها يسودها الاضطراب ، ويلفها ظلام القهر والاضطهاد ، ويحيط بها الشقاء من كل اتجاه وفي كل مجال من مجالات الحياة .

ولتوضيح القول الإجمالي المذكور ، سأقوم - إن شاء الله تعالى - بعرض موجز للأحوال الدينية والاجتماعية والاقتصادية في مصر قبل الفتح الإسلامي .

المبحث الأول « الأحوال الدينية »

مما تجدر الإشارة إليه ، أن الأحوال السياسية في مصر لها علاقة بالأحوال الدينية التي عاشتها مصر قبل الفتح الإسلامي .
ومعلوم أن مصر قبل وصول الإسلام إليها مرت بفترات تاريخية متعددة . . كان آخرها حكم الفرس والرومان ^(١) .

فقد قاتل الروم أهل مصر ثلاثين عاماً إلى أن حصل الصلح ، على أن يدفع لهم شيء في كل عام ، ثم ظهرت فارس على الروم ، وضرب الخراج على أهل مصر من فارس والروم ، واستمروا على ذلك تسع سنين حتى غلبت الروم فارس ، وصار صلح مصر للروم خالصاً ، وذلك في زمن الرسول ﷺ ^(٢) .

وتؤكد هذه الأحداث معجزة القرآن الكريم حين أشار إلى هذه المراحل قبل حدوثها وذلك في سورة الروم ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومَ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ ^(٣) .

وتحليلاً للآيات الكريمة يقول الشوكاني في تفسيره : قال أهل التفسير : غلبت فارس الروم ، ففرح بذلك كفار مكة وقالوا : الذين ليس

(١) الفرد بتلر - فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد أبو حديد ص ٢٠٨ ، مكتبة مدبولي - القاهرة - ١٤١٠ هـ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٤٠/٥ ، دار صادر ودار بيروت - ١٤٠٤ هـ .

(٣) سورة الروم ١ - ٥ .

لديهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب ، وافتخروا على المسلمين وقالوا : نحن أيضا نغلبكم كما غلبت فارس الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، ومن ثم بعد أن غلبت فارس الروم سيغلب الفرس ^(١) .

والمفسرون يتفقون على أن فرح المؤمنين يكون بانتصار الروم ^(٢) ، إلا أن هناك رأياً للدكتور عبدالوهاب عزام يفسر الآية بقوله : « إن المؤمنين سيفرحون بنصر الله للمؤمنين وليس للروم ، وما للمؤمنين يفرحون بانتصار الروم وهم عدو لهم كسائر أمم الأرض التي كرهت دين الإسلام حفاظاً على تراثها » ^(٣) ، وأما فرح المؤمنين : فقد فسره بأنه في معركة بدر ، إذ تزامن انتصار الروم مع انتصار المؤمنين ^(٤) على أن الباحث يميل إلى هذا الرأي الأخير ، اقتناعاً بما ساقه د / عبدالوهاب عزام من تحليل وتحليل .

وقد كان لمعجزة القرآن الكريم برصد هذه الأحداث قبل حصولها أثر في انتشار الإسلام ودخول المصريين فيه أفواجا يأتي الحديث عنه - إن شاء الله تعالى - لاحقاً في هذه الرسالة .

وتبعاً لتلك الأحوال السياسية في مصر ؛ فإن كل من حكمها حاول فرض ديانته على أهل البلاد .

ديانة المصريين قبل بدء الدعوة الإسلامية في مصر :

كان أهل مصر يعبدون الأوثان ، إلى أن ظهرت النصرانية ففتنصروا وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون في خلافة عمر بن

(١) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ٢١٤/٤ ، دار الفكر - ١٤٠٣ هـ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٢ ، دار الفكر - بدون .

(٣) مجلة الرسالة عدد ٧٢٣ سنة ١٩٤٧ م ، ص ١٢ .

الخطاب - رضي الله عنه - فأسلم بعضهم وبقي البعض على النصرانية^(١).

حكام مصر يحاولون فرض ديانتهم على أهل البلاد :

وقبيل الفتح الإسلامي لمصر كان الرومان هم ولاة الأمر فيها ، يديرونها من أقصاها إلى أقصاها ، لكن ثمة أمر لم يستطيعوا التحكم فيه ، ألا وهو امتلاك قلوب أهلها ، وجعلهم يتبعون المذهب الذي كان عليه حكامها^(٢).

فحكام الرومان يريدون فرض سيطرتهم على أهل البلاد ليعتنقوا مذهبهم ، بينما يرفض أهل البلاد ما يريد الحكام فرضه من عقائد ، ذلك أن أهل البلاد « المصريين » يدينون : بأن للمسيح طبيعة واحدة ، ويسمى - هذا المذهب - اليعقوبي^(٣).

أما الطبقة الحاكمة فتدين : بأن للمسيح طبيعتين ، ويسمى هذا المذهب الملكاني^{(٤)(٥)}.

- (١) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٤١/٥ .
- (٢) انظر : توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص ٧١ ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ، ط - مكتبة النهضة ، القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٥٧ م .
- (٣) اليعاقبة : هم أتباع يعقوب البرازعي الذي وجد في منتصف القرن السادس الميلادي ، وهو القائل : بأن المسيح نوطبيعة واحدة امتزج فيها عنصر الإله بعنصر الإنسان . انظر أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٨٠ ، ط - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض - ١٤٠٤ هـ .
- (٤) الملكانيون : هم الذين يناحزون للملك أي الامبراطور الروماني مذهباً وسياسة ، ومذهب الملكاني هو القائل بما انتهى إليه مجمع خليكونية سنة ٤٥١ م والمقرر فيه أن المسيح فيه طبيعتان ، لاطبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحدها التقتا في المسيح . انظر أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ .
- (٥) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢١٤ ، وانظر توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧١ .

و حين امتنع المصريون عن اعتناق ما يدعوههم إليه [قيرس] ممثل الروميين في مصر ، ظهرت ملامح التضيق والتعذيب على المصريين من جانبه .

طرق تعذيب مخالفي المذهب الملكاني :

ومن ألوان ممارسات التضيق التي اتخذها [قيرس] ضد من خالف مذهبه ما ذكره [بتلر] نقلاً عن [اميلنو] في كتابه (تاريخ البطريق القبطي إسحاق) بأنه لقي قساً اسمه يوسف كان ممن شهروا بين يدي [قيرس] وجلد جلدأ كثيراً ، وكذلك [بنيامين] ممن عذب ثم قتل غرقا ، وكان تعذيبه بأن أوقدت المشاعل وسلطت نيرانها على جسمه ، فأخذ يحترق حتى سال دهنه جنبيه إلى الأرض ، فخلعت أسنانه ثم وضع في كيس به رمل فرموه في البحر^(١) .

وأمر بأخر - حين خالفه وأغظ له القول - أن يضرب على فمه ثم يقتل^(٢) .

أثر الاختلاف المذهبي على الطرفين :

يصف [بتلر] الحال التي وصلت إليها البلاد عندما وصلت إلى شفا المواجهة بسبب هذا الاختلاف المذهبي فيقول : « فكانت طرق الإسكندرية البراقة تتجاوب جوانبها بأصداء الكتائب البيزنطية إذ تسير فيها ، وعادت جنود الروم إلى الأسوار العظيمة أسوار المدينة وأطامها ، ووضعت عليها آلات حربها ، وبعثت المسالحي إلى مدينة الفرما [بلوز] ... وكانت كل تلك الكتائب والجنود عند أمر [قيرس] مائة لإنفاذ أمره إذا مدعاها »^(٣) .

(١) نقلاً عن الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، بتصرف .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

من هنا بلغت الحالة الدينية في مصر أشد مراحل الاختلاف بين من يريد فرض مذهبه بالقوة ، وبين المخالفين له من أهل البلاد . هذا ، وإن كان بعض العلماء كتبوا عن تذبذب حالة الشطط والعنف - ظهوراً واختفاء - بين أتباع الكنيسة الرومانية وبين أتباع الكنيسة المصرية ، فإن هذا البعض يؤكد بمنهج الإنصاف - في الوقت نفسه - تغلب استخدام الغلظة والقسوة على الرفق والشفقة في معاملة الكنيسة الحاكمة لأتباع الكنيسة المصرية .

ويكفي أن يستأنس الباحث - في هذا المقام - بقول الشيخ أبي زهرة [ولقد كان الاختلاف يشتد ، كلما عين الرومان [بطريكا] ، فإن المصريين يرفضونه محتجين بأنه على غير مذهبهم . . . ويجب أن يكون [بطريكهم] بعد هذا الاختلاف من المذهب الذي ارتضوه ديناً ، وباختيارهم ، فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف وأولئك هم الأكثرون ، وبعضهم يأخذهم بحسن السياسة . . فيترك لهم الحرية في اختيار مذهبهم ، وكانت الأيام والسنون هكذا تسير ، أحياناً على نهج من الهوادة والرفق ، وأحياناً كثيرة على شطط وعنف]^(١) .

ومعلوم بداهة أن أول علامات الانهيار في أي مجتمع هو ظهور الخلاف الداخلي .

هذا ، وإذا لم تكن قد ظهرت مواجهة قوية من أهل البلاد ضد الطبقة الحاكمة ، إلا أن محاولة إكراههم على اتباع المذهب الملكاني جعلهم يحملون الكره الشديد لأولئك الحكام .

يقول هيكل في بيان إكراه المصريين على عقيدة الرومانيين : « ففي الوقت الذي كان فيه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - يحاول إقناع

(١) محمد أبو زهرة - محاضرات في النصرانية ، ص ١٥٩ بتصرف يسير .

الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بفتح مصر ، كان الاضطهاد الديني منتشراً في مصر ، إذ أن [هرقل] بعد انتصاره على الفرس يحاول توحيد المذاهب وصياغتها في مذهب واحد «^(١).

وبذا يتفق الذين كتبوا عن تاريخ مصر - ممن قرأت لهم - على سوء الأحوال الدينية في تلك الفترة بسبب الاختلاف العقدي ، والتمزق المذهبي .

يصور الكاتب [غوستاف لوبون] في كتابه حضارة العرب ... يصور سوء الحالة الدينية ، وتفاقم الأخطار الناجمة عن الاختلاف والتمزق فيقول : (وكان البؤس والشقاء مما تعانیه مصر التي غدت ميدان قتال للمذاهب النصرانية ، فكانت هذه المذاهب تكثر في ذلك الزمن فتتلاقح وتتقاتل)^(٢).

هكذا كان حال أهل مصر ، وكأنهم في بحر تتلاطمه الأمواج يمينا ويسرة ، وليت شعري ، ما الذي يدور بخلد تلك الجموع من أهل مصر المغلوبين على أمرهم ؟ والذين يلوحون بأيديهم في خضم الأمواج المتلاطمة نحو سفينة النجاة التي يترقبونها بشوق ولهفة ؟ وماموقفهم من هذه السفينة التي بادر ربانها برفع أيديهم مقبلين لإنقاذ كل من قابلوه من السقوط ، ومن تلك النهاية المؤلمة ؟ ..

أقول : عسى أن تتضح إجابات التساؤلات السالفة في طي جزئيات هذه الرسالة .

(١) الفاروق عمر ، محمد حسين هيكل ، ص ٧٦ ، ط / مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٦٤ هـ .

(٢) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢٥٨ ، ط / عيسى البابي الحلبي - بدون .

البحث الثاني « الحالة الاجتماعية »

لم تكن الحالة الاجتماعية في مصر بأفضل من الحالة الدينية السائدة فيها ، إذ كانت أشد سوءاً ، وأسوأ تأثيراً على المجتمع فترة موضوع هذا الفصل من الرسالة .

الطبقات الموجودة في ذلك الوقت :

كان المجتمع في مصر ينقسم إلى طبقتين : الطبقة الحاكمة ، والطبقة المحكومة وهم عامة الشعب .

وقد كان للطبقة الحاكمة مالم يكن لغيرها من الامتيازات في سائر أنشطة الحياة بصفة عامة ، وفي النشاط التجاري بصفة خاصة ، الأمر الذي كان له آثار سيئة على الطبقة الأخرى .

يبين [بتلر] جانباً من جوانب تميز التجار المنسويين للطبقة الحاكمة فيقول : « إن تجار الطبقة الحاكمة يحلون حيث شاعوا تحميمهم جنود الربط ، وينافسون الأقباط في التجارة منافسة شديدة »^(١) .

أثر الخلاف الديني بين الطبقتين على العلاقات الاجتماعية :

إن عدم المساواة بين الملاكاني واليعقوبي في الديانة له أثر في العلاقات الاجتماعية العامة ، إذ كل منهما يعتز بمذهبه ، ويعدُّ الاتصال بأتباع المذهب الآخر فضلاً عن مشاركتهم حياتهم الاجتماعية من الكبائر .

يقول أبو رابية مصوراً حالة التفكك في مصر - قبل الفتح الإسلامي - : « وأصبح كل ملكاني في نظرهم » أي المصريين

(١) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ترجمة أبو حديد ، ص ١١٨ .

اليعقوبين « غريباً عنهم ، وكل يعقوبي منهم ، وقد اعتبروا أن الزواج من الرومان والاشتراك معهم في المناصب جريمة لاتغتفر »^(١).

على أن مسألة الخلاف الديني بين الرومان والمصريين لم تقف عند حدود الجانب العقدي فحسب ، وإنما تجاوزته إلى الجانب الاجتماعي ، حيث ساهمت في إنكفاء التفرقة العنصرية ، وساعدت على تنمية عوامل الثورة القومية في نفوس المصريين ضد قهر الرومان المستبدين .

ومما زاد في التفرقة العنصرية ؛ إيجاد كنيسة للأقباط المصريين خاصة بهم ، وقد ساهمت هذه الكنيسة في ترسيخ التفرقة الاجتماعية بين طبقة الحكام وطبقة المحكومين^(٢).

وقد كان لتلك العنصرية أثرها على المنتسبين لكل طبقة . . . طبقة وجد أفرادها أنفسهم في رغد من العيش يأكلون ويتمتعون كما الأنعام، وطبقة أخرى أفرادها مستعبدون مهانون ، مرهقون بالضرائب .

أيضاً فقد ترتب على وجود العنصرية الكريهة ، والطبقية البغيضة، أن صار المجال مفتوحاً لمحبي إشاعة الفاحشة ، فانهارت دعائم الأخلاق في ظل التعصب بين الطرفين ، وانتشر الفساد ، وفضل بعض الناس عدم الزواج ليطلقوا العنان لشهواتهم دون ضابط أو قيد .

وعند تناول [توماس أرنولد] لتلك الأحوال يُدرج مانقله عن أحد الكتاب النصرانيين ويدعى [تايلور] فيقول : « كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب »^(٣).

(١) عبد الخالق أبورابية - عمرو بن العاص بين يدي التاريخ ، ص ٩٧ ، ط / ١ ، الزهراء

للإعلام العربي - القاهرة - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٣) نقلا عن توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٠ .

وينقل [توماس] عن بعض علماء اللاهوت المسيحيين قولهم :
« إن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحيتين
الخلقية والروحية لابد أن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جواً
روحياً أسلم وأصحّ في ذلك الدين الإسلامي » ^(١).

إن التماس بعض الناس حياة هادئة مستقرة لم يكن بسبب انتشار
الفساد في الكنيسة وحدها ؛ بل إن التدهور الأخلاقي عمّ البلاد كلها
مما كان له الأثر في فقد الأمن .

وقد كثر قطاع الطرق واللصوص فازدادت الأحوال سوءاً ، واجتثت
في تلك الفترة أصول كل عادة حسنة وخلق رفيع .

وتصويراً لتدني الأحوال الاجتماعية التي وصلت إليها مصر قبل
الفتح الإسلامي ، أضع أمام القارئ في ختام هذا المبحث ما نقله [بتلر]
عن الكاتب [حنا مسكوس] قوله : « فلم يكن عجباً أن يُسمع صليلُ
السلاح بين حين وحين في مدينة الإسكندرية نفسها ، وأن تمتلئ أرض
الصعيد بعصابات اللصوص وقطاع الطرق ٠٠٠ بل لم يكن عجباً أن
تضطرب الأحوال في مصر السفلى فتصبح ميداناً للشغب .. » ^(٢).

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨٩ .

(٢) نقلاً عن الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد أبو حديد ، ص ٤٧ .

البحث الثالث « الحالة الاقتصادية »

إن الحالة الاقتصادية في أي بلد تعد شريان حياتها ، وعنصراً من عناصر استقرارها ، وحصول هذا الاستقرار الاقتصادي لا يتم إلا باستقرار عوامل كثيرة ، اجتماعية ، وسياسية ، ودينية ، يرتبط بعضها ببعض .

ومصر التي أثرت فيها تلك الأحوال السالفة ، ونخرت في جسدها تلك الانقسامات ، وصلت إلى أسوأ الأحوال الاقتصادية فترة موضوع البحث .

ولعل أول أمر يتبادر إلى الذهن - حول التدهور الاقتصادي في مصر - أن سوء الأحوال الاقتصادية راجع إلى قلة مواردها ، وضعف إنتاجها ، وعجز أهلها ، لكن واقع الحياة يرشد إلى أن تدهور الاقتصاد - الذي عانت منه مصر - يرجع إلى أن حكامها حرصوا كل الحرص ، وجعلوا كل هدفهم خدمة وطنهم الأصلي المنتمين إليه . . أي روما . . فأخذوا الأموال ، وظلموا أهل البلاد .

يصف [ايدرس بل] حال مصر الاقتصادية مع روما بقوله :
« كانت الحكومة متمسكة بنظريتها الأصلية وهي أن مصر بقرة ينبغي حلبها لصالح روما ، وليس ثمة شك أن البقرة كانت حلوباً ، ولكن روما دأبت على استدرار لبنها حتى استنزفته »^(١).

(١) هـ - ايدرس بل - مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ترجمة عبداللطيف أحمد ، ص ١٠٩ ، ط / دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٢ م .

ويؤيد هذا ما ذكره [بتلر] من أن الهدف هو خدمة الوطن الأصلي ، وجمع المال في خزينته الكبرى قوله : « ولم يكن عجباً أن يكون هذا ^(١) في بلاد أصبح الحكام فيها لاهمّ لهم إلا أن يجمعوا المال لخزائن الملك البيزنطي وحاشيته .. » ^(٢).

ويرى الباحث أن حكام روما يعيدون إلى الأذهان الآثار السيئة للرأسمالية الوضعية المقرونة بسيطرة الاستعمار الغاشم المستغل .
ومن أبرز مساوئ هذه الرأسمالية الوضعية ، إساءة استخدام المال ، وإيذاء الناس به ، فبدل أن يكون المال وسيلة لإصلاح وإعمار ، يصبح وسيلة للتضييق والإعنات .

وقد بين الشيخ محمد قطب آثارها ونتائجها بقوله : « الرأسمالية تؤدي إلى الاحتكار ، ومن ثم تتركز السلطات في يد فئة قليلة من الناس تعلم جيداً فيما بينها وبين نفسها أنه لو خلي بينها وبين نفسها أنها تغتال الناس وهم أحياء .. وتعلم فيما بينها وبين نفسها أنه لو خلي بينها وبين الناس لانقضوا عليها ، يستردون ما سلب منهم من أموال وجهد وعرق ودماء .. » ^(٣).

ولعل التبيين المذكور يصور أصدق تصوير جوهر العلاقة ، وحقيقة الصلة بين حكام روما وبين الحكومين المصريين .
فقد أثقلت الضرائب والمكوس والإتاوات المفروضة كاهلهم وقصمت ظهورهم ، وأنهكت قواهم .. كيف لا ، وقد بلغ حجم ما كان يجبيه

(١) إشارة إلى الوضع السيء للحالة الاقتصادية .

(٢) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة أبو حديد ، ص ٤٧ .

(٣) محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين ، ص ١١٥ ، ط / دار الشروق ، بيروت والقاهرة -

[المقوقس] منها تسعة عشر ألف ألف دينار^(١).

أقول : وليس عجباً - في ظل هذا المناخ الاقتصادي السيء - أن يصل المصريون إلى مرحلة صعوبة من اليأس ، إذ لا يكاد الفرد منهم يخلص من التضيق في أمر إلا ويجد أمراً آخر عقبة في طريقه ، مما زاد الحقد في النفوس والكره لأولئك الحكام المستبدين ، المحتكرين لتلك الثروات الهائلة التي تؤخذ من بين يدي أصحابها وتعطى لأناس لم يكابدوا في تحصيلها ، ولم يكن لهؤلاء المحكومين من تصرف أمام هذه المشاهد التي يرونها إلا النظر بعين الألم والحسرة تجاه الحكام الظلمة .

يقول [غوستاف لويون] : « وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية ونهكتها مظالم الحكام تحقد أشد الحقد على ساداتها الكئيبين ، فتعد من يحررونها من أيدي قياصرة القسطنطينية منقذين ، فحفظ ذلك الشأن للعرب .. »^(٢).

وهكذا كان حال مصر الاقتصادي سيئاً متدهوراً .. ومردُّ ذلك - في إيجاز - وجود طبقة حاكمة تعيش حياة مترفة ، وطبقة محكومة يشكل الأقباط منهم نسبة كبيرة يعيشون تحت وطأة الضرائب المفروضة عليهم عيشةً باطنُ الأرض لهم خيرٌ من ظاهرها .

(١) انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٤١/٥ .

(٢) غوستاف لويون - حضارة العرب ، ص ٢٥٨ .

الفصل الثاني

[سير الدعوة في مصر]

الفصل الثاني

[سير الدعوة في مصر]

تمهيد :

إن الدعوة الإسلامية في مصر مرت بمراحل عدة ، إذ أن حاملها لم يرفعوا السيف في وجه أعدائها ابتداء ، إنما بدأوا بالدعوة نشرًا وتبليغًا بشتى الوسائل ، وكانت خطواتها في سنوات .

فقد بدأ الرسول ﷺ المرحلة الأولى من دعوة أهل مصر ، ثم تبعه صاحباه أبو بكر وعمر فقاما - رضي الله عنهما - بتبليغها وتوضيحها لأهل مصر حتى وقف الأعداء في طريق انتشارها ، فما كان من - دعاة الحق - إلا أن أزالوا من وقف حجر عثرة في طريق انتشارها .

وفي هذا الفصل - إن شاء الله - سأعرض سير الدعوة في مصر عرضاً يكون لنا مرجعاً في هذا البحث ، نأخذ منه العبر ، والوقفات الدعوية ، والأساليب والوسائل ، وعوامل نجاح الدعوة ؛ حين أفرد لها الحديث في موضع لاحق - إن شاء الله تعالى .

وقد قسمت هذا الفصل إلى مباحث :

المبحث الأول : الدعوة في عهد النبي ﷺ ، ويشمل مطلبين :

المطلب الأول : عن فضل مصر كما ورد في النصوص .

المطلب الثاني : عن دعوة الرسول ﷺ لأهل مصر .

المبحث الثاني : الدعوة في عهد الصديق رضي الله عنه .

المبحث الثالث : الدعوة في عهد الفاروق رضي الله عنه .

البحث الأول : الدعوة في عهد النبي ﷺ المطلب الأول : « فضل مصر كما ورد في النصوص »

كان لهذه البقعة ؛ أرض الكنانة [مصر] شرف وفضل ، إذ أن خير الخلق وخاتم النبيين ﷺ قد خصها بخصائص وأثنى على أهلها خيراً ، كما اهتم الرسول المصطفى بدعوة أهلها إلى الإسلام عن طريق الصحابي حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - ثم أوصى النبي ﷺ أصحابه بالإحسان إلى أهلها .

عن عبدالرحمن بن شماسه المهري قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها » ، قال : فمر بريئة وعبدالرحمن ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منهما .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط^(١) ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة^(٢) ورحماً^(٣) ، أو قال : « ذمة وصهرا^(٤) »^(٥) .

(١) القيراط : جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به . انظر : النووي / شرح صحيح مسلم ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ، ٩٧/١٥ ، ط / دار الفكر ، بيروت - ١٣٩٢ هـ .

(٢) الذمة : هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الزمام . انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٣) رحماً : لكون هاجر أم إسماعيل منهم . انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٤) صهرا : لكون مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم . انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٥) مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ٥٦/٤ ، الحديث رقم [٢٢٦ و ٢٢٧] ط / عيسى الحلبي ، مصر ، بدون .

- ولأقتصر في هذا المقام - على هذين الحديثين ، كي أسارع وأبرز بعض الوقفات الدعوية المستفادة منهما ، على نحو مايلي : -
- (١) خصوصية أهل مصر بهذا التكريم الذي وصى - ﷺ - أصحابه بهم ، وتحديد الرسول ﷺ لتلك البقعة ، إذ أن الحديث الثاني وضع الحديث الأول ، ففي الأول ذكر أرض القيراط ، وفي الثاني وضع أنها مصر ، ومما يؤكد التحديد المذكور قوله : « ذمة وصهراً » قاصداً بذلك مارية القبطية ، وهذا الحديث بعد إرسال الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى [المقوقس] في الإسكندرية .
- (٢) أن الدعوة الإسلامية جاءت على المسلمين بالخير العميم ، وأن هذه الرسالة من ميزاتنا أنها تدعو إلى التيسير والتبشير ، وهو ما أشار إليه . ﷺ - في الحديثين حين أوصى بالمعاملة الحسنة لأهل مصر ، وهو المنهج الذي رسمه دائماً للدعاة المسلمين ، فقد وصى معاذ بن جبل وصاحبه - حين بعثهما إلى اليمن - بقوله : « يسراً ، ولا تعسراً ، وبشراً ، ولا تنفراً ، وتطاوعاً ولا تخلفاً »^(١) .
- (٣) مراعاة (الذمة والرحم) في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، واستثمارهما لاستمالة النفوس وإمالة القلوب .
- (٤) أن في الحديثين معجزتين من معجزات النبوة أخبر بهما الصادق المصدوق - ﷺ - قبل وقوعهما ، وهما :
- أ - بشارته بانتصار المسلمين قبل التفكير باتجاه الدعوة إلى مصر، إذ كان الناس لا يتصورون اهتزاز تلك الإمبراطوريات العظيمة المحصنة بأقوى الحصون والمجهزة بأعنى الأسلحة .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ١٠٧/٥ ، ط - دار الطباعة ، استانبول - بدون .

ب - إخباره ﷺ بأمر سيحصل بعد الفتح ، وهو النزاع بين
الرجلين على موضع اللبنة ، وقد تحقق التخاصم أمام راوي
الحديث حين رأى ابني شرحبيل يتخاصمان في موضع لبنة ،
يقول أبو ذر : « فخرجت منها » .

وحصول تلك المعجزات له أثره ، إذ أنه يؤكد صدق ما جاء به
الرسول - ﷺ - ، الأمر الذي يكون أدعى لقبول الدعوة الإسلامية
والاستجابة لها ، والامتثال الفعلي لتشريعاتها .

المطلب الثاني « دعوة النبي ﷺ لأهل مصر »

يرجع تاريخ دعوة النبي ﷺ لأهلها إلى ما بعد صلح الحديبية ، حيث أخذ - صلوات الله وسلامه عليه - يبعث الرسائل إلى الملوك والحكام ، ومنهم المقوقس حاكم مصر^(١) .

رسالة النبي ص إلى [المقوقس] :

بعث الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر . فوصل حاطب إلى الإسكندرية ، ووجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر ، فركب البحر ، فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله ﷺ بين أصبعيه ، فلما رآه ، أمر بالكتاب فقبض ، وأمر به فأوصل إليه^(٢) .

نص الرسالة :

[بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله ، إلى [المقوقس] عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :
فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين ،

(١) انظر : عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم / فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ ، تحقيق محمد صبيح ، ط / مؤسسة دار التعاون - القاهرة - ١٩٧٤م . وانظر : محمد بن سعد / الطبقات الكبرى ، ط / دار صادر بيروت - بدون - ، وانظر : عبدالملك بن هشام ، ط / دار الفكر - القاهرة - . وانظر : أبو الفداء الحافظ بن كثير - دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤٠٥هـ .

(٢) ابن عبدالحكم / فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ .

﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾^(١) .

فلما قرأه أخذه فجعله في حُق من عاج ، وختم عليه [.

حوار المقوقس مع رسول الله ﷺ بعد قراءة الرسالة :

ولما قرأ المقوقس الرسالة سأل حاطباً : (مامنعه إن كان نبياً أن يدعو علي فيسلط علي ؟ فقال حاطب : مامنع عيسى أن يدعو علي من أبي عليه أن يفعل به ويفعل ؟ فوجم ساعة ، ثم استعادها ، فأعادها حاطب عليه ، فسكت ، فقال له حاطب : إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فانتقم الله به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك ، وإن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ماسواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به)^(٢) .

أثر الرسالة والحوار على [المقوقس] :

إن رسالة الرسول ص قد وقعت موقعاً حسناً في نفس المقوقس وكذا ماتم من حوار بين حاطب والمقوقس بعد تسليم الرسالة ، حيث أثمر هذا الحوار ثماراً طيبة في قلبه وفؤاده . .

يؤكد هذا ما فعله المقوقس عندما طلب حاطباً مرة أخرى ليسأله عن

بعض الأمور المتعلقة بالإسلام .

(١) آل عمران ، آية ٦٤ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(وفي ليلة أرسل المقوقس إلى حاطب وليس عنده أحد إلا ترجمان له فقال : ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها ؟ فأني أعلم أن صاحبك قد تخيرك حين بعثك ، قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك ، قال : (إلام) يدعو محمد ؟ ، قال : إلى أن تعبد الله ، لا تشرك به شيئاً ، وتخلع ماسواه ، ويأمر بالصلاة ، قال : فكم تصلون ؟ قال خمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم .

قال : من أتباعه ؟ قال : الفتيان من قومه وغيرهم ، قال : فهل يقاتل قومه ؟ قال : نعم ، قال : صفه لي . فوصفته بصفة من صفاته لم أت عليها ، قال قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها ، في عينيه حمرة قلماً تفارقه ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ويلبس الشملة ، ويجتزئ بالتمرات والكسر ، لايبالي من لاقى من عم ولا ابن عم ؟ قلت : هذه صفته ، قال : قد كنت أعلم أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم بمحاورتي إياك ، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا حتى يظهروا على ماها هنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً فارجع إلى صاحبك)^(١).

جواب المقوقس إلى النبي ﷺ :

(لمحمد بن عبدالله من المقوقس)

سلام ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ماذكرت وماتدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي ، وقد كنت أظن أنه يخرج من الشام ، وقد أكرمت

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ .

رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ،
وأهديت إليك بغلة لتركبها .
والسلام)^(١) .

موقف الرسول ﷺ من هدية المقوقس :

قبل رسول الله ﷺ هدية المقوقس ، وعرض الشهادة على الجاريتين
(قولاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)^(٢) .

فبادرت مارية بالشهادة ، وأمنت قبل أختها ، ثم تشهدت أختها
بعدها بساعة ، ولم يشأ - ﷺ - أن يجمع بينهما لما ورد فيه من نهي^(٣) ،
فقال : اللهم اختر لنبيك ، فاختر الله مارية ، أما أختها وتدعى
(سيرين) فقد وهبها لحسان بن ثابت ، فولدت له عبدالرحمن بن
حسان^(٤) .

أسئلة من نوع آخر وجهها المقوقس :

وكان هذه الهدية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ ،
وحملها رجلاً من قومه ، كأنها تحمل معها أسئلة تؤكد وتتم تلك الأسئلة
التي وجهت لحاطب بن أبي بلتعة .

(١) محمد حميد الله / مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٣٦ ،
دار النفايس ، بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ، وانظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر
وأخبارها ص ٤١ ، ٤٢ ، وعند ابن عبدالحكم (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم
القبط) .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٠ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، لجنة البيان
العربي - ١٩٦١ م .

(٣) ورد النهي في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ٠٠٠٠ وأن تجمعوا
بين الأختين ٠٠ ﴾ آية (٢٣) .

(٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٠ ، وانظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر
وأخبارها ، ص ٤٢ .

إن [المقوقس] كان يعرف أوصاف النبي ، ووقت خروجه ، فمن صفاته : أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولانكاح ، فلماذا أرسل المقوقس أختين ؟

يريد أن يصله الجواب الحق في أولى صفات هذا النبي الكريم ، ولقد جاءه .

وثمة سؤال قد يكون قبل هذا ، هل يقبل الرسول الهدية ؟ ومعلوم أنه من صفاته التي عرفها [المقوقس] قبول الهدية ، ولقد جاءه الجواب أيضا .

أما السؤال الثالث - الذي حملَه الرسول - هل يوجد بين كتفيه خاتم النبوة ؟ وجاءه الردُّ مع رسوله .

إنه يريد بهذه الأسئلة أن يتم ذلك التصوُّر في نفسه عن ذلك النبي المبعوث والذي بُشِّرَ به من قبل .

منهج دعوة الرسول ﷺ لأهل مصر :

إن دعوة الرسول ﷺ لأهل مصر المتمثلة في رسوله ورسالته إلى [المقوقس] تعد منهاجاً ينبغي أن يقف عنده الدعاة إلى الله - عز وجل - ، ليستفيدوا منه في كافة ميادين الدعوة ، وعسى أن يوفق الباحث في تلخيص المنهج النبوي في المعالم الآتية : -
أولاً : الأسلوب الحسن .

ويظهر هذا الأسلوب من خلال وصف الرسول ﷺ [للمقوقس] بعظيم القبط ، فقد وصفه بالوصف الذي يصفه به قومه ، وهو المحبب إليه .

فالغلظة ، والشدة ، وإساءة الوصف بأقبح الألفاظ ، لا يستخدمها الداعية في الدعوة ، امثالاً لقول الله تعالى : ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم . وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾^(١) .
يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية لمن أراد من أهل الكتاب الاستبصار بالدين :

(فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه ، كما قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . ﴾^(٢) ، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى . . ﴾^(٣) ، وقوله ﴿ إلا الذين ظلموا منهم . . ﴾ : أي حادوا عن

(١) العنكبوت - ٤٦ - .

(٢) النحل - ١٢٥ - .

(٣) طه - ٤٤ - .

وجه الحق ، وعموا عن واضح المحجة ، وعاندوا ، وكابروا ، فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلال (١) .

ثانياً : البعد عن الإطالة في غير إخلال ، والوصول إلى الهدف من أقرب الطرق .

ويؤخذ هذا من حجم رسالته - ﷺ - التي لم تتجاوز سطوراً معدودة ، بل إن قوله - ﷺ - : « أسلم تسلم » وقوله : « يؤتك الله أجرك » يثبت ويؤكد أنه قد أوتي جوامع الكلم ، وفصل الخطاب .. يصف الجاحظ كلامه - ﷺ - فيقول : « هو الذي قلَّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ... هجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام حفَّ بالعصمة .. لا يبطن ولا يعجل ، ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً ، ولا أحسن لفظاً .. ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ » (٢) .

ثالثاً : موضوع دعوته القرآن الكريم .

بقليل من التأمل ؛ يدرك القارئ أن كل مافي الرسالة مأخوذ اقتباساً من القرآن الكريم ، وهو الكتاب الإلهي الذي اشتمل على الحكم البالغة ، والتراكيب المعجزة ، فكان بحق منهل اللسان العربي المبين ، ومن ثم تزداد درجة الاقتباس رقياً ورفعةً حين يكون من القرآن الكريم .. وعلى هذا المنهج سار بلغاء المسلمين وخطباؤهم الذين قال فيهم الجاحظ (وكانوا يستحسنون أن يكون في الكلام .. أي من

(١) إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرن العظيم ٣/٢٥٦ ، ط / دار الفكر - بدون .

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / البيان والتبيين ١٧/٢ - ١٨ - بإيجاز - تحقيق

عبد السلام هارون ، ط - دار الفكر ، بيروت - بدون .

القرآن ، فإن ذلك مما يورث الكلام البهائم والوقار والرقعة وسلس الموقع (١).

ثم إنه - ﷺ - ضمن رسالته قول الله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢).

وفي تفسير هذه الآية يقول القرطبي (الخطاب لليهود والنصارى ومعنى السواء : أي العدل ومعنى) ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله (. .) : أي لانتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا ما حمله الله تعالى ، وهو نظير قول الله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . . ﴾ (٣) معناه أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله .

قوله (فإن تولوا . .) : أي عرضوا عما دعوا إليه .

قوله (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) : أي متصفون بدين الإسلام ، منقادون لأحكامه ، معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام (٤).

رابعاً : حسن اختيار من يحمل الدعوة .

وينبغي أن يكون حامل الدعوة ممن تتوفر فيه الصفات التي تؤثر في المدعو ، وهذا ما فعله الرسول - ﷺ - من اختياره لحاطب بن أبي بلتعة ، فهو كما قال عنه [المقوقس] : « فإني أعلم أن صاحبك قد

(١) المرجع السابق ١١٨/١ بإيجاز .

(٢) آل عمران - ٦٤ - .

(٣) التوبة - ٣١ - .

(٤) محمد بن أحمد القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠٥ - ١٠٦ ، ط / دار الكتاب

العربي ، القاهرة - ١٣٨٧ هـ .

تخيرك حين بعثك «^(١).

وقد ظهرت في حاطب - رضي الله عنه - بعض المؤهلات الدعوية التي جعلت الرسول ﷺ يختاره ، ومنها :

١ - قوة الحجّة :

وتظهر في قوله [للمقوقس] : « ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به » ففي قوله إشارة إلى أن المسيح يدعو إلى الإيمان بمحمد - ﷺ - قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾^(٢).

وتظهر - كذلك - قوة الحجّة في جوابه [للمقوقس] حين سأله (مامنعه إن كان نبياً أن يدعو علي فيسلط علي) ؟ فرد حاطب :

(مامنع عيسى أن يدعو علي من أبي عليه) ؟ .

ب - العلم .

ويظهر علمه حين عرض على [المقوقس] محاسن الإسلام ، وحين أجاب على أسئلة المقوقس عن النبي ﷺ ، وعن دين الإسلام ، ومن تلك الأسئلة (إلام يدعو محمد ؟ فكم تصلون ؟ من أتباعه ؟ ماوصفه ؟ .

ج - الحرص على تبليغ الدعوة .

ويظهر في إجابته على أسئلة [المقوقس] الكثيرة ، وكذلك تكرار الموعدة (فأعادها حاطب عليه ، فسكت) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ .

(٢) الصف ، آية - ٦ - .

- ومن الأساليب التي استخدمها حاطب رضي الله عنه :
- أ - التدرج في عرض أحكام الإسلام ، ويظهر في قوله : « أن تعبد الله ، ولا تشرك به وتخلع ماسواه ، ويأمر بالصلاة .. »^(١) .
- ب - أسلوب ضرب الأمثال وحسن اختيارها .
- ويظهر حين ضرب له مثلاً بفرعون حين زعم أنه الرب .
- قال حاطب : « إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب فانتقم الله به ، ثم انتقم منه » أما حسن اختيار المثل ، ومناسبته ، فيظهر في أن من ضرب به المثل [فرعون] كان في المكان الذي كان فيه [المقوقس] .
- ج - أسلوب الترهيب .
- ويظهر في قول حاطب : « فاعتبر بغيرك ، ولا يُعتبر بك » .
- د - أسلوب الترغيب .
- ويظهر ذلك في قول حاطب : « وإن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام » .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١ .

البحث الثاني

دعوة أهل مصر في خلافة الصديق - رضي الله عنه ،

لقد تكرر إرسال حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - إلى مصر في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - . . .
ذكر ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر (أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى [المقوقس] بمصر ، فمر على ناحية قرى الشرقية ، فهادنهم وأعطوه ، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فقاتلوه ، فانقض ذلك العهد ^(١) .

هذا ويبدو للباحث أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - لم يكن له دور في دعوة أهل مصر غير ما ذكر ، وسبب ذلك يعود للعوامل الآتية: -

١ - انشغاله بتنفيذ وصية الرسول - ﷺ - بأن يتم خروج جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - ، ومتابعة مسيره ، والتي كان من ثمار تنفيذ تلك الوصية وصول الدعوة الإسلامية إلى الشرق والغرب ومن ذلك مصر .

٢ - انشغاله بفتنة الردة التي حصلت بعد وفاة الرسول - ﷺ - والتي كان خطرها يهدد عاصمة الإسلام المدينة .

٣ - قصر الفترة الزمنية التي تولى فيها الخلافة .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٥ ، وانظر : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١٠٥/٨ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط / دار إحياء الكتب العربية .

لقد كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أبرز الصحابة الممتثلين لقول الله سبحانه وتعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)^(١)، ومن ثم كانت حياته كلها خالصة للدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ، بل إن هم الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله كان معه حتى أيامه الأخيرة ، ويتجلى ذلك حين عهد بالخلافة - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

فقد وجه الفاروق - رضي الله عنه - إلى مواصلة سير الفتوحات الإسلامية ، ومتابعتها ، التي بدأت ببعث جيش أسامة - رضي الله عنه - ثم أخذ بزمامها ، وواصل توجيهها ، حتى شعر بدنو أجله ، فقال كلمته المؤثرة لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (إنني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثني^(٢) ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثني ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ..)^(٣) .

(١) سورة الأنعام ، آية (١٦٢) .

(٢) المثني بن حارثة الشيباني .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤٣/٢ .

المبحث الثالث

د الدعوة نبى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ،

بانتهاى الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام بدأ التفكير بفتح مصر
ودعوة أهلها إلى الإسلام .

وبما أن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - كان يعرف مصر من
حيث موقعها وحال أهلها ، إذ سبق له أن جاءها في الجاهلية قبل
الإسلام^(١) .

فقد أشار - رضى الله عنه - على الفاروق - رضى الله عنه -
بفتحها ، وبين له ما قد يحصل بفتحها من خير للإسلام والمسلمين^(٢) .

الأسباب التى دعت إلى فتح مصر :

مما لا شك فيه أن هناك دوافع وأسباباً تدفع أولئك الأصحاب بدءاً
من الفاروق - رضى الله عنه - لاستمرار الفتوحات الإسلامية عامة ،
وفتح مصر خاصة ، ومن هذه الدوافع :

١ - ما يمليه عليهم دينهم من وجوب الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر
الإسلام إقامةً للحجة على العباد ، وقياماً ووفاءً بحق الميراث الذى
ورثه العلماء عن الأنبياء . . قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً
حكيماً ﴾^(٣) .

(١) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٦ .

(٢) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

(٣) سورة النساء (١٦٥) .

وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عن عبدالرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « ليبلغ الشاهد الغائب عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه »^(١) ، ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً .

وفي الحديث عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن الرسول - ﷺ - بعد أن أعطى الراية علي بن أبي طالب قال له : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم »^(٢) .

وفي ترغيب المسلمين للقيام بواجب تبليغ الدعوة ، يروي أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^(٣) .

والنصوص في ذلك كثيرة ، أكتفي بما ذكرت منها .

٢ - أنه يترتب على فتح مصر فتح غيرها ، إذ هي مفتاح البلدان الأفريقية الأخرى ، فإذا وصلتها الدعوة الإسلامية فإنها ستصل عن طريقها إلى البلدان الأخرى .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قول النبي ص « رب مبلغ أوعى من سامع » ، ٢٠/٨ .

وانظر مسلم / صحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٤٢/٢ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب مناقب علي بن أبي طالب ٢٠٧/٤ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٤٦٦/٢ رقم الحديث ١٦ .

٣ - اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وأن يكون الإسلام واقعاً يعيشه الناس حكماً ومحكومين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

اختلاف المؤرخين في عرض موافقة عمر بن الخطاب على المسير لمصر :

وقد اختلفت الروايات في طرح الطريقة التي وافق بها الفاروق على المسير لمصر .

فمن المؤرخين من قال : « إن عمرو بن العاص سار إلى مصر بغير إذن عمر بن الخطاب »^(١).

ومنهم من قال : « إنه سار بعلمه لكن عمر تردد بعد ذلك »^(٢).

وبالنظر في هاتين الروايتين يتبين لي ما يأتي :

أن من روى خروج عمرو بدون موافقة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ أمراً وترك آخر متعلقاً به مستنداً على الرواية التاريخية القائلة : « كان عمرو بفلسطين فتقدم بأصحابه بغير إذن فكتب فيه إلى عمر فكتب إليه عمر وهو دون العريش ، فحبس الكتاب ولم يقرأه حتى بلغ العريش .. »^(٣).

ولكن المتتبع لمجموع الروايات التاريخية يتضح له أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن قدم إلى بيت المقدس ، واجتمع مع عمرو أذن له بالمسير إلى مصر وعلق ذلك بإرسال كتاب له إن كان رأى غير ذلك ، الأمر الذي يجعل الباحث لا يسلم بمضمون ماجاء في الرواية الأولى .

(١) ساق هذه الرواية البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢١٤ ، ط / دار الكتب العلمية - بيروت ،

وساقها ابن عبدالحكم في رواية أخرى ، ص ٤٧ .

(٢) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٧ .

أما رجوع عمر بن الخطاب عن رأيه بعد أن رجع إلى المدينة فقد صار حديث الكتاب ، ولذلك وجدنا منهم من ينفي هذا الرجوع ويصف هذا بأنه تردد من الخليفة ، ومنهم من قال بأنه رجع عن رأيه حين اقتنع بالأسباب .

وأرجح رأي من ذكر موافقة عمر في المرة الأولى ورجوعه عنه ، في كتابه لعمر و ذلك لأسباب أعرضها فيما يلي : -

أولاً : أسباب جعلت الفاروق يوافق على سير عمرو :

أ - ما ذكر من الأسباب العامة لفتح مصر .

ب - تحصين بيت المقدس ، وأنه لو لم يهاجم المسلمون مصر ، فإن

الذين هربوا من بيت المقدس قد يتفوقوا ، ويكروا على

المسلمين ، ومنهم [ارطبون] الذي فر إلى مصر^(١) .

ثانياً : أسباب جعلت الفاروق يأسر عمرو بالرجوع :

أ - الخوف على الجند من صعوبة المواصلة بعد انتهاء فتوح

الشام .

ب - لم ير الفاروق أن المسلمين قد تمكنوا تماماً من البلاد

المفتوحة .

ج - أخذه بمبدأ الشورى في الإسلام ، فهو حين رجع إلى المدينة

أشار عليه كبار الصحابة ، ومنهم عثمان بن عفان - رضي

الله عنه - بالرجوع^(٢) .

ومع أن أكثر الكتاب قد خاضوا في هذا الموضوع ، وأعطوه من

الهالة أكثر مما يستحق ، فمنهم من وصف عمر بالتردد ، ومنهم من

(١) انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٦ .

حاول نفي الرسالة الثانية لينفي التردد عن عمر ، ولعل من أخذ بالرأي الأخير لم يقرأ الروايات بتمعن ، إذ أن الروايات لاتفيد أبداً أن عمر كان متردداً .

إنما أفادت أن عمر رأى أن الوقت غير مناسب للأسباب التي ذكرت ، ورجوع الفاروق - من وجهة نظر القائل به - لم يكن عن نص شرعي حتى يجد الكتاب فيه مطيتهم بالخوض في هذا الرجوع ، فالرسول ﷺ في معركة بدر حين نزل منزلاً أشار عليه الصحابة بغيره ، وقبل منهم مشورتهم فهل نعد هذا تردداً ؟ .. ثم إنه من غير المتصور عقلاً أن عمر لا يريد أن يدعو أهل مصر ، الأمر الذي يجعل الباحث يؤكد على أن هدف تبليغ الدعوة لأهل مصر وارد في ذهن الفاروق ، ولكن الوقت المناسب لم يكن رآه قد حان بعد ، ومما يؤكد هذا أن كتاب الفاروق إلى عمرو فيه سعة ، فهو لم يقل إن وصلت كتابي فارجع ، ولكنه قال : « فإن أدرك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها .. فانصرف .. »^(١) .

ثم إنه على رأي من يقول : إن الفاروق أعطى لعمرو الموافقة الأولى ، فإن رواية ابن عبدالحكم تبين أنها معلقة بالكتاب قال عمر : « سر وأنا مستخير الله في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله فإن أدركك .. »^(٢) .. الخ .

وصول كتاب الفاروق إلى عمرو :

وصل كتاب الفاروق - رضي الله عنه - إلى عمرو مع شريك بن عبده في [رفح] فتخوف عمرو أن يكون فيه أمراً بالرجوع عن مصر

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

كما عهد له قبل ذلك ، فدافع الكتاب حتى وصل ما بين رفح والعريش فسأل عنها قيل من مصر . فقرأ الكتاب ، وفيه أنه إذا لم يكن دخل مصر فليرجع فقال لأصحابه : أستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع
فسيروا على بركة الله^(١) .

طلّاع الدعاة تسيير إلى مصر :

سارت طلّاع الإيمان تقارع الكفر وأهله ، تحمل أعز رسالة ، وأخذ عقيدة ، وأحسن دعوة ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾^(٢) .

سارت واثقة الخطى في طريقها بوعد الله الفوز بإحدى الحسينين . . - النصر أو الشهادة - موقنة بهدفها وغايتها .

إن أولئك الدعاة الذين ربّاهم وعلمهم محمد - ﷺ - حملوا هذه الرسالة ، وقاموا بإبلاغها على أتم وجه ، ساروا يقودهم عمرو بن العاص ، راغبين إلى الله ، هدفهم فتح قلوب العباد قبل السيطرة على البلاد ، وليس لهم سوى ذلك هدفاً ، ومن ثم كانوا - مع تحركهم العسكري - دعاة لاغزاه !

ساروا بإيمانهم الذي حطم عروش كسرى ، وأدخل الرعب في النفوس ، مع قلة العدد والعتاد .

وقد عبر المؤرخ [بتلر] عن قوة المسلمين الأوائل بقوله : (وليت شعري ماذا كان يدور بنفوس أهل مصر إذ ذاك ، وبأي عين كانوا

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

(٢) سورة فصلت ، آية ٣٣ .

ينظرون إلى تلك الحركة العظيمة التي ثارت في بلاد العرب ، فما زالت حتى قرعت بلاد الشام وهزت مدائنها هذا ^(١) .

وقد كان مسيرهم في زمن فاضل ، إذ وافق عشر ذي الحجة .
وأدركهم يوم النحر بالعريش .

ولم ينس أولئك الدعاة - وهم في مرحلة استعداد لملاقاة عدوهم - سنن ذلك اليوم ، إذ ضحى عمرو عن أصحابه بكبش ^(٢) .

وصول الأنبياء إلى [المقوقس] بتحريك المسلمين :

لما علم [المقوقس] بقدوم عمرو وجيشه ، توجه إلى الفسطاط استعداداً لتجهيز الجيوش ، وكان على القصر رجل رومي يقال له :
[الأعيرج] والياً عليه تحت يدي [المقوقس] ^(٣) .

سير الدعاة إلى [الفرما] :

سار عمرو ومن معه حتى وصلوا مفتاح مصر من الجهة الشرقية ، وهي [بلوز] وقد سماها المسلمون [الفرما] ^(٤) .

وهي مدينة محصنة ، وتتصل بالبحر بخليج يتصل بها ، وهي تقع بالقرب من مدينة [بورسعيد] الحديثة ، إذ تقع مدينة [بورسعيد] للجهة الغربية منها ^(٥) ، وبها من آثار المصريين القدماء أشياء كثيرة ^(٦) .

(١) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة أبو حديد ، ص ٢٢٤ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٨ ، وانظر الفرد بتلر لمصر ، ص ٧ ، ويذكر بتلر أن اسم والي الحصن هو [جريج بن ميناء] .

(٤) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٢ ، واسم المدينة بالقبطية (برمون) . انظر المرجع السابق .

(٥) سيده إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام ، ص ١٣ ، ط / دار الطلائع ، مصر ، ١٩٨٧ م .

(٦) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٢ .

وحاصرها المسلمون ، وقدموا فيها تضحيات كبيرة ، واستمر حصارها قرابة الشهر حتى أتم الله لهم فتحها ^(١) .
أثر فتح الغرما على الدعاة المسلمين :

كان لهذا الفتح آثار على الدعاة المجاهدين أوجزه في النقاط الآتية : -

- ١ - ارتفعت به روح المسلمين المعنوية ، فرغم قلتهم ، وتمكن عدوهم إلا أن الله قد حقق لهم النصر .
- ٢ - أصبح لهم قاعدة ينطلقون منها إلى غيرها من الأقاليم في مصر .
- ٣ - أصبح الطريق لهم ممهداً ، ومتصلاً بعاصمة الإسلام « المدينة المنورة » وذلك لوصول أي مدد يأتي ^(٢) .

سير الدعاة إلى [بلبيس] :

ثم واصل الدعاة سيرهم إلى [بلبيس] ، ووجدوا بها القائد الرومي [الأرطبون] الذي فر من فلسطين .
وحصل في [بلبيس] قتال شديد استمر شهراً حتى هُزم دعاة الباطل ، وولوا مدبرين ^(٣) .

سير الدعاة إلى [أم دنين] :

ومضى عمرو وأصحابه في اتجاه [أم دنين] ، وأبلى المسلمون فيها بلاءً حسناً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ولم يتمكنوا منها ابتداءً .
فكتب عمرو إلى الفاروق يطلب المدد .

(١) انظر ابن عبدالحكم ، ص ٤٨ ، وبتلر ، ص ٢٤٣ .

(٢) انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٤ .

(٣) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٩ ، وانظر الفرد بتلر ، فتح العرب

لمصر ، ص ٢٤٧ .

وخلال ذلك قاتل المسلمون الروم قتالاً شديداً حتى أتم الله فتحها

لهم .

الدعاة في رباط دائم :

بعد أن أتم الله فتح [أم دنين] ، لم يشأ عمرو أن يغامر بجيشه

قبل وصول المدد من الخليفة عمر - رضي الله عنه - .

هذا ، والروم لا يزالون يحشدون حشودهم لملاقاة المسلمين .

فرأى عمرو أن من الأنسب إشغال جيشه وكأنته معسكر لخوض

المعركة القادمة ، وكذلك لتلايؤتى الحذر من مأمته ، فلو بقي الجيش في

مكان واحد ربما انقض الروم عليهم .

فالحذر في مثل هذه المواطن وغيرها مطلوب . . ﴿ يا أيها الذين

أمنوا خنوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾^(١) .

ولنا في معركة أحد خير شاهد ، وذلك حين نزل الرماة من الجبل

ولم يحذروا من كرة الكفار^(٢) .

وصول المدد الذي أمر به الخليفة عمر :

وصل المدد الإسلامي إلى أرض مصر ، وقدر المدد بأربعة آلاف

رجل .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : (إنني قد مددتك

بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف : الزبير بن

العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد .

وقال آخرون : بل خارجة بن حذافة الرابع ، لا يعدون مسلمة^(٣) .

(١) سورة النساء ، آية (٧١) .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٨٤٤/٣ .

(٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥١ .

مواجهة عين شمس :

بعد وصول المدد ، وتحصن الروميين في حصن [بابليون] ، وضع عمرو بن العاص - ومن معه من القادة - خطة عسكرية محكمة تؤيدها عناية الله سبحانه .

فقد قسم الجيش إلى ثلاثة أقسام . . . قسم يكون مع عمرو ، وقسم في [أم دنين] ، والقسم الثالث في ثنية الجبل .

ولم ير الروميون الفرقتين اللتين وضعهما عمرو ، فأخذ عمرو يستدرج الروميين للخروج من الحصن ، ومقابلته في عين شمس ، والتي يسميها الروميون [هليوبولس] ، فخرج الروميون بين البساتين التي تقع شمال شرق حصن [بابليون] ، وكان ذلك في الصباح الباكر ، ولم يعلموا بما دبّره عمرو ومن معه .

فحدثت المواجهة بين عمرو وجيشه وبين الروميين ، وحمي الوطيس ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ومع اشتداد المواجهة ، جاءت الفرقة التي في ثنية الجبل من مؤخرة الروميين ، فحلّ الذعر والرعب في صفوف الروميين ، وعرفوا أنهم أحيط بهم بين جيشين ، ولم يكن لهم مفر إلا نحو [أم دنين] وهي مكان الفرقة الثالثة من جيش عمرو ، فلما واجهوها ، رأوا أن الهزيمة حلت بهم ، وأن المسلمين قد أحاطوا بهم من كل جانب ، وكانت النتيجة على حد تعبير [بتلر] في كتابه « فتح العرب لمصر » بقوله عن الروميين : (فَفَرُّوا لايِلُون على شيء يطلبون النجاة من سيوف العرب ، وهي تلمع كأن وميضها وميض البرق . .)^(١)

(١) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٣ .

مواصلة الدعاء سيرهم إلى حصن [بابليون] :

يعد حصن [بابليون] مكاناً تتوفر فيه جميع أسباب القوة حتى مياه النيل تجري من تحت أسواره^(١) .

فبدأ عمرو وجيشه بحصار الحصن من جهة الشمال ، وفرق بقية الجيش حول أنحاء الحصن للتحرش بحماته .

واستمر حصار الحصن طويلاً ، حتى ضعفت قوة الروم المعنوية .

شجرة الدعوة تسقى بالدماء :

لما أبطأ الفتح على المسلمين ، قام الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقال (إني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلماً إلى جانب الحصن . . ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً)^(٢) .

(١) موقعه الآن في مكان يسمى (مصر القديمة) ، وكان باقياً من أسواره ثلاثة جوانب حتى عهد قريب ، وسمك أسواره ثمانية عشر قدماً وبنائها من الآجر والحجارة طبقة من هذه وطبقة من الأخرى ، وأما علو أسواره فهو ما يقارب ستين قدماً ، وأما صروحها فكانت أعلى من ذلك إذ أن من يصعد إلى أعلاها يشرف على منظر عظيم يبلغ مداه إلى المقطم شرقاً وإلى الجيزة والأهرام غرباً وإلى النيل شمالاً وجنوباً ، وأما بناء الحصن فقد كان قديماً جداً إذ أن أول من بناه الامبراطور الروماني [تراجان] في عام ١٠٠ م وذلك حين ثار اليهود بالإسكندرية فأرسل إليهم [تراجان] جيشاً عظيماً بقيادة [مرقيس تريبو] فوصل إلى مصر وبنى فيها الحصن . انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٩ - ٢٧٥ .

وسبب تسمية الحصن بحصن [بابليون] فقد ذكره ديودور الصقلي بأن ملك مصر حينذاك جاء بجماعة من أسرى البابليين وأنزلهم في قصر ، فأطلقوا على القصر اسم المدينة التي جاؤوا منها ، نقلاً عن الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٧٤ .
وقد سمي الحصن أيضاً (قصر الشمع) وهي تسمية متأخرة إذ أن سبب هذه التسمية وجود هيكل للنار زمن تملك الفرس لمصر ، واسم الحصن بالقبطية [بابلون - أن خيمي] . انظر المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

الخوف يذب في نفوس الروميين :

لما حصل اقتحام الحصن عن طريق الزبير ومن تبعه ، وبعد أن كبروا أجابهم المسلمون من الخارج ، عند ذلك أيقن الروميون أن المسلمين اقتحموا الحصن ، فخرج [المقوقس] وجماعة من أكابر القبط إلى جزيرة خارج الحصن .

ما الذي وراء هذا الانتصار العظيم ؟ :

لابد أن يتساءل الروميون عن سر هذا التفوق ، وعن سر هذه التضحيات العظيمة التي بذلها المسلمون .

أرسل [المقوقس] إلى عمرو بن العاص ، فقال له : « إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألحتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم فابعث إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء »^(١).

تأخر الرد :

حين جاء رسل [المقوقس] إلى عمرو بن العاص حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم [المقوقس] فقال لأصحابه : (أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ؟)^(٢).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٣ .

وغاب عن [المقوقس] ، أن الهدف من حبس عمرو لرسله ينحصر في إجبارهم على رؤية واقع المسلمين ، وتصويره بدقة لقومهم حين يرجعون إليهم ، فيفت ذلك في عضدهم ، ويضعف روحهم المعنوية ، الأمر الذي ينال من عزيمتهم وقوتهم .

رد يحمل أكثر من رسالة :

كان رد عمرو بن العاص على [المقوقس] من شقين ، الأول : يؤخذ من خلال مالمسه رسله من واقع المسلمين ، والثاني : كان رداً كتابياً يتمثل في قول عمرو : (ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما إن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)^(١) .

أثر الرد على [المقوقس] :

عجب [المقوقس] لهذا الرد ، فهو رد الواثق مما يقول . فأراد [المقوقس] أن يتعرف على واقع أولئك القوم ، فسأل رسله : (كيف رأيتموهم ؟ قالوا :

- رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة .
- والتواضع أحب إليهم من الرفعة .
- ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمه .
- إنما جلوسهم على التراب .
- وأكلهم على ركبهم .
- وأميرهم كواحد منهم .
- ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم)^(١) .
كلمة حق قالها [المقوقس] :

بعد أن سمع ما رآه أصحابه قال [المقوقس] :
(والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقوا على الخروج من موضعهم)^(٢) .
[المقوقس] يفتنم المفاوضة :

طلب [المقوقس] من عمرو بن العاص أن يرسل رسلاً للتفاوض :
(ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ، ونتداعى نحن وهم إلى ماعساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم)^(٣) .
فأجاب عمرو إلى طلبه ، وأرسل له عشرة نفر متكلمهم عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .
الدعاة هدفهم نشر الإسلام وليس الاعتداء :

الدعاة المسلمون هدفهم نشر رسالة السماء ، ولم يكونوا طلاب مال وجاه ، ولم يكن الاعتداء المحض هدفهم في أي حال من الأحوال ، ولو كان الاعتداء هدفهم لما وقف المنتصر ليفاوض .
ولنقف مع هذا الحوار الذي جرى بين [المقوقس] ورسول عمرو يتقدمهم عبادة بن الصامت .

(١) ابن عبدالحكم : فوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(حين قدم عبادة إلى [المقوقس] هاب منظره لسواده وقال : نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني ، فأجاب أصحابه : إنه أفضلنا وأمرنا بطاعته .

فقال [المقوقس] لعبادة : (تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة ، فتقدم إليه عبادة فقال : لقد سمعت مقاتلك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك - بحمد الله - ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً وكذلك أصحابي ، وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ماغنمنا من ذلك حلالاً ، ومايبالي أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لايملك إلا درهماً ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسدُّ بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لايملك إلا ذلك كفاه . وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده ، ويبلغه ماكان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا مايمسك جوعته ، ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضاء ربه ، وجهاده عدوه .

فلما سمع [المقوقس] ذلك منه ، قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ، لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ما أظن ملكهم إلا

سيغلب على الأرض كلها ، ثم أقبل [المقوقس] على عبادة فقال : أيها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلك ، وماذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري مابلغتم مابلغتم إلا بما ذكرت وماظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، وإن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا ، وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالاقوام لكم به .

فقال عبادة : يا هذا لاتغرن نفسك ولا أصحابك أما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لانقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ماقلت حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾^(١) ، وما منا رجل إلا هو

(١) سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .

يدعوربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ، ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همٌ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا ، وأما قوك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، فانظر الذي تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا ، إما أجبتكم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الله فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتكم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف ، حتى نموت من آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم .

فقال له [المقوقس] : هذا ما لا يكون أبداً ، ماتريدون إلا أن تتخذونا فنكون لكم عبيداً ما كانت الدنيا فقال له عبادة : هو ذاك فاختر ماشئت .

فقال له [المقوقس] : أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟ فرفع عبادة يديه فقال : لا ورب هذه السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء مالكم عندنا خصلة غيرها فاختراروا لأنفسكم (١) .

[المقوقس] يستشير أصحابه :

قال [المقوقس] لأصحابه - بعد أن حاور عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - (قد فرغ القوم فما ترون . فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل ؟ أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم ، فهذا ما لا يكون أبداً أن نترك دين المسيح وندخل في دين غيره لانعرفه ، وأما ما أرادوا من أن يسبوننا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك ، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا ، فقال [المقوقس] لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم في مرتكم هذه ماتمنيتم وتنصرفون .

فقام عبادة وأصحابه (٢) .

تيقن [المقوقس] بنصر المسلمين :

كان [المقوقس] في حوار مع عبادة - رضي الله عنه - والذي ركز فيه على قوة الروم ٠٠٠ يريد أن يخوف عبادة وأصحابه إلا أن الذي في نفسه وأظهره لأصحابه كان غير هذا .

عندما انصرف عبادة ومن معه قال [المقوقس] لأصحابه : (أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث . فوالله مالكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

كارهين . فقالوا : وأي خصلة نجيبيهم إليها . قال : إذن أخبركم .
أما دخولكم في غير دينكم فلا أمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم
أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة .
قالوا : أفنكون لهم عبيداً أبداً ؟ قال : نعم . تكونوا عبيداً مسلوطين
في بلادكم آمنين على أنفسكم ، وأموالكم ، وذراريكم ، خير لكم من أن
تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا في البلاد ، مستعبدين
أبداً أنتم وأهلوكم وذراريكم .
قالوا : فالموت أهون علينا (١) .

وعندما رأى المسلمون ذلك الموقف المتشدد من الروم (ألحوا عليهم
بالقتال حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم وقتل خلق كثير منهم وأسر من
أسر) (٢) .

الإذعان لمطالب المسلمين :

حين رأى الروميون أن الأمور تسير في غير صالحهم أذعنوا
للجزية .

قال [المقوقس] لأصحابه : (ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؟
ما تنتظرون ؟ فوالله لتجيبيهم إلى ما أرادوا طوعاً ، أو لتجيبيهم إلى
ما هو أعظم منه كرها ، فأطيعوني من قبل أن تندموا . فلما رأوا منهم
مارأوا وقال لهم [المقوقس] ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على
صلح يكون بينهم يعرفونه) (٣) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٥ .

لماذا رضي المسلمون بالصلح - مع أنهم منتصرون ؟ :

لم يكن للدعاة هدف إلا نشر الإسلام ، ولو كان غير ذلك لما رضوا بالمفاوضات ويتضح هذا المعنى من قول السفير الإسلامي عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - : (وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلباً للاستكثار منها ..)^(١).

والصلح خير للدعوة :

حين عرف الأعداء بقوة المسلمين وقدرتهم أتى دور الصلح الذي كان أثره - بلا شك - على الدعوة في مصر حسناً ، وفي بيان حقيقة الصلح يقول ابن عبدالحكم : (اصطالحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شيء ، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في شيء منها فشرط هذا على القبط خاصة)^(٢).

تسامح ما أعظمه :

ثمة سؤال قد يثار ، ألا وهو لماذا يتسامح المسلمون ويلبون ماطلبه [المقوقس] حتى بعد هزيمته ؟ ! .

(شرط [المقوقس] للروم أن يخيروا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماً له مفترضاً عليه ممن أقام

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

بالإسكندرية وماحولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن [للمقوقس] الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعا على ماكانوا عليه .

وكتبوا به كتاباً وكتب [المقوقس] إلى ملك الروم كتابا يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه (١).

ولما حصل ما حصل من الملك وضح [المقوقس] لعمرو بأن سلطانه على نفسه ومن أطاعه ، أما الروميون فهو منهم بريء .
وطلب من عمرو ثلاثة أمور :

- ١ - ألا ينقض بالقبط ، وأن يدخله معهم ، ويلزمه مايلزمهم (٢).
 - ٢ - ألا يصلح الروم بعد اليوم حتى يتخذهم عبيداً ، فهم على حد قوله :
(نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني) (٣).
 - ٣ - إذا مات أن يدفن في [أبي يحنس] (٤) في الإسكندرية (٥).
- فما كان من ابن العاص إلا أن أحسن إليه وأجابه إلى طلبه .

العهد الذي تم بين عمرو بن العاص وأهل مصر :

ذكر الطبري في تاريخه العهد الذي كان بين عمرو بن العاص عن المسلمين وبين أهل مصر ، وفيما يلي نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ، وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ،

(١) ابن عبدالحكم : فوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٤) معبد في الإسكندرية يسمى بهذا الإسم وهو في الأصل مكان شرقي الإسكندرية .

(٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ .

وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ماجنى لصوتهم^(١) ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، على مافي هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألا يغزوا ولا يمتنعوا من تجارة صادرة ولاواردة شهد الزبير ومحمد وابناه وكتب وردان وحضر^(٢) .

سير الدعاة إلى مصر السفلى :

بعد أن أتم الله للمسلمين فتح حصن [بابليون] وحصول العهد لم يرض بعض الروميين بهذا الأمر ولاهرقل ، فسير الجيوش إلى الإسكندرية وهو يقول : (لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها)^(٣) .

(١) أي اللصوص .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الملك والملوك ١٠٩/٤ ، ط / دار بيروت (بدون) .

(٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٧ ، وانظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ،

ص ٢٥٠ ، ترجمة محمد أبو حديد .

وعلى الجانب الآخر سار عمرو ومن معه حتى بلغوا [ترنوط]^(١) فواجهوا طائفة من الروم قاتلوهم وهزمهم الله ، ثم سار إلى [كوم شريك] ، وحصل قتال نصر الله عمرواً وجنده ، ثم ساروا إلى [سلطيس] و [الكريون]^{(٢)(٣)} وصار النصر للمؤمنين .

السير إلى الإسكندرية :

سار دعاة الحق إلى قلب الروم ، وإلى معقلهم ، إلى تلك المدينة العظيمة التي ليس للروم كنائس أعظم من كنائسها . ساروا لإنهاء تلك [الإمبراطوريات] التي بقيت سنوات طويلة حتى جاء الإسلام ، فمزق تلك الدول وعلى يد هذه الطائفة المؤمنة الصابرة ، وتحقق الوعد الإلهي ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾^(٤) .

إن ملك الروم يتوجد على تلك المدينة بقوله : « لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم »^(٥) .

سار جنود الحق ، وكتبوا منهمجهم بدمائهم ، لم يشأ هؤلاء أن يجعلوا ما عرفوه يبقى في الأذهان أو كلاماً ينطق به اللسان ، إنما ترجموه إلى أفعال ، وحسبنا تلك الأفعال التي بقيت نموذجاً يحتذى للأجيال من بعدهم .

قاوموا تلك المدينة العظيمة بحصونها ومنعتها ، وأتم الله لهم

الفتح .

-
- (١) وقيل : [ترنوط] وسماها العرب : الطرانة وهي في الطريق ما بين القاهرة والإسكندرية . انظر سيده إسماعيل ، ص ٣٥ .
 - (٢) هذه الأماكن تقع جنوبي [دمنهور] الحالية . انظر سيده إسماعيل ، ص ٣٧ .
 - (٣) ابن عبدالحكم ، ص ٥٧ . وانظر الفرد بتلر ، ص ٣٥١ .
 - (٤) سورة غافر ، آية (٥١) .
 - (٥) ابن عبدالحكم ، ص ٥٨ .

بشارة الفتح إلى القائد الحقيقي للمعركة :

وبعد تمام نعمة الفتح على يد جيش عمرو بن العاص ، أرسل معاوية بن حديج إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مبشراً بإياه بفتح الإسكندرية وفي بيان حوار التبشير يقول ابن عبدالحكم - على لسان معاوية بن حديج - : (جئت عمر فقال : ما عندك ؟ فقلت : خير - يا أمير المؤمنين - فتح الله الإسكندرية - فخرج معي إلى المسجد ، فقال للمؤذن : أذن في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس ، ثم قال لي : قم فأخبر أصحابك ، فقمت فأخبرتهم ، ثم صلي ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات . .)^(١).

تعقيب :

لعل هذه الأحداث التي حصلت في مصر ، وعن طريقها وصل الإسلام إلى تلك البلاد ، لعلها لا تحتاج إلى تعقيب .
إن كل خطوة خطاها أولئك الأصحاب كانت مورداً تستقى منها الدروس الدعوية .

ولكن أبلغ تعبير ، وأصدق تصوير ، هو عرضها بهذه الطريقة التي تجعل القارئ يرى الاخلاص لله ، والتضحية في سبيله أمراً واضحاً ، بل ويرى أموراً تزيد في الإيمان ، وتؤكد تلك المفاهيم العالقة بالأذهان عن ذلك الجيل وذاك القرن .

إنه إن كان لي من وقفات حول الأحداث المذكورة ، فأفضل إرجاعها وتناولها في الفصول القادمة التي سألقي الضوء فيها على تلك الأحداث التي غيرت سير التاريخ في مدة وجيزة .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٢ .

لقد تعجب غير المسلمين من هذا التغيير السريع ، وتساعلوا عن أسبابه .

لقد تعجب أولئك من هذا التغيير الذي لم يغير المباني والطرق ، وإنما غير العقول والقلوب فقادها وصيرها مؤمنة بالله .

وقد قارن المؤرخون من غير المسلمين بين محاولة التغيير من قبل أصحاب تلك الإمبراطوريات السابقة ، وبين محاولة التغيير من قبل دعاة الإسلام ، فأصبح البون شاسعاً والمعادلة غير يسيرة .

إن نتيجة المقارنة التي قام بها المؤرخ [غوستاف لويون] هي أن ماعجز الإغريق والرومان عنه في مئات السنين ، جاء الإسلام وغيره في ربع قرن^(١) .

(١) انظر [غوستاف لويون] الدعوة إلى الإسلام ، ص ١١٢ .

الفصل الثالث

[المقبات المواجهة للدعوة فترة البحث]

التهمة :

ليس عجباً أن تلقى الدعوة الإسلامية - في كل عصر ومصر - أعداءً يواجهونها ، وخصوصاً يضعون شتى العقبات في طريقها ، كي يحولوا بينها وبين إذاعتها وانتشارها ، فيأمنوا على استقرار مالهم من أوضاع باطلة ، ومنافع عاجلة .

وعلينا أن نعلم أن المواجهة الدائمة بين الدعوة الإسلامية وبين خصومها ، ليست من قبيل الصراع الذي لا يهدف إلى شيء ، وإنما هو صراع له حكمة تسمو به عن العبث واللهو . . .

يقول الأستاذ محمد قطب في بيان الحكمة من وجود الصراع الدائم المذكور : [ولحكمة عليا أوجده الله في الأرض ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ ^(١) فلولا الشر الموجود في الأرض ، ومصارعة الخير له لركد الخير . . . ولم تعد له إيجابية حقيقية في الحياة ، وهذا الدافع الذي يدفع الله الناس بعضهم ببعض ، هو الذي يحيي الخير ويقويه ، وينشطه ويدفعه إلى العمل الإيجابي المنتج فلا تفسد الأرض ^(٢) .

ومن هذا المفهوم فإن الدعوة إلى الله لا يجدون الطريق أمامهم مفروشا بالورود إنما يواجهون - كما واجه من قبلهم - عقبات ومعوقات

(١) سورة البقرة ، آية (٢٥١) .

(٢) محمد قطب ، منهج الفن الإسلامي ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، دار الشروق - بيروت ،

تمنعهم من الوصول إلى أهدافهم أو تعسر الوصول إليها لتُحص فيها ذنوبهم وتزاد فيها حسناتهم .

والداعية المسلم ينال في دعوته المشقة والعناء كما ينالها أعداؤه ، ولكن الفارق هو الهدف والغاية يقول الله عز وجل : ﴿ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون . . .﴾^(١) .

وفي هذا الفصل ، سأعرض إن شاء الله تعالى العقبات التي واجهها الدعاة عند شروعهم في دعوة أهل مصر وكيفية اجتيازهم تلك العقبات .

وقد رتبت مبحثي هذا الفصل حسب التسلسل التاريخي للحوادث .

(١) سورة النساء ، آية (١٠٤) .

المبحث الأول

« عدم استقرار المسلمين بعد فتح بيت المقدس »

في الوقت الذي يفكر فيه الدعاة إلى الله تعالى في نشر الإسلام ، وتبليغه للناس ، تظهر العقبات وتتوالى أمامهم إعلاناً عن بدء المواجهة بين الحق والباطل .

ولذلك عندما بدأ التفكير في دعوة أهل مصر إلى الإسلام في اللقاء الذي تم بين الخليفة عمر بن الخطاب ، وبين القائد عمرو بن العاص ظهرت أول عقبة واجهها المسلمون ، وهي عدم استقرارهم بعد فتح بيت المقدس ، لأن هدف المسلمين هو الدعوة إلى الله تعالى ، وليس الاستمتاع بخيرات البلاد المفتوحة كما يدعي بعض الكتاب من غير المسلمين .

ولا بد لاستمرار الدعوة الإسلامية من تحقق الاستقرار لأهلها في كل بلد يفتحونها ، قبل أن يسيروا إلى غيرها .

ومما يوضح أن هذه العقبة كان لها أثر على المسلمين هو مايلي :

١ - أن الجنود الذين رافقوا ابن العاص كانوا قلة ، لأن أكثر جند

المسلمين متفرقون بين الشام والجزيرة .

٢ - تريت الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في اتخاذ

القرار النهائي وذلك لعدم استقرار المسلمين .

٣ - حاجة بيت المقدس بعد انضمامه للمسلمين إلى التأمين من مكر

الروم ، ومن ثم فهو لا يزال يتطلب من المسلمين جهوداً توفر لهم

نوعين من التمكين :

(١) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

أ - التمكين العسكري : وذلك بوضع طائفة من الجيش مستعدة

لأي ردة من قبل الروم .

ب - التمكين الدعوي : وذلك بنشر العلماء والدعاة الذين

يوضحون للناس الإسلام ومحاسنه ،

ويعلمونهم أمور دينهم .

ومما تجدر الإشارة إليه - في هذا المقام - أن بين الأمرين

المذكورين [التمكين الدعوي والعسكري] تلازم ، إذ تتعذر الدعوة مع

افتقاد الأمن والاستقرار في البلاد المفتوحة .

كيفية اجتياز الدعاة المسلمين هذه العقبة :

لقد حرص الدعاة المسلمون على اجتياز هذه العقبة بدءاً من الخليفة

عمر بن الخطاب وانتهاء بأصغر جندي في جيش المسلمين ، وأعدوا لذلك

ما استطاعوا من قوة مادية ومعنوية .

ومن الأمور التي ساعدت على اجتياز هذه العقبة ما يأتي :

١ - التعلق بالله سبحانه ، والاستعانة به والتوكل عليه .

وهو طريق رسمه رسول الله ﷺ في وصاياہ للجيش ، ومن بعده

أبو بكر - رضي الله عنه -^(١) ، وسار على نهجها عمر - رضي الله

عنه - فقد أوصى ابن العاص عند مسيره لمصر بقوله : « . . فامض

لوجهك واستعن بالله واستنصره »^(٢) .

وقبل هذا كان ديدن الفاروق - رضي الله عنه - عند تقدم الجيش -

أن يوصي الجنود بأن يتعلقوا بالله في جميع أمورهم ، ومما

(١) انظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق

محمد عبد الباقي ومحّب الخطيب ، المطبعة السلفية ، ١٠٥/٦ ، ١٠٦ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

يستشهد به في هذا الموضع ما كتبه الفاروق - رضي الله عنه - حين أمر معاوية بالتقدم إلى [قيسارية] .

أما بعد : (فإني وليتك [قيسارية] فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول : لاحول ولا قوة إلا بالله ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ونعم النصير)^(١) .

أيضاً جاء في كتابه إلى سعد بن أبي وقاص قبل القادسية ، أما بعد : (فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة . .)^(٢) .

وفي كتابه إلى سعد يوصي الجند بقوله : « اسألوا الله العافية وأكثروا من قول : لاحول ولا قوة إلا بالله »^(٣) .

٢ - إرسال الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قوة مساندة لعمر بن العاص تقدر بأربعة آلاف رجل^(٤) .

٣ - الإقدام .

الإقدام قد يكون - في بعض الأحيان - طريقاً لاجتياز العقبة . فمن آثار إقدام المسلمين على فتح مصر أنه بهذا الإقدام تحصنت البلاد المفتوحة التي كان آخرها في ذلك الوقت بيت المقدس ، فبدل أن يفكر الأعداء في العودة إليها شغلوا بغيرها ، ولاسيما أن [الأرطيون] الذي فر من بيت المقدس اتجه إلى مصر وبإمكانه - لو لم يقدم المسلمون - أن يجمع قواه ويرجع ، ولكن إشغاله بالهجوم عليه أدى إلى أن تؤمن البلاد المفتوحة عسكرياً ، وبالتالي يحصل الأمن الدعوي .

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ٩٢/٣ .

(٢) علي الخطيب ، عمر بن الخطاب ، ص ٢٠٣ ، عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٤) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

ومما يستشهد به على أن في تفويت الإقدام رداً معاكساً، ما حصل قبل غزوة الأحزاب حين ذهب حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ليستطلع أخبار المشركين فقد اقترح أبو سفيان طريقة يكتشف عن طريقها وجود العيون في صفوف الجيش من عدمه ، فأمر بأن يسأل كل فرد عن يمينه وشماله فابتدر حذيفة يسأل الذي عن يمينه والذي عن شماله في وقت واحد بعد أن ضرب على أيديهما^(١) .

فالشاهد من هذه الحادثة هو إقدام حذيفة ومبادرته لكل منهما بالسؤال فلو فوت حذيفة الإقدام ربما انكشف أمره .

هذا وعلينا أن نعلم أن للإقدام في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله مجموعة ضوابط أعرضها فيما يلي : -

أ - الإعداد الجيد والتخطيط الدقيق ، حتى لا تكون مواجهة الأعداء على حساب أرواح الناس ، فالشهادة في سبيل الله هدف لكل مسلم ، ولكن ليس بالمغامرة الملقية إلى التهلكة .

ويستشهد على هذا بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - : (أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ماسواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور .

وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحقُّ عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي

(١) كان الذي عن يمينه معاوية بن أبي سفيان والذي عن شماله عمرو بن العاص . انظر ابن

هشام ، السيرة النبوية ١٤٢/٣ .

وأبلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أن تهلك كما أهلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم (١) .

ب - التنظيم الداخلي السليم ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب من الريادة والقيادة . . فقد يكون هناك رجل مشهود له بالصلاح والتقوى لكن الأمر لا يتطلبه .

ويستشهد على هذا بحديث أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » (٢) .

فالرسول - ﷺ - بين أن هناك أموراً لا يصلح لها أبو ذر وهو الصحابي المشهود له بالخير والصلاح ، وهذا في الولاية الكبرى الإمارة ويقاس عليها الولايات الصغرى ، كقيادة الجيش . ومن معرفة الرسول - ﷺ - بأبي ذر رأى أنه ليس الرجل المناسب لمثل تلك الأمور .

ج - معرفة القدرة العددية سواء من العدو أم من الجيش نفسه ، وذلك بإرسال العيون لمعرفة ذلك ، كما فعل الرسول - ﷺ - في معركة الأحزاب وغيرها (٣) .

د - إحاطة القائد علماً بالكفاءات الموجودة في جيشه لينزلهم منازلهم ، ويستفيد من كفاءاتهم فقد يقوم الرجل مقام ألف رجل كما في

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ٩٣/٣ .

(٢) مسلم . صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب كراهة الامارة بغير ضرورة ، رقم الحديث ١٦ ، ١٢٤/٢ .

(٣) انظر أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٢/٦ ، ٥٣ .

كتاب الفاروق إلى عمرو بن العاص : (وإني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف)^(١) .
وقد يقوم الجندي المسلم مقام المائة رجل ، يقول عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - في حواره مع [المقوقس] : (وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي)^(٢) .

هـ - تحيُّن الفرص والأحوال التي تظهر جغرافية كانت أو نفسية ، وهو مدخل من مداخل الدعوة ، فقد تكون حال المدعو قابلة للدعوة في حال دون آخر ، وكذلك المكان .

وقد مرّ بنا موقف حاطب بن أبي بلتعة وعبادة بن الصامت - رضي الله عنهما - مع [المقوقس]^(٣) .

و - معرفة الهدف للمقدمين .

والهدف هنا واضح ومحصور في تبليغ دعوة الإسلام حتى لو ضحى الداعية لتحقيق هذا الهدف بنفسه ، إذ التضحية بالنفس شهادة في سبيل الله ، شهادة يتطلع إليها المسلم ، ويحرص عليها لما يعلم من عظم ثوابها ، وجزيل فضلها ، متمثلاً ذلك في الفوز برحمة الله ومغفرته ، قال الله تعالى : ﴿ ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾^(٤) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ص ٢٠-٢٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٥٧) .

ومتمثلاً في الفرح بالحياة الحافلة بشتى ألوان النعيم الحسي
والمعنوي ، قال الله تعالى : ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم
يحزنون﴾^(١) .

(١) سورة آل عمران ، آية (١٦٩-١٧٠) .

المبحث الثاني

« موقف أهل مصر من الدعوة الإسلامية ،

ذكر الباحث في الفصل السابق - عن الحالة الدينية في مصر - أن هناك مذهبين يسودان ، المذهب اليعقوبي ، والمذهب الملكاني ، وبدهي أن كان أتباع كل مذهب متمسكاً بما يدين به من عقائد ، الأمر الذي أوجد الفرقة ووسع الهوة بين المذهبين^(١).

ويطيب لي في هذا المبحث أن أبين موقف أتباع المذهبين من الدعوة الإسلامية بداية تبليغهم بها .

موقف الروميين :

كان لتمكن معتقداتهم الفاسدة في نفوسهم أكبر الأثر في إعراضهم عن الدعوة الإسلامية ، بل كان الأثر المباشر في عداوتهم لها . وقد كان هذا الأمر عقبة في طريق الدعاة المسلمين للوصول إلى قلوب هؤلاء المعارضين والتأثير فيهم .

لقد لجأ الروميون إلى استخدام وسائل وأساليب عديدة في الصد عن سبيل الله ، وعن سماع دعوة الحق ، تضيقاً للخناق حولها من جهة ، وإغلاقاً لكافة أبواب الفرص أمام دعاة الإسلام من جهة أخرى .

وبذلك فقد سلك الرومان مسلك سلفهم في إقامة السدود في وجه دعاة الحق ، قال الله تعالى : ﴿ ولئن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد

(١) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة ، ص ٥ .

الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير ﴿^(١)﴾ .
ولم يكن هذا الموقف المكابر من الروميين معتقداً مستقراً في القلب
وحسب ، وإنما استخدموا في سبيل الدفاع عنه وسائل وأساليب
أعرضها فيما يلي :
أولاً : اتخاذ العيون :

لا يخفى على أحد ما يحدثه الدخلاء على الجيوش من خلل ، ولعل
التاريخ خير شاهد على معارك خسر فيها الجيش الأقوى عدة وعتاداً ،
كل ذلك كان سببه دخول العيون في صفوفه ، ومعرفة عدد أفرادها ،
وقدرتهم على المواجهة ، وطرق سيره .

لذا كان بدهياً أن تكون أول وسائل الروميين اتخاذ العيون ، وهم
مجموعة من الأفراد لهم صفات خاصة يأتونهم بأخبار المسلمين .
يؤكد هذا [الفرد بتلر] في كتابه فتح العرب لمصر بقوله (فكان
الحزم يقضي أن يقيم [المقوقس] الأرصاء والربط في الصحراء ، حتى
أكتاف العريش على الأقل ، حتى يأتيه العلم بمسير القوم إليه في حينه ،
ليستطيع التعبئة ويسير للقائهم بمن معه جميعاً عند الفرما)^(٢) .

ثانياً : اتخاذ الحصون :

وقد كانت الحصون وسيلة أخرى من وسائل الروميين للدفاع ،
وصد المسلمين . وقد كان من أشد الحصون على المسلمين حصن
[بابليون]^(٣) الذي تحصنوا فيه وقاتل عمرو وجنوده الروميين قتالاً
شديداً يصبحهم ويمسيهم .

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٠ .

(٢) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٥ .

(٣) حصن [بابليون] موقعه وسبب تسميته ، انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ، ص ٤٢ .

ومما يؤكد صعوبة هذا الحصن أن عمرو بن العاص طلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يذكر ذلك ابن عبدالحكم : (أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر الذي يقال له [بابليون] وقاتلهم قتالا شديداً يصبحهم ويمسيهم فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر يستمده ويعلمه ذلك)^(١).

ومما يؤكد صعوبة الموقف بالنسبة للمسلمين ، ما ذكره محمد هيكل في كتابه الفاروق عمر : (فقد جاء الروم إلى حصن [بابليون] بجُلّ قوتهم ، وأمدوا حصن [أم دنين] بمسلحة قوية ، وتهيئوا لقتال لم يبق لديهم شك في أنه قتال حياة أو موت ، فإما ردوا العرب بعده على أعقابهم ، وإما قالوا في أعقابه ما قاله هرقل يوم ودّع سورية الوداع الأخير : عليك السلام يا مصر سلاماً لا اجتماع بعده !)^(٢).

ومن الحصون المشهورة التي اتخذوها « حصون الإسكندرية » والتي كان تحصينها قويا، إذ كان بناؤها حصناً دونه حصن^(٣).

ثالثاً : الإغراءات المادية :

ومن الأساليب التي واجه الرومان بها دعاة الحق ليحولوا بينهم وبين التمكين في الأرض أسلوب الإغراء بالمال ظناً منهم أن المسلمين جاؤا إلى هذه البلاد طلباً للمال ، ومما يؤكد هذا مقاله [المقوقس] لعبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وهو يحاوره : (وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلّة مابأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٠ ، وانظر محمد هيكل الفاروق عمر ، ص ١٠٢ .

(٢) محمد هيكل ، الفاروق عمر ، ص ١٠٢ .

(٣) انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٨ .

نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخيفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم .. (١).

رابعاً : الحرب النفسية :

وقد اتخذها الروميون أسلوباً للتأثير على المسلمين ، بثاً للرعب في نفوسهم ، وإضعافاً للروح القتالية العالية لديهم .. ويتمثل ذلك فيما ذكره [المقوقس] لعبادة بن الصامت - رضي الله عنه - من كثرة جيش الروم ، ومن ثقتهم بالغلبة يقول [المقوقس] : (وقد توجه إلينا لقتالكم جمع من الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ما يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم) (٢) .

وكتاب [المقوقس] إلى عمرو (وإنما أنتم عصابة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى في أيدينا) (٣) .

وفي كتابه أيضاً لعمرو بن العاص يهدده بكثرة الروم وصعوبة المنازلة على المسلمين بقوله : (قبل أن تغشاكم الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم) (٤) .

وبالإضافة إلى الأساليب الكلامية التي حاول الرومان من خلالها التأثير النفسي على المسلمين ، فقد استخدموا أيضاً أساليب عملية

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

تفت في ع ضد المسلمين وتضاعف التأثير السلبي في نفوسهم ،
وأستشهد على هذا بفعل بعض الروميين عندما خرجت طائفة منهم
خارج الحصن لقتال المسلمين واستطاعوا أن يقتلوا رجلاً من مهرة ،
فاحتزوا رأسه ، وانطلقوا به داخل الحصن^(١) . فهم بهذا الفعل يريدون
إضعاف بل تحطيم الروح المعنوية عند المسلمين .
خامساً : القتال :

مابرح الروميون يقاتلون المسلمين لصددهم ووضع العقبات أمام
دعوة الإسلام . . ولذا لم تكن الطريق ممهدة لدعاة الحق ، بل كان بذل
الدم ، والتضحية بالنفس ، هو السبيل لنشر الدعوة الإسلامية ابتغاء
رضوان الله .

ومما يوضح أن هذه العقبة كنود ، مالمقيه المسلمون في [الفرما]
من تصدي الروميين لهم ومقاتلتهم قتالاً شديداً استمر قرابة الشهر
وماحصل من مواجهة قتالية في [بلبيس] كذلك^(٢) .

ومما يؤكد تصميمهم وعزمهم على القتال قول بعض الروميين حين
عرض عليهم [المقوقس] الصلح ومادار بينه وبين عبادة بن الصامت -
رضي الله عنه - من حوار (فالموت أهون علينا . .)^(٣) .

ومن المواقف التي تبين استخدام الرومان وسيلة القتال لتكون عقبة
في طريق نشر الدعوة الإسلامية في مصر ماكتبه عمر بن الخطاب -
رضي الله عنه - لعمر بن العاص وذلك قوله : (أما بعد فقد عجبت
لإبطائكم عن فتح مصر إنكم تقاتلونهم منذ سنتين . .)^(٤) .

(١) انظر ابن عبدالحكم ، بتصرف ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٠ ، وانظر السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،

وكذلك ماكتبه ملك الروم إلى [المقوقس] يأمره بالتصدي للمسلمين والوقوف في طريقهم وعدم تمكينهم مما يريدون (إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ..)^(١).

أقول : هذه أشهر الوسائل والأساليب التي اتخذها الرومان لوقف زحف الهداية القادم على يد الدعاة إلى الله .
فقد واجهوه بكل ما أوتوا من قوة أملاً في صدده عن تحقيق أهدافه .

موقف الأقباط :

تشير كتب التاريخ إلى أن الأقباط - فترة موضوع البحث - كانوا قوماً مسالمين ، حيث لم يكن موقفهم مضاداً للمسلمين .. يؤكد ذلك ما ذكر سابقاً في الفصل الأول من سوء الحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، مما كان له أكبر الأثر في مناصرة المسلمين والوقوف معهم .

بيد أن المؤرخ [الفرد بتلر] كان يرى أن الأقباط كانوا من أشد المعارضين للمسلمين^(٢) .

إلا أن المؤرخين يخالفونه في ذلك .
ونرد على ما ذكره [بتلر] ، من وجهين :

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٥٦ .

(٢) انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٣ .

أ - نرد عليه من خلال ما ذكره في كتابه (فتح العرب لمصر) في كتاباته عن الأقباط (على أنهم [أي الأقباط] قد بلغهم أن المسلمين يدعون للمسيحيين أمور دينهم ، وفعلهم قد خطر بقلوبهم عند ذلك أن الخضوع للمسلمين قد يخفف من الآلام التي نغصت حياتهم ، وأن نير^(١) المسلمين قد يكون أخف حملاً من نير الملك الأصيل في دين المسيح وهو هرقل)^(٢).

هذا ما ذكره بتلر ، ولا يحتاج إلى تعقيب ، فلو طالعنا ما كتبه عن عدم مناصرتهم للمسلمين يناقضه هذا القول الصريح .
ثم إن [بتلر] في كتاباته يظهر تعصبه وأسفه على انهيار تلك الدولة بسؤاله عن تلك الجناية - على حد تعبيره - (أهي جناية [هرقل] أم هي جناية [المقوقس] وقد عصى سيده وخان أمانته)^(٣).

وكذلك مما يفند رأيه ما كتبه في مساعدة القبط للمسلمين ، وتفنيده لما كتبه (حنا النقويسي) : (من أن القبط لم يساعدوا المسلمين إلا بعد أن استولوا على الفيوم وإقليمها . .)^(٤) يقول [بتلر] : (ولكن الجلي أنه لم يكن إلا بعد فتح حصن [بابلليون])^(٥).
ففي كتابته الأخيرة أثبت المساعدة ، لكنه خالف في وقتها ، أما في السابق فقد كان ينفي وجود المناصرة من قبل القبط للمسلمين .

-
- (١) عبارة تحمل في معناها الحقد على الإسلام وهو أنه ثقيل ولكنه أخف من غيره .
(٢) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٢٣٥ .
(٤) حنا النقويسي ، مذكرات حنا نقلا عن بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٤ .
(٥) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٤ .

ولنقف عند عبارته السابقة قليلا وهو يقول : (وإن قولنا لما يشرف القبط ، إننا لانجد أقل دليل يبعثنا على الظن أنهم نظروا إلى تلك الحركة [أي الإسلام] نظرة الميل والرضى)^(١) .

ب - نرد عليه كذلك من خلال اتفاق المؤرخين على المناصرة^(٢) .

ومن أقر بهم لذلك العهد هو ابن عبدالحكم .

كذلك نلمح الإشارة من ملك الروم في كتابه السابق إلى [المقوقس] أنه إذا كره القبط قتال المسلمين ، فإن عندك من الروم أكثر من مائة ألف^(٣) .

كيفية اجتياز هذه العقبة :

سيأتي الحديث - إن شاء الله - في فصل قادم عن الوسائل والأساليب التي استخدمها الدعاة في مصر لنشر الدعوة الإسلامية عموما والوسائل التي اتخذت لاجتياز العقبات التي واجهتهم خصوصا .

وقد تكون الأخيرة وسيلة للدعوة من جهة ، ولاجتياز العقبة من جهة أخرى .

وإذا كنت قد ذكرت خمسة أساليب ووسائل اتخذها الروميون فسأعرض هنا الطرق التي واجه بها الدعاة تلك الوسائل والأساليب .

أولاً : مواجهة المسلمين لوسيلة اتخاذ العيون :

واجه المسلمون هذه الوسيلة بسرعة التحرك ، وبالتخطيط السليم ، وبالخدعة وأخذ الحذر .

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٤ .

(٢) انظر ابن عبدالحكم ، ص ٥٦ ، وانظر البلاذري ، فتوح البلدان ١٠١ .

(٣) انظر ص ٥٢ من هذه الرسالة ، وانظر ابن عبدالحكم ، ص ٥٦ .

فقد ورد أن العيون الذين أرسلوا من قبل [المقوقس] حين كان في حصن [بابليون] نقلوا إليه الأخبار عن مكان عمرو وسيره ، وأن مواجهة عمرو لهم ستكون من شرق الحصن ، فخرجوا من تلك الجهة . ولكن خطة المسلمين غيرت مانقلته العيون إلى [المقوقس] ، وذلك يظهر في تقسيم عمرو لجيشه إلى ثلاثة أقسام ، لم تر تلك العيون القسمين الآخرين ، فهزم الروميون في ذلك الموقف ^(١) .

ثانياً : مواجهة المسلمين لوسيلة اتخاذ الحصون :

كانت حصون الرومان منيعة وقوية ، ولكن قوة الإيمان أقوى منها ، ومن ثم واجه الدعاة عقبة الحصون التي وضعت في طريقهم بقوة الإيمان وبالتضحية ، وأستشهد على هذا بموقف الزبير بن العوام - رضي الله عنه - حين أبطأ فتح الحصن ^(٢) على المسلمين فقال : إني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع مسلماً إلى جانب الحصن ثم صعد وأمر - من معه من المسلمين - إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً ^(٣) .

ثالثاً : اجتياز الدعاة أسلوب الإغراءات المادية :

لقد واجه الدعاة تلك الإغراءات مواجهة حاسمة تتمثل فيما يلي :

١ - المواجهة القولية .

إن [المقوقس] حين حاول إغراء عبادة بن الصامت ومن معه بالمال ، ووجه برد قولي فوري عاجل يحسم الأمر في قضية الإغراء بالمال ، ويوضح - في الوقت نفسه - حال دعاة الإسلام ، وموقفهم من

(١) انظر الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٢ .

(٢) أي حصن [بابليون] سبق التعريف به ، انظر ص ٤٢ .

(٣) ابن عبدالحكم ، ص ٥٢ بتصريف ، وانظر [الفرد بتلر] ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٨١ .

متع هذه الحياة ، وذلك بقول عبادة : (وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه)^(١).

ب - المواجهة الفعلية :

ومن أمثلتها ، ماكان من عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - فقد أورد ابن عبدالحكم في كتابه « فتوح مصر وأخبارها » هذه الحادثة: (لما حصر المسلمون الحصن كان عبادة في ناحية يصلي وفرسه عنده ، فرأه قوم من الروم فخرجوا إليه ، وعليهم حلية وبزة ، فلما دنوا منه سلم من صلاته ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم ، فلما رأوه غير مكذب عنهم ، ولوا راجعين واتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ولايلتفت إليه حتى دخلوا الحصن)^(٢).

ومما يؤكد هذا الرد الفعلي على تلك الإغراءات أنه حتى بعدما رجع عبادة - رضي الله عنه - من مطاردتهم لم يعرض لشيء مما طرحوه ، حتى رجع إلى مكانه ، فاستقبل صلاته ، وبعد ذلك رجع أولئك النفر من الروم إلى متاعهم يجمعونه^(٣).

رابعاً : مواجهة الدعاة لأسلوب الحرب النفسية :

وقد واجه الدعاة المسلمون الحرب النفسية التي قام بها الرومان بحرب مماثلة ، بل إن حربهم النفسية قد تكون كلاماً ، وتهديداً ، وقد تكون عملاً له تأثير سيء على المعنويات ، فإن مواجهة الدعاة لتلك

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق بتصرف ، ص ٥٤ .

الحرب سار في اتجاهين مماثلين .

أ - الإنجاه القولي :

فالحرب الكلامية التي وجهها [المقوقس] لعبادة تلقى الرد عليها في حينه شديداً وقويماً فقد قال [المقوقس] للمفاوضين من المسلمين : (وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده . .)^(١).

وكان رد عبادة - رضي الله عنه - (يا هذا لا تغرن نفسك ولأصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لانقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته . .)^(٢).

ولعل المقام يسمح للباحث أن يتساءل . أهنالك ردّ أشد من هذا ، وحربٌ كلامي أشد من هذه الكلمات التي أدخلت الرعب في قلوب الأعداء ؟ كلا .

ب - الإنجاه الفعلي :

ذكر الباحث - في مبحث العقبات - كيف استخدم دعاة الباطل الحرب النفسية ؟ حين قطعوا رأس الرجل المهري ، وانطلقوا داخل الحصن .

ولعل الباحث يتساءل عن مواجهة هذا الفعل الذي أثر - بلا شك - على معنويات المسلمين .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

لقد كانت إذن المواجهة والرد بيد القائد عمرو بن العاص - حين قال - : (تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالي بغضبكم ، احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلاً ثم ارموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم ، فخرجت الروم إليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم فرمت الروم برأس المهري إليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم)^(١).

خامساً : مواجهة الدعاة لعقبة القتال :

لقد واجه الدعاة المسلمون قتال أعداء الدعوة بإعلان وإعلاء راية الجهاد في سبيل الله فقدموا الأرواح ، وضحووا بالغالي والنفيس لايهابون من لاقوا من أعداء الله . . غايتهم رضا الله - عز وجل - وطمعاً في وعده - سبحانه - عباده المؤمنين المجاهدين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾^(٢).

وسيأتي الحديث مفصلاً في مبحث لاحق - إن شاء الله . عن الجهاد في سبيل الله ، لكونه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى .

(١) ابن عبدالحكم : فوج مصر وأخبارها ، ص ٥٩ .

(٢) سورة التوبة ، آية (١١١) .

الفصل الرابع

[وسائل الدعوة وميادينها]

التمهيد :

إن للوسائل والياديين في الدعوة إلى الله تعالى أهمية كبيرة ، إذ عن طريقهما تصل الدعوة للناس ، ومن ثم فهما أداتان لإيصال هذا الخير لهم .

والرسول - ﷺ - وهو المعلم الأول ، استخدم الوسائل والياديين في دعوته إلى الله ، فقد دعا إلى الله - على بينة وبصيرة - بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادل بالتي هي أحسن بأشر (ﷺ) الخطابية ، وأقام الحلقات الدراسية داخل المسجد وخارجه ناظر أهل الكتاب وناقش كل من وفد إلى شبه الجزيرة العربية تبييناً لتعاليم دين الإسلام، ونشراً لأحكامه .

وحرصاً من الرسول - ﷺ - على استخدام كافة الوسائل التي تكفل الانتشار للدعوة الإسلامية ، وتحقق لها النجاح ، نجده - ﷺ - يرسل الرسل ، ويكتب الرسائل إلى الملوك والأمراء ثم نجده أمام إصرار المستكبرين على أن يصدوا الغير عن الخير الذي يكمن في الاستجابة للدعوة الإسلامية يستخدم ميدان الجهاد ، فيجاهد في الله حق جهاده ، ويقا تل لإعلاء راية الإسلام في الأرض ، وتكون كلمة الله هي العليا ، ولكي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وفي هذا الفصل - إن شاء الله - سأعرض الوسائل والياديين التي عن طريقها - وبعد توفيق الله - انتشرت الدعوة الإسلامية في مصر .

البحث الأول : الوسائل المطلب الأول : إرسال الرسل

إن أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى هي إرسال الرسل ، إذ أن رسالة السماء وصلت إلى العباد عن طريق الرسل .

وهؤلاء الرسل هم وسيلة نقل الخير إلى الناس ، يقول الله سبحانه:

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون ﴾^(١).

ومن المعلوم أن وجود الرسل وقيامهم بأداء رسالتهم يكون حجة على المدعوين ، فإن قبل المدعوون ماجاء به الرسل سعدوا في الدنيا والآخرة، وإن أعرضوا استحقوا العقاب من الله تعالى مصداقا لقوله سبحانه : ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾^(٢).

وعندما بعث رسولنا محمد ﷺ وهو خاتم النبيين استخدم كافة الوسائل المتاحة في تلك الفترة ، ومع ذلك فقد لاقى في سبيل ذلك أذى كثيراً ، ففي الحديث عن أبي حازم : أنه سمع سهل بن سعد الساعدي يُسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد ؟ فقال : جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت ربايعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار

(١) سورة المائدة (٩٩) .

(٢) سورة الأعراف (٣٥ ، ٣٦) .

رمادا ، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم^(١) .
فالقذوة الأول دعا إلى الله وجاهد في سبيله ، وتحمل ﷺ كافة
صنوف الإيذاء النفسية أو البدنية حتى أصبح للإسلام دولة مرهوبة
الجانب وأمة عالية المكانة .

الرسول ﷺ يوسل الرسل للدعوة إلى الله تعالى :

ومن كمال تبليغه ﷺ لرسالاته ، استخدامه للوسائل المتاحة في تلك
الفترة لنشر دين الإسلام .

فقد أرسل - عليه الصلاة والسلام - الرسل إلى عدد من الأقطار
ليوضحوا للناس الإسلام ويدعونهم إليه ، ومن أولئك الرسل مصعب بن
عمير - رضي الله عنه - حيث أرسله - قبل الهجرة - إلى المدينة ليدعوا
أهلها إلى الإسلام ، ويعلم من آمن منهم أحكامه .

وبعد^(٢) هجرته - ﷺ - إلى المدينة وبالتحديد بعد أن رجع من
الحديبية ، بدأ بإرسال الرسل إلى الملوك خارج الجزيرة العربية ، كما
ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته ، ولما كتب - ص - الرسائل قيل له :
يارسول الله إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما ، فاتخذ رسول الله
ﷺ - يومئذٍ - خاتماً من فضة ، نقشه ثلاثة أسطر :

الله

رسول

محمد

وختم به^(٣) .

(١) البخاري/ صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب المجن ومن يقترب بترس صاحبه
٢٢٧/٣ .

(٢) وقد أرسل ﷺ بعد الهجرة معاذ بن جبل معلماً للناس كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه
ابن عباس أن معاذاً قال : بعثني رسول الله - ﷺ - فقال : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب
.....) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ٨٣/٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥/١ .

وذكر الطبري أن الرسول ﷺ أرسل ثلاثة : رسل حاطب وشجاع ودحية^(١).

ورسل رسول الله ﷺ إلى الحكام هم : دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - أرسل إلى قيصر الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمي - رضي الله عنه - أرسل إلى كسرى ملك فارس ، وعمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - إلى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - إلى المقوقس حاكم الإسكندرية^(٢).

سمات الرسل المكلفين بحمل رسائل الدعوة :

ولابد للرسول الذي يرسل لنشر الدعوة الإسلامية أن يتحلى بمجموعة صفات ، أكتفي بذكر أهمها على النحو التالي : -

(١) قوة التحمل والتحمل بالصبر .

فإن الرسول قد يواجه المشقة في سبيل إيصال ما أرسل به ، فإذا كان لا يطيق المشقة ، ولا يستطيع تحمل ما يواجهه فإنه لن يصل إلى الهدف الذي أرسل من أجله .

(٢) الأمانة .

وينبغي للرسول أن يكون أميناً على الرسالة وما فيها ، وأن يوصلها إلى من أرسلت له ، سواء كانت مشافهة أم مكاتبة ، وإذا كانت الرسالة في أمور عسكرية للجيش فينبغي أن تصل لمن قصد وفي الوقت المناسب لها .

(٣) العلم ، والذكاء ، وعرفه أسلوب الحوار .

وهذه الصفات لها أهميتها ، لأنه قد يتعرض الرسول لأسئلة متعلقة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/٢٩٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤/٢٣٠ .

بما في الرسائل ، كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة - رضي
الله عنه - حين سأله [المقوقس] عما جاء في رسالة الرسول
ﷺ (١) .

(٢) معرفة لغة من أرسل إليهم .

وهذه من الصفات المكملة ، فإذا كان الرسول عالماً بلغة القوم ،
تمكن من اختيار العبارات المناسبة للمقام .

الرسل الذين أرسلوا إلى مصر :

والرسل الذين أرسلوا إلى مصر من بداية الدعوة الإسلامية هم :

١ - رسول رسول الله ﷺ إلى [المقوقس] ، وهو الصحابي حاطب بن
أبي بلتعة (٣) .

٢ - رسول الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى [المقوقس]
وهو حاطب بن أبي بلتعة (٣) .

٣ - رسل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى مصر ،
ومنهم : عقبة بن عامر الجهني (٤) .

وهناك رسل أرسلهم عمرو بن العاص - حين دخل مصر - لتبليغ
الدعوة ومنهم عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وقد أرسل إلى
[المقوقس] .

(١) انظر الفصل الثاني من الرسالة ص ٢١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٧١/٤ ، وانظر محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٦٠/١ ،
وانظر ابن هشام ، السيرة النبوية ١٤٦٣/٤ .

(٣) السيوطي . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١٠٥/١ .

(٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٠ .

والرسل الذين أرسلهم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لإخباره بنتائج الفتوحات ، ومنهم : معاوية بن حديج ^(١) ، فقد بعثه عمرو بشيراً بفتح الإسكندرية إلى الخليفة عمر ، وقبل أن يذهب ، طلب معاوية من عمرو أن يكتب معه كتاباً ، فقال له عمرو : وما أصنع بالكتاب ، أأست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة وما رأيت وما حضرت ؟ ^(٢) .

الأهداف التي أرسل من أجلها الرسل عند فتح مصر :

(١) التبليغ - وهو على وجهين :

١ - تبليغ وتوضيح الإسلام لغير المسلمين .

وهو هدف وضعه الدعاة المسلمون نصب أعينهم قبل القتال ، وخير ما يرشد إلى ذلك قول عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - رسول عمرو إلى [المقوقس] : « فانظر الذي تريده فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولانجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا ، إما أجبتكم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة » ^(٣) .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٢ ، وانظر السيوطي ، حسن المحاضرة في

أخبار مصر والقاهرة ، ص ٢١ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

ب - تبليغ الحاكم بالمستجدات في المعارك ، والقائد بالآوامر ،
كما حصل بين الخليفة عمر والقائد عمرو بن العاص .
(٢) الإعتذار إلى الله :

إن القائمين على شئون الدعوة الإسلامية ، لا يكفون لحظة عن
الاستمرار في تبليغ الدعوة لأعداء الإسلام ، اعتذاراً إلى الله تعالى من
مغبة التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأملاً في إصلاح
واهتداء الأعداء بالموعظة المؤدية إلى تقوى الله وخشيته . . قال الله
تعالى - في قصة أصحاب السبت : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ
قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴾ (١).

ويستشهد الباحث على تحقيق هذا الهدف في مجال إرسال الرسل
قبيل فتح مصر بقول رسول عمرو بن العاص إلى [المقوقس] : (. . هذا
ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا
لأنفسكم . .) (٢).

وهو بهذه الكلمات يبين أن موقفه وأصحابه في البدء بالدعوة
والموعظة ، ومحاولة توضيح الإسلام للناس ، ثم الجزية وهي مقام آخر
يهيئ للدعوة الإنتشار عن طريق القيادة الإسلامية للشعوب ، وبعد ذلك
كله القتال إذا أغلقت الأبواب في وجه دعاة الحق وما يدعون إليه ، عند
ذلك يعذرون حين يتم التوضيح من خلال الرسائل .

(١) الأعراف ، آية (١٦٤) .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

رسل [المقوقس] إلى عمرو بن العاص ، وكيفية تسخير الداعية

رسل الأعداء لصالح الدعوة ؟

أرسل [المقوقس] رسلاً إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه -
ينقلون إليه الوعيد والتهديد بكثرة الروم ، ويبلغون طلب [المقوقس]
رسلاً يحاورهم .

وقبل أن يرد عمرو على طلب [المقوقس] ، حبس الرسل عنده
يومين وليلتين وذلك ليريهم حال الدعاة المسلمين^(١) ، وليكونوا وسيلة لنقل
واقع المسلمين الذي قد يؤثر على [المقوقس] ومن عنده .

الوضوح في مطالب المسلمين :

حين رجع رسل [المقوقس] ردوا إليه جواب عمرو بن العاص ،
وهو اختيار واحدة من ثلاث خصال :

١ - الإسلام : (إن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم
مالنا)^(٢) .

٢ - الجزية : (وإن أبيتم وأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون)^(٣) .

٣ - القتال : (وإما إن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين)^(٤) .

هذه ثلاثة أمور واضحة تبين أن المسلمين يسيرون وفق منهج واضح

ومحدد .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

كيف نقل رسل [المقوقس] حال الدعاة المسلمين ؟

حين جاء رسل [المقوقس] بجواب عمرو ، سألهم [المقوقس] عن أحوال المسلمين ، كيف رأيتهم ؟

فأخبروه بصفات لم يخبرهم بها أحد ، وإنما رأوها بأعينهم ، واطلعوا عليها بأنفسهم ، وشاهدوها واقعاً حياً تصطبغ بها حياة جنود الإسلام .

ويرى الباحث أن من حق المقام إيراد هذه الصفات على نحو مايلي :

١ - حب الموت كحب الناس للحياة .

وهذه الصفة قمة التضحية في سبيل الله .

لقد رأى رسل [المقوقس] جنوداً باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، سائرين على منهج موجههم محمد ﷺ ، واضعين نصب أعينهم قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .

ذلك الواقع الذي عبر عنه رسل الأعداء بقولهم : (رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة) (٢) .

٢ - التواضع .

وهذه الصفة أخذوها من المعين الذي لا ينضب ، وتعلموها من الرببي الأول - ﷺ - فزادتهم رفعة ومنزلة عند الله تعالى .

(١) التوبة ، آية (١١١) .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

وقد عبر عنها الرسل بقولهم (عن كل واحد من أفراد الجيش المسلم - والتواضع أحب إليه من الرفعة ..)^(١) وقولهم : (وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ..)^(٢).

٣ - الرغبة عن الدنيا .

وهذه الصفة بعض ما يفهم من قول رسل [المقوقس] عن جند المسلمين : (ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمه)^(٣).

٤ - الاستعداد للجهاد وعدم التثاقل عنه .

ويظهر ذلك من خلال ابتعادهم عن كل مظاهر الترف في الجلوس والأكل ، الأمر الذي جعل الرسل يعبرون عن ذلك بقولهم : (إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم)^(٤).

٥ - تقديس شعائرهم ومعائدهم .

وهو ما عبروا عنه بقولهم : (وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ..)^(٥).

إن تلك الصفات التي عرضتها بإيجاز شديد لم تكن كتاباً أو رسالة يوضح بها القائد المسلم صفات جنده ، أو يطلب منهم أن يتحلوا بها ، إنما هي نقل صادق من رسل أعداء المسلمين وترجمة صادرة ممن عاشوا حياة المسلمين اليومية ، فعرضوا على قومهم تلك الصفات التي رأوها رأي العين .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

أثر نقل واقع المسلمين على [المقوقس] :

حين نقل الرسل [للمقوقس] واقع المسلمين يرد سؤال :
ما النتائج التي استنتجها مما نقله الرسل له ؟ ومعلوم بدهشة أن
أولئك الرسل ليسوا رسلاً من أعدائه - قد يتوهم أن عاطفتهم تدفعهم
إلى المبالغة فيما سمعوه ورأوه - إنما هم من بني جنسه وعلى ملته .
إن أبرز ما استنتجه [المقوقس] يتمثل في كلمات معبودة ، لكنها
أصابت ، وعبرت عن آثار التمسك بتلك الآداب التي كان عليها
المسلمون .

لقد قال قولة حق : « والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال
لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .. »^(١).

رسول عمرو بن العاص إلى [المقوقس] والاستنباطات الدعوية من الحوار :

أرسل عمرو بن العاص - رضي الله عنه - عبادة بن الصامت -
رضي الله عنه - ومعه عشرة نفر للمناظرة والحوار مع [المقوقس] ،
وليبيينوا له هدف المسلمين من دخول هذه البلاد والرد على ما قد يثار من
جدل .

وقد أمر عمرو عبادة أن يكون متكلم القوم ، وألا يجيبهم إلى شيء
يدعوه إليه إلا خصلة من الثلاث خصال^(٢) .

وسأعرض هنا إن شاء الله تعالى الاستنباطات الدعوية من الحوار
في النقاط التالية : -

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص ٥٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٥٣ .

١- الطاعة .

في دين الإسلام تكون الطاعة المطلقة لله ولرسوله ، أي للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتكون الطاعة لأولى الأمر مقيدة بعدم خروجها عن القرآن والسنة ، ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. ﴾^(١) .

وفي الحوار الذي دار بين عبادة و [المقوقس] أظهر عبادة - رضي الله عنه - أهمية الطاعة للحاكم في الإسلام ، ولم يتوقف عند بيان أهميتها إنما تمسكه بها يظهر الجانب التطبيقي للطاعة حين قال : (بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين)^(٢) ، وقوله : (وأمرني الأمير ألا أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الخصال ..)^(٣) .

فهو منفذ لأمر قائده ، والقائد منفذ لأوامر أمير المؤمنين ، وجميعهم منقادون لأمر الله ورسوله .

وعبادة - حين تحدث عن الطاعة - لم يفصل تلك الطاعة عن طاعة الله ورسوله ، إنما عبر عن ارتباطها الوثيق بما جاء على لسان محمد ﷺ .

فقد وضع عبادة [للمقوقس] بقوله : (وهو عهد رسول الله ﷺ إلينا ..)^(٤) .

ويظهر جانب آخر من جوانب الامتثال لله ورسوله - بعد أن رأى [المقوقس] وأصحابه امتثال عبادة لأمر القائد وسمعوا حديثه عن امتثال

(١) سورة النساء ، آية ، ٥٩ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

القائد لأمر أمير المؤمنين - عندما أجاب أصحاب عبادة عن سبب إمرته عليهم : (وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا بالأ نخالف رأيه وقوله . . .)^(١) .

٢ - المساواة بين الناس في الإسلام .

والمساواة مبدأ أساس ، حرص الإسلام على إقراره وتطبيقه . . . قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم . . . ﴾^(٢) .

ويتفرد الإسلام بواقعية مبدأ المساواة ، حيث اصطبغت به حياة المسلمين على نحو ما يفهم من جواب أصحاب عبادة حين سُئلوا : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ؟ أجابوا : إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقةً وعقلاً ورأياً ، وليس ينكر السواد فينا)^(٣) .

٣ - زحين الغرض لتخويف دعاة الباطل .

ويظهر ذلك عندما قال [المقوقس] لعبادة : كلمني برفق فإنني أهاب سوادك ، وهنا استغل عبادة هذا المدخل وقال : إن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني ، وأفزع منظرأً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي)^(٤) .

٤ - توضيح هدف الدعاة . . . ألا وهو الطمع فيما عند الله والزهد فيما

هو في أيدي الناس ، وليس هناك تنازلات على حساب الدين . ويظهر ذلك في قول عبادة : (إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ،

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٢) الحجرات ، آية (١٣) .

(٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

ولاطلبا للاستكثار منها .. (١)، وقوله : (ومايبالي أحدنا أكان له قنطار من ذهب ، أم كان لايمك إلا درهما ..) (٢).

٥ - التضحية بأغلى ما في الدنيا من الأهل والولد مادام ذلك في سبيل الله .

٠٠ يقول عبادة : (ومامننا رجل إلا وهو يدعوربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ، ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحدنا همٌ فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا ..) (٣).

آثار الحوار على المقوقس :

ويطيب لي أن أخص أهم ما يستنبط من آثار للحوار السابق في النقاط الآتية :

١ - الرهبة والخوف من المسلمين .

ويؤخذ من قوله عن عبادة : (لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره) (٤).

٢ - اليقين بغلبة وانتصار المسلمين .

ويؤخذ من قوله : (ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها) (٥).

وقوله : (والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نفتحهم صلحهم اليوم - وهم

(١) انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

محصورون بهذا النيل - لم يجيبونا بعد اليوم إذا مكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم ..^(١) ، وقول [المقوقس]^(٢) - في حث قومه على إجابة المسلمين إلى خصلة من الثلاث - : (فوالله مالكم بهم طاقة، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبينهم إلى ما هو أعظم كارهين)^(٣) .

* شخصية [المقوقس] :

لقد خاض المؤرخون كثيراً في مسألة [المقوقس] وتحديد شخصيته . فمنهم من قال : إن اطلاق اللفظ خاطئ مع أن هناك أكثر من اسم تولى الحكم في مصر^(١) . ومنهم من قال إن اللفظ واحد لحاكم مصر ، ولا فرق بين قيرس والمقوقس^(٢) . ومن خلال تتبعي لأقوال المؤرخين حول هذه القضية خرجت بنتائج حولها أذكرها على نحو مايلي :

- ١ - أن المؤرخين اتفقوا على أن الحاكم في تلك الفترة يطلق عليه [المقوقس] أو [قيرس] ومقصودهم أنه الحاكم من غير بحث عن اسمه وعن توليته .
- ٢ - أن [المقوقس] هو الحاكم الإداري من قبل [هرقل] على مصر .
- ٣ - أن هناك أساقفه لكل إقليم في مصر وهناك كبير الأساقفة في مصر وهم يوجهون من قبل الحاكم الإداري .
- ٤ - أن هناك شخصين حكما مصر من قبل [هرقل] - فترة موضوع البحث - أطلق عليها المؤرخون لقب [المقوقس] .

والذي ظهر للباحث في ذلك أن الذي تسلم رسالة الرسول ص يختلف عن الذي عاصر الفتوحات الإسلامية في مصر ، فالأول أطلق عليه [جورج] أو [جريج] والآخر يختلف عنه . يؤيد ذلك ما ذكره أحد مؤرخي اليونان : (ولما مات جورج [والبطريق الملكاني] أرسل [هرقل] قيرس ليكون حاكم الإسكندرية بعده ..) وذكر بعد ذلك فتوح المسلمين فقال - بعد انتصار المسلمين - : (ففروا واتهم قيرس بأنه سلم مصر إلى العرب فأرسل إليه الامبراطور رسالة شديدة يأمره فيها أن يعود من مصر ..)^(٣) .

- (١) انظر : بتلر ، ص ٥٧٤ ، وانظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٢ .
- (٢) من هؤلاء د / لين بول [Lane Poole , Prof . S . : Art of the Saracencin Egypt] .
- (٣) هذا القول لـ [تيوفانز] أحد مؤرخي اليونان ، نقلاً عن بتلر ، ص ٥٩٢ .

- (١) المصدر السابق ، ص ٥٣ .
- (٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

المطلب الثاني « الرسائل »

والرسالة وسيلة أخرى هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، وقد استخدمها الرسول ﷺ فترة بعثته .

والرسائل التي أرسلها إلى الحكام كانت لـ [كسرى ، وهرقل ، والنجاشي ، والمقوقس] .
رسالة النبي ﷺ إلى كسرى :

« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس :
سلام على من اتبع الهدى ، وأمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .
وأدعوك بدعاء الله ، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

فأسلم تسلم ، فإن أبيت ، فإن إثم المجوس عليك »^(١) .
وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره : أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق »^(٢) .

(١) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ١٤٠ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما يذكر في المناولة ، رقم الحديث (٧)

رسالة النبي ﷺ إلى هرقل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبدالله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من
اتبع الهدى ، أما بعد : فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم
يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ، و ﴿ يا أهل
الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك
به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا
اشهدوا بأننا مسلمون ^(١) ﴾ ^(٢) .

ومن الرسائل رسالة الرسول ﷺ إلى [المقوقس] حاكم مصر ،
وقد رد عليه [المقوقس] برد حسن ، سبق الحديث عنه في الفصل
الثاني من هذا البحث ^(٣) .

الرسائل التي استخدمت وسيلة للدعوة الإسلامية في مصر :

لقد كان للرسائل دور كبير في دخول الدعوة الإسلامية إلى مصر ،
بل في انتشارها بين أرجائها ، وتمكينها في أرضها .
وسوف أقسم الرسائل في تلك الفترة إلى أقسام ، منها : رسائل
الحكام المسلمين لغير المسلمين وللمسلمين ، ورسائل القادة المسلمين
لغير المسلمين وللمسلمين ، ثم رسائل عامة الناس إلى الحكام ، ويعد
ذلك أبين أهداف كل قسم من تلك الرسائل .

(١) آل عمران ، آية ٦٤ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله
ﷺ ، رقم الحديث ٦ ، ٤/١ ، ٦ ، ٥ ، ٧ ، وفي مسلم ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي
إلى هرقل ، رقم الحديث (٧٤) ٩٠/٢ .

(٣) انظر : الفصل الثاني من البحث ، ص ٢٠ .

أولاً : رسائل من الحكام المسلمين ، وتشتمل على نوعين :

أ - رسائل لغير المسلمين .

وأول تلك الرسائل ، الرسالة الأولى التي وصلت مصر من رسول الله ﷺ إلى [المقوقس] ، وبعد ذلك تأتي رسالة الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى المقوقس .
وهدف هاتين الرسالتين هو تبليغ دعوة الإسلام والإعذار إلى الله ، وقد سبق الحديث عنهما في الفصل الثاني من هذا البحث^(١).

ب - رسائل للمسلمين .

وتتمثل فيما أرسل من رسائل موجهة إلى القادة ، وأخرى موجهة إلي عامة الجند .
ولتلك الرسائل موضوعات أجمل القول في محتوياتها على نحو مايلي :

١ - التوجيه المتعلق بالأمور العسكرية .

ومثال ذلك ماكتبه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى عمرو بن العاص يأمره إن لم يدخل مصر أن يرجع عنها ، ونص الرسالة هو : « من عمر بن الخطاب إلى ابن العاص ، أما بعد : فإنك سرت إلى مصر ومن معك وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ، ولعمري لو كان ثكل أمك ماسرت ، فإن وصلك كتابي قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك »^(٢).

(١) انظر : الفصل الثاني من هذا البحث ، ص ٢٠ .
(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .

٢ - رسالة للتذكير بمكانة الصلاة في الإسلام ، فهي عموده ، وتحذير من الاستهانة بها بحجة التفرغ للجهاد ، وذلك كتاب عمر : (إن أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها ؛ حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع)^(١) .

٣ - رسالة للتذكير بتحسين أوقات الإجابة والدعاء توجها إلى الله سبحانه وتعالى بطلب النصر على الأعداء ، ففي رسالة الفاروق إلى عمرو : (. . وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت للإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم . .)^(٢) .

٤ - رسالة في الفتوى .

فقد كتب عمرو إلى عمر يسأله عن القسم في الإسكندرية ، فكتب عمر : (لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئناً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم)^(٣) .

٥ - رسالة في الأمر بتولية القضاة .

فقد كتب الفاروق إلى عمرو أن يولي القضاء في مصر لكعب ابن يسار العبسي ، فأبى كعب فولى عثمان بن قيس^(٤) .

٦ - رسالة لكتابة تقرير واف عن واقع مصر .

كتب عمر إلى عمرو : إذا أتاك كتابي فابعث إلى جوابه ، تصف لي مصر وأوضاعها ، وماهي عليه حتى كأنني حاضرها^(٥) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٥) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٩٠ .

٧ - رسالة في فرض الجزية .

فقد كتب عمر إلى عمرو : خذ من كل جلجلة منالقبط كذا وكذا^(١).

وكتب إلى عماله : ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي ، ولا يضربوا على النساء والصبيان^(٢).

٨ - رسالة في قتل الخنازير .

وقد كتب الفاروق إلى أمراء الأمصار بقتل الخنازير ، ونقص أثمانها من الجزية^(٣) .

٩ - رسالة في قتل كل مشتغل بالسحر .

وكتب عمر إلى عماله ، قبل موته بسنة . أن : اقتلوا كل ساحر^(٤).

أهداف الرسائل من الحاكم إلى القائد وإلى عامة المسلمين المجاهدين :

إن تلك الرسائل التي تكون من الحاكم إلى القائد والجند لها أهداف يلتمسها الحاكم . . أذكر منها :

- ١ - متابعة مايجد من أمور ، والتصرف حيالها .
- ٢ - التذكير بأمر لايمكن تركها بسبب الإنشغال بالجهاد .

(١) ابن زنجوية ، كتاب الأموال (خطية) ٢٠ / ألف - ٢٠ ب ، نقل عن محمد حميد الله ،
مجموعة الوثائق ، ص ٥٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٥٠٩ .

- ٣ - تصحيح الأخطاء في حينها ، لأنها إذا تركت تراكمت ، وإذا تراكمت عز الإصلاح .
- ٤ - إثارة همم المجاهدين ، وتقوية الدافع لديهم ، ورفع روحهم المعنوية .
- ٥ - دوام العلاقة ، وتقوية الروابط بين الحاكم والقائد والجند .

**ثانياً : رسائل من القائد المسلم « عمرو بن العاص » وتشتمل -
كذلك - على نوعين :**

- ١ - رسائل إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .
وهذه الرسائل لها أهداف أذكر منها :
- ١ - نقل الحقائق ، وتوضيح موقف المسلمين ، وبيان حالهم ، كما جاء في كتابه إلى عمر بفتح الإسكندرية^(١) .
- ٢ - أخذ رأي الحاكم فيما يجد من أمور ، فالحاكم قد يكون تفكيره أقرب للصواب ، لإمامه الشامل بإمكاناته الاقتصادية والعسكرية ، فضلاً عن أن تفكيره يكون بمراعاة الأصلح للمسلمين عموماً ، والخوف عليهم ، فهو المسؤول عنهم أولاً أمام الله .
ونلمح ذلك في كتاب عمرو إلى عمر يستشيريه في رد السبايا مقابل الجزية^(٢) . وكتابه إلى عمر في سكنى الإسكندرية^(٣) .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٠٥/٤ .

(٣) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٤٦ .

٣ - طلب تسديد الثغرات من الحاكم ، إما بإرسال الجنود ،
أو الدعاة ، كما في رسالته إلى الفاروق ^(١) .

ب - رسائل إلى قادة الروم .

وهدف هذه الرسائل - كما سبق - تبليغ دعوة الإسلام لهم
والإعذار إلى الله سبحانه ، وأيضاً توضيح سبب قدوم
المسلمين ، ونلمس ذلك فيما كتبه عمرو لصاحب الإسكندرية يخبره
بخبر أمير المؤمنين ^(٢) .

ثالثاً : رسائل من عاهة الناس إلى الحاكم .

وهدف هذه الرسائل رفع المظالم إلى الحاكم العام .
وفي هذا المقام ، أستشهد على ذلك بما حصل بين المصري وبين
محمد بن عمرو حين سبق المصري محمداً ، فضربه محمداً .
وحين ذهب المصري إلى الخليفة ، وأنهى المظلمة ، نبه الفاروق عمر
المصري إلى إمكانية استخدام هذا النوع من الرسائل التي تسهل
للمظلوم رفع مظلمته ، وتعفيه من تحمل مشاق السفر حالة بُعد المسافة
بينه وبين الحاكم . . . نلمح ذلك في قول عمر - رضي الله عنه -
للمصري : (إذهب ، وإن رابك ريباً فاكتب لي) ^(٣) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٩ ، وانظر : محمد هيكل ، الفاروق عمر
١٠٢/٢ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٠٦/٤ .

(٣) سيأتي الحديث إن شاء الله تعالى عن هذه الرسالة في الفصل السادس في مبحث العدل .

الطلب الثالث « الجهاد »

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام شرعه الله لإعلاء كلمته في الأرض ، وقام بحمل لوائه - جند الإسلام - الذين ﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾^(١) ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور .

وقد سار الأوائل رافعين شعار الجهاد في سبيل الله طمعاً فيما عند الله من النعيم الدائم ، والرضوان الأكبر ولم يكن همهم غنيمة زائلة ، أو تجارة دنيوية عاجلة ، إنما كان همهم الاشتغال بالتجارة الأخروية الرباحة ، كما كان هدفهم إعلاء كلمة الله ممثلين قول الله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾^(٢) .

لقد عبر عن ذلك الهدف - سيد قطب - بقوله عن الجندي المسلم : (إنه لا يقاتل لمجد شخص ، ولا لمجد بيت ، ولا لمجد طبقة ، ولا لمجد دولة ، ولا لمجد جنس ، إنما يقاتل لإعلاء كلمة الله في الأرض ، ولتمكين منهجه في تصريف الحياة ، ولتمتيع البشر بخيرات هذا المنهج وعدله المطلق بين الناس مع ترك كل فرد حراً في اختيار العقيدة التي يقتنع بها ..)^(٣) .

ومصر - كغيرها من البلدان - لم يبدأ المسلمون فيها بالقتال ، إنما استخدموا وسائل أخرى قبل الشروع في القتال تتمثل في توضيح الإسلام ، وذلك ما ظهر في مضمون الرسائل التي أرسلت بدءاً من رسالة

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٩ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٧٠٧ / ٢ .

المصطفى ﷺ إلى [المقوقس] ورسالة أبي بكر الصديق إليه ، وانتهاء بالرسائل التي ترسل إلى أهل كل إقليم لدعوتهم إلى الإسلام ، وبالرسل الذين يرسلون لتحقيق هذا الهدف .

ولم يكن السيف هو الوسيلة التي انتشر عن طريقها الإسلام في مصر ، إنما كانت الدعوة بوسائلها وأساليبها ذات أثر بالغ في دخول الناس أفواجا في الإسلام .

وللباحث - من باب والفضل ماشهدت به الأعداء - أن يستشهد هنا بقول المؤرخ [غوستاف لوبون] : (ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن ، بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب . . .)^(١) .

وفي هذا المطلب سأتناول - إن شاء الله - بالعرض وسيلة الجهاد، وذلك على النحو التالي :

أولاً : تعريف الجهاد :

الجهاد : مصدر جاهد أو مجاهدة ، والجهد بالضم وبالفتح : الجهد الوسع والطاقة ، وهو مصدر جهد من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب ، وجهدت اللبن جهداً : مزجته بالماء ومخضته ، حتى استخرجت زبده ، واجتهد في الأمر : أي بذل وسعه وطاقته في طلبه ، ليلبغ مجهوده ، ويصل نهايته^(٢) .

والجهاد شرعا - عرفه ابن مفلح بقوله : قتل الكفار خاصة^(٣) .

وفي رأيي - أن هذا التعريف غير جامع وغير مانع ، إذ أن التعريف المذكور يدخل قتل الكفار عموماً في مفهوم الجهاد سواء كان قتلهم تشفياً ، أم لحق خاص ، أم لأي سبب آخر .

(١) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر : أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المصباح المنير ، ١٢٢/١ ، ت مصطفى السقا ، طبعة الطلبي مصر .

(٣) إبراهيم بن مفلح ، المبدع في شرح المقنع ٣/٣٧٠ .

والحق أن الجهاد يكون الهدف منه واضحاً وهو امتثال أمر الله وإعلاء كلمته ، وهناك فرق بينه وبين أنواع القتل الأخرى .
كما أنه يفهم من التعريف المذكور أن الكافر إذا قتل الكافر يعدُّ مجاهداً . . . ومن هنا أرى التعريف المناسب للجهاد هو :
« قتل المسلم الكافر امتثالاً لأمر الله وإعلاءً لكلمته .
وهذا التعريف مشتمل على مايلي : -

- ١ - هدف الجهاد وسببه وهو إعلاء كلمة الله ، وامتثال أمره سبحانه .
 - ٢ - تحديد المجاهد وهو المسلم ، والمُجَاهَد وهو الكافر ، فيخرج بذلك قتل الكافر الكافر ، وقتل المسلم المسلم ، وقتل الكافر المسلم .
- ثانياً : حكم الجهاد :**

إن الجهاد في سبيل الله باقٍ إلى قيام الساعة وحكمة مشروعيته واضحة ومعلومة حيث شرع لنشر دعوة الإسلام وإزالة أي عقبة تقف في طريقها .

وقد ورد لأئمة الإسلام أقوال في حكم هذه الوسيلة الدعوية ، هل هي واجبة ؟ أو غير ذلك ؟ .

قال الكاساني وابن عابدين وابن قدامة أنه : فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقيين^(١) .

وقال السرخسي : الجهاد نوعان - يختلف باختلافهما - فرض عين على القادر بقدر طاقته وهذا إذا كان النفير عاماً ، ونوع آخر :

(١) انظر : الكاساني ، بدائع الصنائع ٥٥٤٢/٨ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ ، الطبعة الثانية ، وانظر : محمد بن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار ، حاشية ابن عابدين ١١٨/٤ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، وانظر : عبدالله بن أحمد بن قدامة ، المغني ١٥٨/٨ ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٤٠١هـ .

فرض على الكفاية إذا وجد من يقوم به سقط عن غيرهم^(١).
وحول الدعوة الإسلامية وحكم نشرها عن طريق وسيلة الجهاد يقول
ابن عبد البر : (يجب على الإمام تعيين طائفة تغزو العدو كل سنة يخرج
هو معهم أو من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ، أو يعطوا الجزية ، فإن
أعطوها قبل منهم ، وإن أبوا قاتلهم ، وأوجب على الناس تقديم أموالهم
وأنفسهم ، حتى يعلم أن في الخارجين من يكفي عند ذلك يكون الفرض
قد سقط عن غيرهم)^(٢).

وبناء على ما ذكره الفقهاء ، تأتي العلاقة بين الجهاد والدعوة ، إذ
أن الدعوة الإسلامية لا تنتشر إلا بالجهاد ، لذا يكون الجهاد فرض عين
لنشر الدعوة ، وتمكين الدعاة من توضيح الإسلام للناس .

الآيات الدالة على مشروعية الجهاد :

لقد أنزلت آيات كثيرة من القرآن الكريم دالة على الجهاد ومكانته
في الإسلام منها :

١ - قول الله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم
والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(٣).

(١) انظر : شمس الدين السرخسي ، المبسوط ٨٢/٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، بدون .

(٢) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر ، الكافي في فقه أهل المدينة للمالكي ١/٨٠ ،
بتصرف ، تحقيق وتعليق محمد أحمد أحمد ، ط مكتبة الرياض الحديثة ، الطبعة الثانية ،
١٤٠٠ هـ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢١٦ .

٢ - قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(١) .

٣ - قوله تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٢) .

بعض الأحاديث الواردة في فضل الجهاد في سبيل الله :

ورد في سنة الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تبين فضل الجهاد في سبيل الله تعالى ، وعظم أجر المجاهدين ، ومن هذه الأحاديث :

١ - مرواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بقوله : « سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ... »^(٣) .

فالحديث المذكور بين مكانة الجهاد في سبيل الله ، وجعله قرين الصلاة التي هي عمود الإسلام ، وكذلك بر الوالدين الذي جعله

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٢٩ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، رقم الحديث ١٣٦ ، ١ / ٤٩ - ٥٠ ، وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله قيل : ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل : ثم ماذا قال حج مبرور ، كتاب الإيمان ، باب إن الإيمان هو العمل ، رقم الحديث ١٨ ،

اللَّه قرينا في الذكر بطاعة الله عز وجل وعبادته .

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : « دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال : لا أجده ، قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ »^(١).

ففي الحديث السابق يبين - ﷺ - أنه لاشيء من العبادات يعدل فضل الجهاد وإن واظب المرء عليها وهي فوق القدرة والاستطاعة .
قال ابن حجر - في شرح الحديث - : (وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي ألا يعدل الجهادَ شيء من الأعمال)^(٢).

ثالثاً : نحقق عالمية الدعوة الإسلامية :

معلوم أن الدعوة الإسلامية دعوة عامة عالمية « يقول عبدالكريم زيدان - عن تفرد الإسلام بخصوصية العموم هذه - : « جاء - الإسلام - لعموم البشر ، ولم يأت لطائفة معينة منهم ، أو لجنس خاص من أجناسهم . . . وعموم الإسلام هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن ، أو جيل خاص من البشر ، وإنما هو عموم في الزمان ، كما هو عموم في المكان »^(٣).

وفي مجال الاستدلال على اختصاص الدعوة بخصوصية العموم والعالمية أكتفي بذكر الآيات والأحاديث الآتية : -

-
- (١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والسير ، رقم الحديث ٨ ، ٢٠٠/٣ . وانظر : صحيح مسلم ، كتاب المارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، رقم الحديث ١١٠ ، ١٤٧/٢ .
- (٢) ابن حجر ، فتح الباري ٣/٧٧ .
- (٣) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ص ٥٤ بتصرف ، ط / دار عمر بن الخطاب ، مصر - الإسكندرية .

- ١ - قول الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾^(١).
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ .. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .. ﴾^(٢).
- ٣ - قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾^(٣).
- ٤ - قول الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(٤).
- ٥ - قول الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾^(٥).
- وفي مجال السنة القولية نجد الحديث المروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً »^(٦).

(١) آل عمران ، آية ٨٥ .

(٢) المائدة ، آية ٣ .

(٣) الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٤) التوبة ، آية ٣٣ .

(٥) الفتح ، آية ٢٨ .

(٦) أحمد البنا ، الفتح الرياني لترتيب مسند الإمام أحمد ، ٤٨/٣ ، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ط دار الشهاب ، القاهرة ، بدون .

وفي مجال السنة الفعلية نجد الرسول ﷺ أرسل الرسائل إلى الملوك والأمراء لتبليغهم بالدعوة الإسلامية .

إن صوت الدعوة الإسلامية لن يصل إلى الناس إلا بالجهاد في سبيل الله لأن دعاة الباطل لن يتركوا جنود الحق ينشرون الإسلام في البلدان .

إن تتحقق عالمية الدعوة برفع السيف في وجوه المكابرين والمعاندين الذين يمنعون وصول الخير إلى الغير ، لذا لا بد من المواجهة بين الحق والباطل ، يدعى أهل الباطل إلى الإسلام أو الجزية فإن قبلوا ، وإلا قوتلوا لئلا يمنعوا الخير ، ويصدوا الناس عنه .

يقول سيد قطب مؤكداً هذه الحقيقة : (وكان الله - سبحانه - يعلم أن مواجهتهم بهذه الحقيقة الحاسمة ، وبهذه الكلمة الفاصلة ، ستؤدي إلى أن تزيد كثيراً منهم طغياناً وكفراً ، وعناداً ولجاجاً ، ولكن هذا لم يمنع من أمر الرسول - ﷺ - أن يواجههم بها ، وألا يأسى على ما يصيبهم من الكفر والطغيان والضلال والشroud بسبب مواجهتهم بها ، لأن حكمته - سبحانه - تقتضي أن يصدع بكلمة الحق ، وأن تترتب عليها آثارها في نفوس الخلق ، فيهتدي من يهتدي عن بينة ، ويضل من يضل عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة)^(١) .

رابعاً : كيف يكون الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ؟

إن من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى الجهاد في سبيله ، وذلك لما له من آثار طيبة ونتائج باهرة في مجال نشر الدعوة الإسلامية .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٢ / ٩٣٩ .

ويكون الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله من عدة طرق :

- ١ - يكون وسيلة في وقف نفوذ دعاة الباطل .
 - فالجهد في سبيل الله وسيلة وقائية في الدفاع عن المسلمين ، ورد مكائد الكفار تجاههم ، فإذا أقيم الجهاد ، حفظت ديار الإسلام من الذل لغير الله ، ومن الخضوع لأحكام ماسواه .
 - ٢ - أن في إقامة الجهاد فتحاً للأفاق أمام دعوة الإسلام ليعرفها الناس تعليماً وواقعاً بينهم .
 - ٣ - أن في إقامة الجهاد صدى عند أصحاب البلدان التي لم تصلها الدعوة ، إذ عن طريق الجهاد تُسمع الدعوة ، ويلتفت إليها وبهذا يكون الجهاد أقوى وسيلة إعلامية لشد انتباه الناس ، وليس معنى هذا أن الدعوة تنتشر بالقوة .
- ولعل خير شاهد - في هذا المقام - ما يحصل قبل وبعد الفتوحات الإسلامية من تساؤلات ولقاءات بين القادة المسلمين وبين رسل أعدائهم ما كانت لتتم لو لم تتحرك الجيوش التي جعلت أهل تلك البلدان يتسألون عن ماهية القادمين ومطالبهم .

خامساً : أنواع الجهاد :

إن الجهاد في سبيل الله لا ينبغي أن يحصر مفهومه العام على القتال فحسب . إنما الجهاد في سبيل الله يتسع مدلوله ومفهومه للأمور الآتية :-

١ - الجهاد بالمال .

والجهاد بالمال أثره كبير وفضله عظيم ولذا قدم ذكره في بعض الآيات على الجهاد بالنفس .

يقول الله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (١) .

٢ - الجهاد بالنفس .

وهو قرين الجهاد بالمال ، وهل هناك أعظم من تقديم أغلى ما يملك الإنسان من نفس في سبيل الله ؟

يقول الله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٢) .

وقد قدم صحابة رسول الله ﷺ - رضي الله عنهم جميعاً أرواحهم رخيصة في سبيل الله وعقدوا مع الله التجارة الرباحة فمنهم من لقي الله في زمن الرسول ﷺ ومنهم من لقيه بعد ذلك شهيداً ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (٣) .

ولقد شارك المجاهدون بأنفسهم وأموالهم من الصحابة في مصر ، وقدموا أرواحهم وضربوا أروع الأمثلة في التضحية بكل غال ونفيس وسطروا بدمائهم سطور العز والبطولة والفداء .. سطوراً بقيت لمن بعدهم يتذاكرها الأجيال جيلاً بعد جيل .

ومن أشهر الصحابة الذين شاركوا بأنفسهم ، القائد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وعبدالله بن حذافة السهمي ، والزيير

(١) سورة التوبة ، آية ٤١ .

(٢) سورة التوبة ، آية ١١١ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٢٣ .

ابن العوام ، المقداد بن عمرو ، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ .

٣ - الجهاد باللسان .

والجهاد باللسان له أثره على الأعداء . . يدل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت : « اهجم ، أو هاجهم وجبريل معك »^(١) .
ومن الصحابة الذين جاهدوا باللسان ، عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - فقد جاهد أهل مصر بلسانه وناظر [المقوقس] وذب عن الإسلام بلسانه ، وهو رضي الله عنه من المجاهدين بلسانه ونفسه .

هذا ، ويجدر بي أن ألفت الأنظار إلى أن التقسيم الخاص بأنواع الجهاد لايعنى أن الجهاد محصور فيما ذكرت ، ذلك لأن من كان على ثغر من ثغور الإسلام يعد مجاهداً في سبيله .
ومن هنا فإن الخليفة عمر - رضي الله عنه - يعد القائد الحقيقي للمعركة وهو لم ينزل ساحة القتال ، حيث جاهد رضي الله عنه بالرأي والتخطيط .

ثم إن هناك أناسا يشاركون المجاهدين في الفضل والأجر ، وهم من حبسهم عذر عن الجهاد في سبيل الله ، يقول الله تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾^(٢) .

(١) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب فضائل النبي ﷺ ، باب فضل حسان بن ثابت ، ٣/١٧٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٩١ .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة ، فقال : « إن بالمدينة لرجالاً ماسرتم مسيراً ولاقطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض »^(١).

سادساً : يرتكز الجهاد .

يرتكز الجهاد في سبيل الله على أمور ثلاثة هي :

١ - معرفة الهدف .

إن الجهاد في سبيل الله يقوم على معرفة الهدف ، سواء كان هدف الجهاد العام وهو ابتغاء ما عند الله ، أم كان الهدف الخاص الذي جيء من أجله فلا يخرج المجاهد عنه لغيره ، ولا يقاتل من لم يقاتل ولا يقتل الشيخ ولا المرأة ولا الطفل .

٢ - وحدة الصف .

فبوحدة الصف وتماسكه يقوم الجهاد ، وقد أثنى الله عز وجل على الصف المتماسك في جهاد أعداء الله بقوله تعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾^(٢).

يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية : (إن وجه الشبه المراد هنا هو عموم القوة والوحدة)^(٣).

(١) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ، ١٥٩ / ٢ . وفي البخاري عن أنس أن النبي ﷺ كان في غزاة فقال : « إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر » . البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، رقم الحديث ٢٥ ، ٢١٣ / ٣ .

(٢) سورة الصف ، آية ٤ .

(٣) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ١٧٤ / ٨ ، ط / المطابع الأهلية ، الرياض ١٤٠٣ هـ .

٣ - الطاعة .

وطاعة الأمير أو القائد ركيزة مهمة للجهاد ، إذ أن معصية القائد تنحل فيها عرى الجهاد ، يقول الشنقيطي في تفسيره : (وقد عاب الله تعالى على اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ .^(١)

وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدتهم كأنهم بنيان مرصوص ، وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »^(٢) ، فهو يبين المراد من وجه الشبه في البنيان المرصوص هنا ، وقد أثر عن أبي موسى رضي الله عنه قوله لأصحابه : (الزموا الطاعة فإنها حصن المحارب)^(٣) .

سابعاً : موقف أهل مصر بعد الجهاد :

لاشك أنه بعد أن أعلن المسلمون الجهاد ، وقف دعاة الباطل في وجهه ، ولكن لما عجزوا عن المقاومة ؛ انقسم الناس في ذلك الوقت إلى أقسام :

١ - هناك طائفة منهم حملها العناد والكبر على عدم قبول الحق بعد الجهاد ، فمنهم من خرج من مصر ، ومنهم من بقي ودفع الجزية عن غير اقتناع يدل على موقفهم هذا انقلابهم على المسلمين في الإسكندرية .

(١) سورة الحشر ، آية ١٤ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم رقم الحديث (٥) ،

٩٨/٢ ، وفي مسلم ، كتاب البر ، باب تراجم المؤمنين ، رقم الحديث (٦٥) ٤٣١/٢ .

(٣) محمد الأمين الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٧٦/٨ .

- ٢ - هناك أناس قبلوا الجزية ودفعوها حتى عرفوا الإسلام وأخلاق أفرادهم ، فتأثروا به منقادة إليه نفوسهم دون إكراه .
- ٣ - هناك طائفة دخلت في الإسلام عن اقتناع ، وذلك بعد الجهاد ، لأنه قبل الجهاد لم تكن الفرصة أمامهم متاحة للدخول فيه ، إذ كان الروميون يسومون - من يدخل في الإسلام - أشد العذاب .

ثامناً : أثر الجهاد وإعلانه على أهل مصر :

لقد تحقق وعد الله بالنصر المبين على الأعداء ، وكان لهذا النصر الذي أعقب الجهاد آثار وثمار عادت على الإسلام والمسلمين بالخير العميم ، ومن تلك الآثار :

١ - أصبحت شريعة الله - سبحانه وتعالى - هي الفاصل ، وإليها المحتكم فبفضل الله ثم بتحقيق الجهاد ارتفعت راية الإسلام في أرض الكنانة . . ارتفعت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في سمائها ، وطبقت وحكمت على أرضها .

فلو لم يفرض الجهاد في سبيل الله ويعلم ، لما قدر لهذه الشريعة أن تصل إلى أولئك القوم ، وتكون واقعا بينهم يلجأون إليها في كل أمورهم .

٢ - ومن آثاره أن أهل الباطل ودعاته قد كبتوا ، وقمعوا ، وكسرت شوكتهم وأتم الله نوره ، وتحقق وعده ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(١) .

٣ - ومن آثاره أنه فتح المجال لانتشار الدعوة الإسلامية في مصر فقد انتشر الدعاة الذين يعلمون الناس بفضل الله ثم بفضل تهيئة المجاهدين المسلمين الجو الدعوي للعلماء الذين وضحو للناس محاسن الإسلام .

(١) سورة التوبة ، آية ٣٣ .

البحث الثاني « الميادين » المطلب الأول : المسجد

ومن أهم الميادين الدعوية - التي وصلت الدعوة الإسلامية عن طريقها إلى أهل تلك البلاد - المسجد .

وفي هذا المطلب ، يطيب لي أن ألقى الضوء على النقاط الآتية :

أولاً : المراد بالمسجد .

المسجد هو موضع السجود ، والجمع مساجد ، يُقال : سجد سجوداً أي تطامن وكلُّ شيء ذلُّ فقد سجد ، ويقال : سجد البعير إذا خفض رأسه عند ركوبه ، وسجد الرجل أي وضع جبهته بالأرض ، والمسجد بيت الصلاة ، والمسجد أيضاً موضع السجود^(١) .

ثانياً : مكانة المسجد في الإسلام ووظيفته .

للمسجد مكانة عظيمة في الإسلام ، فهو المكان الذي يعمر بطاعة الله تعالى . يقول الله عز وجل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾^(٢) .

وقد كان أول ما قام به رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة هو الشروع في بناء المسجد مما يوحي بأن حياة المسلمين مرتبطة بالمسجد وهو من أهم الأعمال^(٣) .

(١) انظر : أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المصباح المنير ٢٨٦/١ .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٨ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٣٠/١ .

ولقد سار الصحابة الكرام على نهج رسولنا محمد ﷺ عند الفتوحات الإسلامية فاهتموا بالمساجد وشرعوا في بنائها قبل بناء بيوتهم^(١) . لأنهم يعلمون ويوقنون بأن قوة الأمة الإسلامية مرهونة ومرتبطة بقوة صلتها بالله عن طريق الارتباط بالمساجد .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المهتمين بالمساجد وعبادة الله فيها ، ووعدهم أحسن الجزاء بقوله سبحانه : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾^(٢) .

وأكد الرسول ﷺ على الإهتمام بالمساجد وبنائها ورغب في ذلك بقوله ﷺ : « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة »^(٣) .

أما وظيفة المسجد فهي عامة وشاملة ، ومن ثم نجده المكان الذي تتسع رحابه لما يأتي : -

١ - أنه المكان الذي تقام فيه الصلاة ، وكما سبق من ثناء الله - عز وجل - على المحافظين على الصلاة في المساجد ، قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة .. ﴾^(٤) .

(١) المقرئزي ، الخطط ١٠٢/٣ .

(٢) سورة النور ، الآيات ٣٦ - ٢٨ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجداً ١١٦/٨ رقم الحديث ٦٥ .

وفي مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها

١١٦/٨ رقم الحديث ٢٤ .

(٤) سورة النور ، آية ٣٦ .

- ٢ - أنه مكان طلب العلم الشرعي ، وحفظ القرآن الكريم ، فقد كان المدرسة التي تخرج فيها أصحاب رسول الله ﷺ ، كما كان المعهد الذي خرّج - على امتداد العصور الإسلامية - أنبغ العلماء وأتقن الفقهاء وأعدل الحكام وأفصح البلغاء ، بل كان المسجد مركزاً للإشعاع الإسلامي دينياً ودنيوياً .
- ٣ - أنه مكان للقضاء ، وفصل الخصومات بين الناس ، حيث أصدرت على بسطه وبجوار أعمدته أعدل الأحكام ، ومن داخله سطرت أروع صفحات العدالة في القضاء .
- ٤ - أنه مكان لتوجيه الناس وتصحيح أخطائهم ، فقد كان الرسول - ﷺ - يوجه أصحابه في المسجد من خلال الموعدة العامة : « ما بال أقوام .. »^(١) ، كل ذلك كان في المسجد .
- ٥ - كان مكاناً بمثابة مركز القيادة المؤمنة ، والمقر العسكري الذي تنطلق منه الجيوش التي تسير للجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام .
- ٦ - أيضاً كان المسجد مكان بيت المال للمسلمين ، حيث تجمع فيه أموال المسلمين من مواردها الشرعية ، ويتم توزيعها في مصارفها المشروعة كذلك في رحابه وساحاته .
- وجملة القول : أن المسجد في الإسلام هو ملتقى الأمة وناديها ، ومقر رئاستها وجامعتها ، ومكان شوراها ، شأنه في ذلك الشمول الذي هو خصيصة من خصائص دعوة الإسلام .

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أعلمهم بالله ٧٤/٣ .

ثالثاً : أشهر المساجد في مصر :

لقد اهتم الدعوة المسلمون ببناء المساجد في مصر امتثالاً لأمر الله سبحانه ورسوله ﷺ ، وتنفيذاً لأمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المنسوب إليه توجيهه لجنده : « إن أهم أموركم عندي الصلاة .. »^(١).

ولم يكن عجباً من أفراد الجيش المسلم حينئذ أن أظهروا هذه الشعيرة العظيمة في الإسلام .
هذا ويطيب لي أن أذكر أشهر المساجد في مصر - زمن الفتح الإسلامي - على النحو الآتي :
١ - جامع عمرو بن العاص :

وهو أول مسجد بني في مصر بعد الفتح الإسلامي ، ويسمى جامع [الفسطاط]^(٢) يذكر [ابن عبدالحكم] أن هذا الجامع هو أول جامع أقيم بمصر بعد أن تحول عمرو بن العاص من الإسكندرية تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين^(٣) .

يقول ابن عبدالحكم : « أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغاً منها همّ أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها ، فكتب إلي عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمر إلى عمرو : إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٣ .

(٢) نسبة إلى خيمة عمرو بن العاص ، انظر : المقرئ ، الخطط ٢٧٠/٨ .

(٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٨ .

العاص من الإسكندرية إلى القسطنطينية»^(١).

ويعلق ابن عبدالحكم بقوله : (وبنى عمرو بن العاص المسجد)^(٢).
واتخذ فيه أبو مسلم الغافقي صاحب رسول الله ص مؤذناً^(٣) .
وكان بناء الجامع سنة (٢١ هـ) ، ووقف على إقامة قبلته أشهر
صحابه رسول الله ﷺ المشاركين في فتح مصر ، منهم الزبير بن
العوام والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ،
وأبو ذر الغفاري^(٤) .

وقد بلغت مساحة المسجد مائة وخمسين ذراعاً^(٥).

٢ - جامع راشدة :

وسمي هذا الجامع باسم [راشدة] وهي قبيلة من قبائل الفرس ،
وقد أسلم أفرادها بالشام ، ونفروا للجهاد في سبيل الله مع الصحابة .
وقد أقاموا الجامع حين اختطو بمصر ، وسمي الجامع باسم
القبيلة^(٦) .

٣ - جامع فانخ :

وينسب هذا الجامع لفتاح دمياط عمير بن وهب الجمحي ، الذي
وجهه عمرو بن العاص إلى [تنيس ودمياط] وغيرهما من بلدان
الشاطئ الشرقي لفرع النيل .
وقد أقيم الجامع زمن الفتح ونسب إلى ذلك الصحابي^(٧) .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨ . (٣) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٤) ابن عبدالحكم ، ص ٦٨ ، وانظر : المقرئ ، الخطط ١٠١/٣ .

(٥) أي طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً ، وقد بنيت حوائطه باللبن ، وفرشت أرضه
بالحصى ، وأعمدته من جنوع النخل ، وسقفه بالجريد . انظر : ابن تغري بردي ، النجوم
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥٨/١ ، وانظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ٣٢٢/٣ .

(٦) انظر : المقرئ ، الخطط ١٨٩/١ .

(٧) والمسجد باقٍ إلى اليوم بمدينة دمياط المصرية وقد جدد عدة مرات . انظر : د . سعاد

ماهر ، مساجد مصر ، ص ٥٠ .

أقول : هذه المساجد من أشهر المساجد التي بناها الدعوة المسلمون في مصر زمن الفتح الإسلامي ، لتؤكد اهتمام الدعوة بتلك البقعة المباركة التي يذكر فيها اسم الله من أولئك الرجال الذين لاتهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة .

وقد ذكر المؤرخون مساجد كثيرة بنيت في مصر منها ما كان زمن الفتح ومنها ما كان بعد ذلك ، لكنني اقتصررت على هذه النماذج التي تظهر مكانة هذه البقعة في الإسلام .

وابتداءً : أثر المساجد في انتشار الدعوة الإسلامية في مصر :

حين أقام الدعوة المسلمون المساجد في مصر واهتموا بها ظهر لذلك الاهتمام آثار أذكر منها :

١ - ظهرت شعائر الإسلام واضحة للناس من أذان ، وإقامة ، وذكر ، وتلاوة للقرآن الكريم ، وهذه مرحلة تمهيدية لمعرفة الإسلام .

٢ - عرف الناس محاسن الإسلام ، وأحكامه ، وتخرج العلماء والدعاة في تلك المساجد .

٣ - دخل بعض المسيحيين في دين الله أفواجا ، بفضل الله ثم بفضل انتشار العلماء الذين تخرجوا في تلك المساجد .

٤ - أقيمت الحجة على الناس ، حيث انتشرت المساجد في كل مكان وكثر الدعوة إلى الله فيها ، ولم يخف على الناس شيء من أمور الدين ، وبذلك صار كل من لم يؤمن بدين الإسلام - وقد ذاعت تعاليمه في كل مكان - من الذين قال الله فيهم : ﴿ جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾^(١).

(١) سورة نوح ، آية ٧ .

المطلب الثاني « الميادين العامة »

وقد وصلت الدعوة الإسلامية إلى أهل تلك البلاد عن طريق تلك الميادين التي بذل الدعاة إلى الله - عز وجل - فيها جهوداً كبيرة لإيصال الحق إلى الناس .

ولعلي في هذا المطلب أجمل ذكر تلك الميادين في النقاط الآتية :-

أ - أماكن المحاورات والمناظرات .

وتلك الأماكن ميدان مهم لتوضيح دعوة الإسلام وأهدافها .

وقد عرفنا - في الفصل الثاني من هذه الرسالة - عندما كان

الحديث عن سير الدعوة كيف تمت المحاورات ، والمناظرات ، ومنها :

١ - المحاورة التي تمت بين حاطب بن أبي بلتعة وبين [المقوقس] بعد

أن قرأ [المقوقس] رسالة النبي ﷺ ، في مجلسه في الإسكندرية .

٢ - المحاورة التي تمت بين [المقوقس] وحاطب بن أبي بلتعة بعد

المحاورة الأولى بيوم .

٣ - المحاورة التي تمت بين عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وبين

[المقوقس] بطلب من [المقوقس] بعد القتال .

وقد كان لتلك المحاورات والمناظرات آثارها ، سواء على [المقوقس]

نفسه ، أم على من حوله^(١) .

(١) انظر : الفصل الثاني من الرسالة ، ص ٢١ - ٢٣ .

ب - ساحة الجهاد .

وساحة الجهاد ميدان مهم من ميادين الدعوة الإسلامية أظهرت عند الروميين حقائق عدة أجملها فيما يلي : -

١ - أظهرت أعلى درجات التضحية في سبيل الله تعالى ، ويترتب على ذلك سمو الهدف الذي يدعو إليه المسلمون ، فمن شاهد تضحية الصحابي الجليل الزبير بن العوام في حصن [بابليون] وهو يرمي نفسه داخل الحصن قائلاً : (إني وهبت نفسي لله)^(١) ومردداً (الله أكبر) ، يتضح لديه مفهوم تلك الحقيقة .

٢ - أظهرت تلك الساحة الإسلام العملي . . الإسلام في نفوس دعائه وفي أعمالهم كلها ، ولعل خير شاهد في هذا المقام ما رآه رسل [المقوقس] عندما حبسهم عمرو بن العاص عنده يومين وليلتين ، حيث شاهدوا الواقع الذي يعيشه المسلمون - آنذاك - من خلال تصرفات جنود الإسلام^(٢) .

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٥٨ .

(٢) انظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة ، ص ٤٤ .

الفصل الخامس

الأساليب الدعوية

الفصل الخامس [الأساليب الدعوية]

تمهيد :

لقد أنزل القرآن الكريم ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . ﴾^(١) أنزل على الداعية الأول محمد بن عبدالله ﷺ . . . ليهدي به من ضلالة ، ويعلم به من جهالة ، ويخرج به الناس من الظلمات إلى النور .

وفي مجال تبليغ الدعوة زود القرآن الكريم الرسول الخاتم ﷺ ، بتوجيهات ، تتعلق بوسائل وأساليب تكفل للدعاة النجاح في مهمتهم ، وفي مقدمة هذه التوجيهات تأتي آية سورة النحل . . . ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(٢) .
وقد سار حامل مشعل الهداية محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه - يدعو الناس بالترغيب تارة ، وبالترهيب أخرى ، أو بهما معاً .

يبين ما أعد الله لعبادة المؤمنين من نعيم ، وما توعد به العاصين المعاندين من عذاب أليم ، ويدعو إلى الله على بصيرة مجادلاً بالتي هي أحسن .

وفي هذا الفصل سأعرض للأساليب الدعوية التي نهجها دعاة الحق في مصر ، وبفضل الله أولاً ثم بفعل هذه الأسباب المتمثلة باتباع الأساليب التي سأعرضها ، آمن الناس بالدعوة ، ودخلوا في دين الله زرافات ووحदानا .

(١) سورة فصلت ، آية ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

المبحث الأول

« أسلوب الموعظة الحسنة : الترغيب والترهيب ،

إن من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى أسلوب الترغيب والترهيب لأن الإنسان بطبعه يحب كل نافع ويكره كل ضار .
لذا كانت إثارة تلك الغريزة مما يدفع الإنسان إلى السير خطوات إلى الأمام . فكما أن اليأس والرجاء عند المسلم لا يغلب أحدهما الآخر - يسير الدعاة كما ذكر الله عن الجماعة المسلمة ﴿ .. وادعوه خوفاً وطمئناً .. ﴾^(١) ، كذلك الشأن في الدعوة إلى الله تعالى ينبغي أن يكون الداعية متمسكاً بأسلوب الموعظة الحسنة ترغيباً وترهيباً . يدعو الناس إلى ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه شقاؤهم وتعاستهم ، ويرهبهم منه .

الترغيب والترهيب في القرآن الكريم :

أولاً : الترغيب .

ويقصد به كل الأساليب النافعة التي تحبب المدعو في فعل الطاعات، وقد ورد استخدام القرآن الكريم له فيما يلي من نقاط : -
أ - الترغيب في اتباع الحق من خلال آيات وصف الجنة :
لقد ورد في كتاب الله تعالى وصف الجنة في آيات كثيرة منها :
قول الله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ﴾^(٢) .

(١) الأعراف ، آية ٥٦ .

(٢) سورة الرعد ، آية ٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ هذا نكرٌ وإن للمتقين لحسنٌ مئاب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾^(١) .

وقوله عز من قائل : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾^(٢) .

إن هذه الآيات الكريمة تحرك القلوب وتدفع أصحابها إلى العمل الصالح الذي يوصل إلى الجنة والفوز برضوان الله سبحانه .
ب - الترغيب في اتباع الحق من خلال عرض ما يجده المؤمن في الجنة :

ومن تلك الآيات قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾^(٣) .

وقول الله تعالى : ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلل على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ، سلامٌ قولاً من رب رحيم ﴾^(٤) .

ومن الآيات كذلك قوله سبحانه : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾^(٥) .

(١) سورة ص ، آية ٤٩ - ٥٠ .

(٢) سورة الرعد ، آية ٣٥ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ٢٣ .

(٤) سورة يس ، الآيات ٥٥-٥٨ .

(٥) سورة الزمر ، آية ٧٣ .

ج - الترغيب في جنس الطاعات وفعل الخيرات وعمل الصالحات ،

وذلك من خلال الجزاء الطيب العاجل في الدنيا :

قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا . .﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾^(٢) .

ثانياً : الترهيب .

ويقصد به كل الأساليب النافعة في التحذير والتنفير من كل المعاصي والسيئات . . وقد ورد استخدام القرآن الكريم له فيما يلي من نقاط : -

١ - الترهيب من معارضة الدعوة من خلال آيات وصف النار :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾^(٥) .

(١) سورة النور ، آية ٥٥ .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٧ .

(٣) سورة الفرقان ، آية ١١ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية ٥٤ .

(٥) سورة ق ، آية ٣٠ .

ب - الترهيب من معارضة الدعوة من خلال عرض موقف الكفار يوم
القيامة ، ومن تلك الآيات :

قوله تعالى : ﴿ إذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب
وتقطعت بهم الأسباب ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد
ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾^(٢) .

د - الترهيب من الإعراض عن دعوة الحق من خلال عرض عذاب
القبر :

وذلك في قول الله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم
تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾^(٣) .

التروغيب والترهيب في سنة الرسول ﷺ :

فكما أن القرآن الكريم تضمن أسلوب التروغيب والترهيب فكذلك
سنة الرسول ﷺ .

أولاً : التروغيب .

وقد ورد التروغيب في سنة الرسول ﷺ من خلال عرض ما أعده
الله للمتقربين إليه وذلك على وجوه :

١ - قرب الله سبحانه وتعالى من العبد المؤمن وإعانتة ، فقد رغب

الرسول ﷺ وسلم في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، ففي

الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول

(١) البقرة ، آية ٢٧٧ .

(٢) الأنعام ، آية ٢٧ .

(٣) غافر ، آية ٤٦ .

اللَّهِ ﷻ : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب مني شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً ، تقربت منه باعاً ، وأن أتاني يمشي أتيته هرولة »^(١) .

٢ - نزول السكينة والرحمة :

لقد دعا الرسول ﷺ إلى طلب العلم وحث عليه ، ورغب فيه ، وذكر ثواب المشتغل بالعلم . . معلماً كان أو متعلماً . . ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »^(٢) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه . .) رقم الحديث ١٥ ، ٨ / ١٧١ .

وفي مسلم / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى حديث رقم ٤٦٦ / ٢ ، ١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، رقم الحديث ٥٩ ، ٢ / ٤٣٠ .

٣ - وصف ما أعدّه الله لعباده المؤمنين ، وترغيب غيرهم في الاقتداء بهم ، وذلك على وجوه :

أ - وصف الجنة وموقف المؤمنين فيها :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : يا رب أي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً »^(١).

ب - موقفهم في القبر :

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾^(٢) »^(٣).

(١) مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها ، باب إحلال الرضوان

على أهل الجنة ، رقم الحديث ٣ ، ٥٣١/٢ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ٢٧ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت

٠٠) رقم الحديث ٥٥ ، ٢٢٠/٥ .

ثانياً : الترهيب .

وقد ورد الترهيب في سنة الرسول ﷺ على صور :

أ - الترهيب من عذاب النار وبيان شدة هولها :

من ذلك حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال :
قال رسول الله - ﷺ - : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف
زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »^(١).

ومن ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ -
قال : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءاً من
حر جهنم » قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله ، قال :
« فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها »^(٢).

ب - الترهيب من سوء موقف من يعارض الدعوة :

من ذلك حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : قال
رسول الله - ﷺ - : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم
القيامة فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت
خيراً قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى
بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في
الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مرّ بك شدة
قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، مامرّ بي من بؤس قط ، ولا رأيت شدة
قط »^(٣).

(١) مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في شدة حر نار

جهنم وبعد قعرها وماتأخذ من المعذنين ، رقم الحديث ٥٠ ، ٥٣٥/٢ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في شدة حر نار جهنم ، رقم

الحديث ٥١ ، ٥٣٥/٢ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار

وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة ، رقم الحديث ٣٢ ، ٥٢٢/٢ .

ج - الترهيب من معارضة الدعوة من خلال عرض عذاب القبر :

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : بينما النبي - ﷺ - في حائط لبني النجار ، على بغلة له ، ونحن معه ، إذ حادت به ، فكادت تلقيه ، وإذا أقبرُ ستة أو خمسة أو أربعة (قال : كذا كان يقول الجريري) فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبير ؟ » فقال رجل : أنا ، قال « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا في الإشرak^(١) ، فقال : « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه » ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « تعوذوا بالله من عذاب النار » ، فقالوا : نعوذ بالله من عذاب النار . قال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » ، فقالوا نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن » ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ، ماظهر منها ومابطن ، قال : « تعوذوا بالله من فتنة الدجال » ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال^(٢) .

(١) أي ماتوا على الشرك .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء قبل السلام ٢٠٢/١ .

الترويج والترهيب في دعوة أهل مصر فترة إعداد البحث :

إذا كان القرآن والسنة قد اشتملا على توجيهات دعوية تتعلق بأسلوب الترويج والترهيب ، فلا غرو أن نجد الصحابة - رضوان الله عليهم - يبلغون دعوة الإسلام مستخدمين الأسلوب المذكور .
ويطيب لي في هذا المقام - أن أعرض بعض المواقف الدعوية التي تم فيها استخدام الأسلوب المذكور مع المدعوين من أهل مصر - فترة إعداد البحث - وذلك على النحو التالي :-

١ - الترويج والترهيب من خلال دعوة الرسول ﷺ :

لقد ظهر الترويج من خلال رسالة الرسول - ﷺ - إلى [المقوقس] [بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ، إلى [المقوقس] عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ويؤتك الله أجرک مرتين ...]^(١).

ففي قوله - ﷺ - : « أسلم تسلم » ترغيب في عاقبة الدخول في الإسلام حيث ينعم المعتنق له بالسلم والأمن في الحياة الدنيا ، ويظهر الترهيب كذلك من خلال هذه الكلمة الموجزة التي استهلكت بها رسالة الرسول ﷺ إلى [المقوقس] حيث يفهم منها أن من يعرض عن الإسلام فلن يسلم من عذاب الله في الآخرة ، ولن ينعم بالهدى والسعادة في الدنيا ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى

(١) انظر : ص ٢١ من هذه الرسالة ، الفصل الثاني .

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . ﴿ (١) .

أيضاً يظهر الترغيب في قوله : (يوثك الله أجرك مرتين) .

إنه ترغيب بمضاعفة الأجر والثواب الممنوح من الله تعالى لكل حاكم يسارع ويبادر إلى اعتناق الإسلام لأن في صلاح الحاكم خيراً كثيراً ، فإذا أسلم الحاكم تأثر الناس به ومن ثم يضاعف له الأجر ، ومما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » (٢) .

وإذا لم يقبل الإسلام ، ولم يفسح له الظهور والانتشار تحمل أوزار من حجت عنهم الدعوة .

يؤكد هذا المفهوم قوله ﷺ : « فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين » .

ب - الترغيب والترهيب من خلال دعوة الفاروق - رضي الله عنه - لأهل مصر :

ويظهر استخدام أسلوب الترغيب عند الفاروق من وجهين :

١ - من خلال - حث العمال على السكينة والحلم ترغيباً للناس في دخول الإسلام ، ومن ذلك قوله : « تعلموا العلم وتعلموا - للعلم - السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، يتواضع لكم من

(١) سورة طه ، الآيات ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، رقم الحديث ١٦ ، ٤٦٦/٢ .

لاتعلمون ، ولاتكونوا من جبابرة العلماء ، ولايقوم علمكم مع جهلكم «^(١).

٢ - من خلال الصفات التي اتصف وعامل الناس بها ، مما كان له كبير الأثر وعظيم الترغيب في اعتناق كثير منهم للإسلام ، ومن أشهر تلك الصفات - التي اشتهر بها الفاروق - صفة العدل .
ويظهر الترهيب كذلك في خطبه وفي أحكامه الصارمة العادلة تجاه من لاتنفع فيهم الموعظة الحسنة^(٢).

ج - الترغيب والترهيب من خلال دعوة الصحابة المشاركين في دعوة أهل مصر :

ومن ذلك :

١ - دعوة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة عندما أرسله الرسول ﷺ إلى [المقوقس] وماصاحب الرسالة من حوار استخدم فيه حاطب أسلوب الترغيب وأسلوب الترهيب ، وقد سبق الحديث المفصل عن ذلك في الفصل الثاني من هذه الرسالة^(٣).

٢ - دعوة القائد الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه :

وقد استخدم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أسلوب الترغيب والترهيب في مواطن كثيرة أذكر منها ما جاء في رسالته إلى [المقوقس] حين قال : « أما إن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا »^(٤).

(١) أحمد بن حنبل ، كتاب الزهد ، ص ١٢٣ .

(٢) سيأتي مزيد من التفصيل - إن شاء الله - حول تأثير الصفات الطيبة والأخلاق الحسنة في مجال الدعوة .

(٣) انظر ص ٢٣ من الفصل الثاني من الرسالة .

(٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص ٥٢ .

وبدهي أن الترغيب هنا متمثل في تمتع المدعو المعتقد للإسلام بأخوة الدين وحق المساواة وإتاحة الفرص الشاملة لسائر الأنشطة الحياتية .. ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً .
أما الترهيب ففي الرسالة نفسها : « وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »^(١).

كذلك معاملته الحسنه رضي الله عنه لأهل الإسكندرية وذلك إظهاراً لمحاسن الإسلام ، يصور ذلك المؤرخ [غوستاف لوبون] بقوله (وكان عمرو بن العاص سمحاً رحيماً نحو أهل الإسكندرية مع تلك الخسارة التي أصيبوا فيها مع العرب ، ولم يقس عليهم ، وصنع ما يكسب به قلوبهم ، وأجابهم إلى مطالبهم ، وأصلح أسداهم وترعهم ، وأنفق الأموال الطائلة على شئونهم العامة)^(٢).

٣ - عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - واستخدامه لهذا الأسلوب .

ويظهر أسلوب الترغيب والترهيب في حوار [رسول عمرو بن العاص] مع [المقوقس] ومن ذلك :

* في حوارهم مع [المقوقس] يظهر الترغيب في عرضه لمحاسن الإسلام حين يقول : (فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله ، فإن قبلت أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم)^(٣).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٢) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢١٣ .

(٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

ويظهر الترهيب في قوله : (وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم)^(١).

أثر الترغيب والترهيب على الدعوة :

لاشك أن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب له أثر عظيم على الدعوة الإسلامية وانتشارها لعل من أهم الآثار ما يأتي :

أن الترغيب يدفع إلى الاشتياق إلى الأمر المرغوب فيه فتذلل في سبيله العقبات ، وتهون الصعاب ، وتستعذب المشاق .

وفي الترهيب دافع إلى الخوف من الأمر المرهب منه فيتخلص بسهولة من أسر الشهوات ويتجنب ارتكاب المكروهات في سبيل الوقاية من العاقبة .

ولنأخذ مثلاً في أثر الترغيب حين حث الرسول - ﷺ - أصحابه على القتال في معركة بدر وذكر الجنة وما فيها وقال : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض »^(٢).

فلنتساءل ما أثر هذا الترغيب ؟ قام عمير بن الحِمام الأنصاري وبيده تمرات يأكلهن فقال : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض ، قال النبي ﷺ : نعم ، قال : بخ بخ يارسول الله ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، ثم ألقى التمرات وقاتل حتى قتل^(٣).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب في غزوة بدر ١٤٧/٣ .

(٣) المصدر السابق ١٤٧/٣ .

ومن أمثلة أثر الترغيب العاجل ما فعله الصحابي أبو طلحة حين سمع قول الله تعالى : ﴿ لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ ^(١) حين سمع الصحابي أبو طلحة هذه الآية قال (إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنني جعلتها في سبيل الله) ^(٢).

هنا ظهر الأثر العاجل للترغيب فهو حين رُغِبَ في البر سلك على الفور الطريق الذي يوصل إليه .
أما مثال أثر الترهيب :

يظهر في تأثر الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يقول : يا رسول الله ائذن لي بالزنا . فقد كان ترهيب الرسول - ﷺ - شديداً على نفسه حين قال عليه الصلاة والسلام : « أتحبه لأمك » ؟ قال : « لا ، والله ! جعلني الله فداك » قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » ؟ إله الحديث ^(٣).

(١) آل عمران ، آية ٩٢ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، رقم الحديث . ٤٤ ، ٤٠١/١ .

(٣) أحمد بن حنبل الشيباني ، المسند ٢٥٦/٥ .

المبحث الثاني « الحكمة »

مفهوم الحكمة :

للحكمة في اللغة معانٍ عدة منها :

ما ذكره المقري : [والحكمة وزان قسبة للدابة ، سميت بذلك لأنها تذلها لراكبها حتى تمنعها الجراح ونحوه ، ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرزاق]^(١).

وقال الفيروزآبادي : [والحكمة العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ، والإنجيل ، وطاعة الله ، والفقه في الدين ، والعمل به ، أو الخشية أو الفهم ، أو الورع ، أو العقل ، أو الإصابة في القول والفعل ، والتفكر في أوامر الله واتباعه ، وهو حكيم أي عدل حليم]^(٢).

وقال ابن منظور : [والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء ، وبأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات حكيم]^(٣).

وفي ضوء هذه النقول ، يتضح أن الحكمة في اللغة يتسع مدلولها لمعان كثيرة ، يعيننا منها ما يناسب مقام الدعوة ، ولعل ذلك يكمن في العبارة القائلة [الإصابة في القول والفعل] أو العبارة القائلة [وضع الشيء في موضعه] .

(١) أحمد بن محمد المقري / المصباح المنير ١/ ٢٠٢ .

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٤/ ٢٣ ، ط / دار الجيل ، بيروت (بون) .

(٣) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب ٤/ ١٤٧ ، ط / بولاق ، مصر (بون) .

الحكمة في القرآن والسنة :

ورد في كتاب الله تعالى الأمر باستخدام أسلوب الحكمة في قول الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. ﴾^(١).

قال السعدي في تفسيره : أي : كل أحد على حسب حاله وفهمه ، وقبوله وانقياده ، ومن الحكمة ، الدعوة بالعلم ، لا بالجهل ، والبدأة بالأهم ، فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين)^(٢).

وذكر الله - سبحانه وتعالى - الحكمة في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد ﴾^(٣).

قال السعدي في تفسيره : (وهي العلم بالحق ، على وجهه وحكمته ، فهي العلم بالأحكام ، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام ، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً ، وأما الحكمة فهي مستلزمة للعلم ، بل والعمل ، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع ، والعمل الصالح)^(٤).

وقد ورد ذكر الحكمة في مواضع من كتاب الله عز وجل أفاض في عرضها كثير من العلماء ، ويكتفي الباحث بذكر ماورد بخصوصها في سورتي النحل ولقمان ، ليتسنى عرض استخدام السنة لها عرضاً

(١) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٢) عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق محمد زهري النجار ٢٥٤/٤ .

(٣) سورة لقمان ، آية ١٢ .

(٤) عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ١٥٤/٦ .

مجملاً وموجزاً ٠٠ وفي هذا المقام أذكر الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لاحسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (١).

وقد وضع ابن حجر في الفتح معنى الحكمة في الحديث فقال : (المراد بها هنا القرآن وقيل : المراد بالحكمة كل مامنع من الجهل وزجر عن القبيح) (٢).

وقد دعا الرسول ﷺ لعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - (اللهم علمه الحكمة) (٣).

أصول الحكمة :

والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ترتكز على ركيزتين لا يستقيم عمودها بدونهما وهما :

١ - العلم الشرعي .

فالحكمة التي لا تتصل بالعلم الشرعي ومافيه من أحكام لاتعد حكمة ، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي : (وأما الحكمة فهي مستلزمة العلم) (٤).

وإذا تتبعنا سيرة الرسول - ﷺ - وجدنا أن استخدامه للحكمة كان مبنياً على العلم الشرعي وسيرد هذا في صور الحكمة - إن شاء

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب التمني ، باب تمني القرآن والعلم ، رقم الحديث ٥ ، ١٢٩/٨ .

(٢) أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري ١/١٦٥ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر ابن عباس ٤/٢١٧ .

(٤) عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ٦/١٥٤ .

اللّه - .

٢ - ضبط النفس .

ولعل الركيزة الثانية للحكمة هي ضبط النفس وعدم الغضب لأن
الحكمة ليست علماً نظرياً إنما هي واقع عملي .
وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى قاعدة مهمة تنبني عليها أحكام كثيرة
حين أوصى الرجل الذي جاءه وقال : أوصني قال : « لاتغضب »
ثلاثاً^(١) . فلو كان الداعي عالماً ولايمسك نفسه عند الغضب ؛ فلن يكون
حينئذٍ متحلياً بالحكمة .

دوافع الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى :

إن الداعي إلى الله سبحانه وتعالى يستخدم في سبيل الدعوة كل
وسيلة مباحة متاحة ، وكل أسلوب مشروع يحقق للدعوة الذبوع
والانتشار .

وللحكمة في الدعوة إلى الله دوافع أبرزها مايلي :

١ - الامتثال .

إن الأمر الأول الذي يدفع الداعية إلى التحلي بالحكمة هو
الاستجابة والامتثال لأمر الله سبحانه ، وأمر رسوله ﷺ .
يوجه الله نبيه ومن سار على نهجه من الدعاة فيقول سبحانه :
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. ﴾^(٢) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، رقم الحديث ٧٦ ، راوي

الحديث أبو هريرة ٩٩/٧ ، ١٠٠ .

(٢) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

٢ - الرغبة في تحقيق الهدف وهو قبول الدعوة .

إن الدافع الثاني الذي يدفع الدعوة إلى الله تعالى في استخدام أسلوب الحكمة هو رغبتهم في أن يصل الحق للناس ، وأن تتقبله القلوب راغبة .

صور الحكمة في الدعوة إلى الله :

إن الحكمة في الدعوة إلى الله ليست لها صورة محددة ، إنما تختلف صورتها باختلاف الحال والمقام . وتأتي على صور منها :

١ - الحكمة بالقول .

قد يكون من الحكمة الكلام ووضع الأمور في مواضعها .
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه (١) .

قال رسول الله ﷺ : « لاتزموه (٢) ، دعوه » .

فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن . قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشبهه (٣) عليه « (٤) .

والشاهد من الحديث ، أن الرسول ﷺ استخدم الحكمة بالقول في هذه الحادثة مع رجل جاهل حين قال - عليه السلام - : « لاتزموه ، دعوه » .

(١) مه : اسم فعل أمر بمعنى توقف .

(٢) لاتزموه : لاتقطعوا عليه . (٣) فشبهه : أي صبه .

(٤) البخاري / صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، رقم الحديث ٢٥ ، ٨٠/٧ .

فلو ترك الرسول أصحابه - حين أرادوا أن يمنعوه - لحصلت مفسد منها :

- أ - حصول ضرر على بدنه بسبب قطع البول .
- ب - قد تحصل فتنة إما بالكلام أو بغيره في بيت الله مع رجل يتحرى منه ذلك لأنه جاهل .
- ج - عدم قبوله للدعوة .

٢ - الحكمة بالفعل .

وقد تكون الحكمة كذلك كما في فعل الرسول ﷺ :

عن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي - ﷺ - غنماً بين جبلين ، فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال : أي قوم أسلموا ، فوالله إن محمداً ﷺ ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها^(١) .

فالرسول ﷺ أجزل العطايا ليتحقق هدف الدعوة إلى الله لما للبذل من أثر في قبول الدعوة .

٣ - الحكمة بترك الفعل .

ومن صور الحكمة كذلك ، ترك الفعل في وقت قد يتحرى فيه الناس الفعل ، فيترك الفعل لتحقيق هدف الدعوة ، وعلى هذا شواهد كثيرة منها:

(١) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله له من الناس ، رقم الحديث ٥٨ ، ٢/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

ما فعله المنافقون في المدينة وزعيمهم عبدالله بن أبي من إيذاء للرسول وأصحابه ، هذا الفعل دعا الصحابة إلى مطالبة الرسول ﷺ بقتلهم .

فكان جواب الرسول الحكيم - ﷺ - « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »^(١) . كل ذلك دفعاً للفتنة ، وإظهاراً لتسامح الإسلام مما يدفع الناس لقبوله .

ومن ذلك ما فعله ﷺ مع أهل مكة عند الفتح حين اشترأبت الأعناق تنتظر القصاص ، وماذا يفعل مع الذين أخرجوه وأنوه وحاربوه ، هنا ظهرت الحكمة في ترك الفعل : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »^(٢) .

نجلي الحكمة في دعوة أهل مصر :

ولقد ظهرت الحكمة في دعوة أهل مصر إلى الإسلام بدءاً من العهد النبوي ، وامتداداً لما تلاه من عهود وتجنباً للتكرار والإطالة ، أشير - فيما يتعلق بالمقام - إلى النقاط الآتية :

١ - ظهور حكمة الرسول ﷺ في دعوته [للمقوقس] من خلال الرسالة التي أرسلها إليه والتي تحمل في طياتها الأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله وكذلك تظهر حكيمته - ﷺ - في اختيار حاطب الذي سلك هذا الأسلوب حين حاور [المقوقس]^(٣) .

(١) البخاري/ صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، رقم الحديث ١٦٠/٤ ، ٨ .

(٢) وفي مسلم كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، رقم الحديث ٦٣ ، ٤٣١/٢ .
(٣) أحمد بن حنبل ، المسند ١٨٠/٢ .

(٣) انظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة ، ص ٢١ .

٢ - حكمة الفاروق عمر - رضي الله عنه - .

وقد ظهرت حكمة الفاروق - رضي الله عنه - في مواطن كثيرة في أقواله ، وفي أفعاله ولناخذ مثلاً ذكره الفاروق في تقييم الناس ، ولاشك أن هذه الكلمات لايقولها إلا من أنعم الله عليه بالحكمة . يقول - رضي الله عنه - : (الرجال ثلاثة : رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لاينظر ، فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم ، ورجل حائر بائر لاياتمر رشداً ، ولايطيع مرشداً)^(١) .

ومن حكمته - رضي الله عنه - محاولة دفع الأمور ومعالجتها بالطرق المشروعة يوضح ذلك ماذكره عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في المفاوضات بين عمرو و [المقوقس] حين قال عمرو لأصحابه : (قد علمتم ماعهد إلي أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلي فيها أجبتمهم وقبلت منهم)^(٢) .

حكمة عمرو بن العاص في دعوة أهل مصر :

وقد ظهرت حكمة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - من معاملته الحسنة [للمقوقس] بعد الصلح ، حين طلب بعض الأمور من عمرو ذكرها ابن عبدالحكم بقوله : (فأنعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه إلى ماطلب)^(٣) .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ٣/ ٢٠٠ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

الحكمة ظاهرة في الرسل :

إذا ألقينا الضوء على مضامين ما حصل من حوار بين الرسل وبين [المقوقس] سواء كان رسول رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ، أم رسل الخليفة والقائد ، نجد أنهم أوتوا من الحكمة ما كان له الأثر في تلك النفوس .

ومن ذلك ما شهد به [المقوقس] - حين حاور حاطب بن أبي بلتعة - بقوله : (أنت حكيم جاء من عند حكيم)^(١) .

وتظهر الحكمة كذلك في رسول عمرو بن العاص عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - إثر بداية المقابلة بينه وبين [المقوقس] ، والتي ظهرت فيها الشدة والغلظة من قبل [المقوقس] حين قال (نحوا عني هذا الأسود)^(٢) ، فكان تصرف عبادة حكيماً إذ أنه بحسن أسلوبه وطريقة حوارهِ ، جعل [المقوقس] يغير من رأيه فيه إذ قال في نهاية الحوار (أيها الرجل الصالح ..)^(٣) إعجاباً بتلك الصفات التي أظهرت شخصيته الحقيقية ومنها الحكمة .

أثر الحكمة على الدعوة الإسلامية في مصر :

إن لاستخدام ذلك الأسلوب أثره على الدعوة الإسلامية وانتشارها ومن تلك الآثار :

١ - دخول الدعوة إلى القلوب وهو الهدف الذي يسعى إليه الدعاة إلى الله عز وجل . إذ أن هدفهم التمكين للإسلام وهذا ما عبر عنه

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - (إنما رغبنا وهمتنا
الجهاد في الله واتباع رضوانه)^(١).

٢ - حب المنتسبين إلى الدعوة .

وهذا الأثر يمهد لمرحلة أخرى ، إذ أن حكمة الدعوة إلى الله عز
وجل جعلت الناس يحبونهم ، الأمر الذي يمهد لقبول الدعوة
الإسلامية .

٣ - تناقل الناس هذا الأسلوب باعتبارهم لم يشهدوه من قبل .

وحين يسمع الآخرون بالتطبيق الفعلي للحكمة من بني جنسهم ،
فإنهم سيتأثرون بذلك من واقع صدى تلك التطبيقات .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

المبحث الثالث « القدوة الحسنة »

مفهوم القدوة : تقول كتب اللغة عن القدوة هي « المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل مثلما يعمل »^(١).

أما المقصود بالقدوة في مجال أساليب الدعوة فهي : اتصاف الداعي وحرصه على أن تكون سيرته الذاتية حسنة ، وأفعاله حميدة ، وأخلاقه زاكية سامية ، ولبيان دعائم هذه القدوة أستأنس بقول عبدالكريم زيدان : « وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ، ترجع إلى أصلين كبيرين : حسن الخلق ، وموافقة العمل للقول »^(٢).

حقاً إن الداعي إلى الله لن يوفق في مهمته إلا إذا كان متبعاً لسبيل رسول الله ﷺ ومتطلعاً لتحقيق الغاية التي بعث من أجلها الرسول الخاتم ، مصداقاً لقوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(٣).

كذلك لن يتم التوفيق للداعي إلى الله في مهمته الدعوية ، إلا إذا طابق فعله قوله ، وترجم عمله ماينطق به لسانه . . . وصدق الله سبحانه إذ ينكر على أي مسلم بصفة عامة، وأي داع إلى الإسلام بصفة خاصة أن يكون مسلكه في فعله مغايراً لقوله ، فيقول سبحانه :

(١) المعجم الوسيط ٧٤٨/٢ ، ط / دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

(٢) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٤٦٨ .

(٣) أحمد بن حنبل ، المسند ٦٠/١٠ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾^(١).

ثم يحق لي أن أذكر ، فأقول : لأمر ما حين مدح الله تعالى الدعوة إليه ، وأعلى شأنهم ، وأشاد بمهمتهم . . . قرن العمل بالقول ، فقال جل شأنه : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾^(٢).

القدوة من جانب الحكام :

وفي مقام الحديث عن أسلوب تبليغ الدعوة بالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة يطيب لي أن أعرض الأمثلة والنماذج الواقعية التي تظهر فيها بجلاء - القدوة الحسنة ، من قبل الحكام المسلمين الذين عاصروا دعوة أهل مصر على نحو ما يأتي :

أولاً : القدوة في سلوك الحاكم الأول محمد بن عبدالله ﷺ .

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة حسنة لأصحابه - رضي الله عنهم - ولن جاء بعدهم ، لقد كان قدوة في عباداته ومعاملاته وفي أموره كلها ، يقول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . . . ﴾^(٣).

ولعل المقام يسمح لي بعرض موقف نبوي يتعلق بعبادة الصلاة . . . وفي بيان هذا الموقف يروي الإمام مسلم : عن عبيد الله بن عبدالله قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقل النبي ﷺ فقال : أصلى الناس ؟

(١) الصف ، آية ٢ - ٣ .

(٢) فصلت ، آية ٢٣ .

قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، قال : ضعوا لي ماءً في المخضب ، ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : ضعوا لي ماءً في المخضب ، ففعلنا ، فاغتسل ، فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضعوا لي ماءً في المخضب ، ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمي عليه ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ قلنا لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . قالت : والناس عكوف في المسجد ، ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صل بالناس ، فقال عمر : أنت أحق بذلك . قالت : فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام ، ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين ، أحدهما العباس ، لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر ، وقال لهما أجلساني إلى جنبه ، فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، والنبي ﷺ قاعد . قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبي ﷺ ؟ قال : هات . فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه ، قال : أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا ، قال : هو علي ^(١) .

فالشاهد من الحديث في هذا المقام هو خروجه صلى الله عليه وسلم بين الرجلين للصلاة ، فالقدوة الأول نبينا محمد ﷺ خرج إلى

(١) مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذ مرض وصلاته بالناس ، ١٢/١ .

الصلاة متحاملًا على نفسه . وفعله هذا فيه إشارة إلى أهمية الصلاة وعظم مكانتها في الإسلام وضرورة إقامتها حتى وإن كان القدوة - ﷺ - قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .

ثانياً : القدوة في سلوك الصديق - رضي الله عنه - .

ولعلي في هذا المقام ألقى الضوء على جانب من جوانب القدوة في سلوك الصديق - رضي الله عنه - ، فقد عرف الناس أن أسبق الصحابة إلى الإنفاق في سبيل الله أبو بكر - رضي الله عنه - إذ كان الصحابة يتسابقون من أجل الاقتداء بأبي بكر في الإنفاق .

يستشهد على ذلك ماورد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي . قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوماً فجنّت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت لا أسبقه في شيء أبداً^(١) .

ثالثاً : القدوة في سلوك الفاروق عمر - رضي الله عنه - .

عندما تولى عمر الخلافة كان ينظر إلى نفسه وأهل بيته نظرة خاصة ، يرى أن الناس يتتبعون كل صغيرة وكبيرة في سلوك الفاروق وأهل بيته ، فهو القائم على تنفيذ أوامر الله بعد وفاة الرسول ﷺ وصاحبه ، وليس من المقبول أن يأمر بشيء ويأتي هو أو أهل بيته غيره ، لذا كان حرص الفاروق - على التطبيق الفعلي - شديداً على نفسه

(١) الترمذي / سنن الترمذي ١٢٧/٣ ، ط / الطلبي ١٢٩٦ هـ ، الطبعة الأولى ، ت : أحمد شاكر .

وعلى أهل بيته ، وكان - رضي الله عنه - إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء قال لأهله : « لا أعلمن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا ضعفت له العقوبة »^(١).

القدوة من القادة والعمال :

وقد كان القادة المسلمون والعمال حريصين كل الحرص على التطبيق العملي نظراً لمكانتهم القيادية .

ومع كل ذلك الحرص منهم يتابع الفاروق - رضي الله عنه - ذلك النموذج الذي وُضع أمام أعين الناس بقوله - حين يأتيه وفد من الوفود - : (كان الوفد إذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابهِ ؟ فإن قالوا لخصلة منها : لا ، عزله)^(٢).

فلو ألقينا الضوء على هذا الموقف من الفاروق - رضي الله عنه - لوجدنا أن القدوة الحسنة في سلوك العمال والقادة كائنة لامحالة ، لأن الذي لا تتوفر فيه الصفات الحسنة لن يكون له مكان قيادي يوليه إياه عمر .

ولعلي أعرض جانباً آخر من جوانب القدوة في سلوك القائد الفاتح عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إذ كان يسير - رضي الله عنه - في أول الجيش فكان لا يأمر بأمر إلا وقد فعله ولا ينهى عن شيء إلا ابتعد عنه^(٣).

(١) محمد هيكل ، الفاروق عمر ٢/٢١٧ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٤/٢٢٦ .

(٣) انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٠ .

وكان يتقدم في دخول الحصون ، والمبارزة ، حتى يمنعه أصحابه خوفاً من تفرق المسلمين عند فقد القائد^(١).

القدوة في سلوك الدعاة المسلمين في مصر :

وكما أن القدوة قد ظهرت في سلوك الحكام والقادة ، فقد ظهرت أيضاً في سلوك الدعاة المسلمين ، ولعلي أعرض نماذج من تلك الصور على نحو مايلي :

١ - ظهور القدوة في سلوك عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - حين خرج عليه نفر من الروم وهو يصلي فتعقبهم ، ثم رموا له بعض أمتعتهم ليشغلوه ، فلم يأبه بها وطاردهم حتى دخلوا الحصن ، ثم رجع - رضي الله عنه - إلى صلاته^(٢).

فلو ألقينا الضوء على تلك الحادثة ، لوجدنا أن القدوة الحسنة ظهرت في عدم اهتمامه بما ألقى إليه من متاع ، فقد ظهر الالتزام العملي وظهر النموذج الحسن للدعاة إلى الله في إعراضه عن متاع الدنيا الزائل .

وتظهر صورة أخرى من صور القدوة الحسنة في اهتمامه بصلاته، ورجوعه إليها ، فهي صفات قد لا تحتاج إلى تعقيب وتعليق فإن مجرد سرد هذه الحادثة يبين هذا الجانب العظيم من جوانب الدعوة إلى الله .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥١ .

٢ - ظهور القدوة في سلوك الصحابي الجليل الزبير بن العوام حين قدم نفسه في سبيل الله رخيصة وقال : (إني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً)^(١) .

٣ - ظهور القدوة في سلوك أفراد الجيش الإسلامي .
ويظهر ذلك في الصورة التي رآها رسل [المقوقس] عندما حبسهم عمرو - رضي الله عنه - ليروا ذلك الواقع ، فقد نقل الرسل تلك الصفات الحسنة في أفراد الجيش المسلم ، ومنها التضحية ، والتواضع والإعراض عن متاع الدنيا والاستعداد النفسي والبدني للجهاد ، والمساواة ، والحرص على أداء الفرائض ، كل هذه الصفات لم تكن أموراً نظرية ، إنما رآها رسل المقوقس واقعاً ملموساً .

أثر القدوة في الدعوة إلى الله :

إن لسلوك القدوة في الدعوة إلى الله أثراً إيجابية أعرضها في إيجاز على نحو ما يأتي :

١ - يرى المدعو الجانب العملي للدعوة قبل النظري أو معه وهذا الجانب أبلغ في التأثير والإقناع امتثالاً لا للحكمة القائلة [منطق الأفعال أقوى في الإقناع] من الأقوال .

ولو ألقينا الضوء على ذلك الموقف الذي نقل فيه رسل [المقوقس]

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) عبدالبديع صقر ، كيف ندعو الناس ؟ ص ٨٣ ، ط / الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ،

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

تلك الصورة لواقع المسلمين وتتبعنا آثارها وأبعادها لوجدنا أن آثارها لاتحد بحدود ، الأمر الذي دفع [المقوقس] بعد نهاية الحوار إلى القول : (والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء من أحد)^(١) .

٢ - إن سلوك القدوة يدفع إلى السؤال عن ماهية الدعوة .

يؤكد هذا ما ظهر في شخص ذلك النموذج الفعلي للدعاة إلى الله ، عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - في موقفه مع [المقوقس] ، إن تلك الصفات التي ظهرت فيه أظهرت جانباً من جوانب الدعوة إلى الله ، مما دفع [المقوقس] أن يسأل عن خصائص الدين الإسلامي .

وقبل هذا موقف الصحابي حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - وأسئلة [المقوقس] له عن ماهية الدعوة .

٣ - ومن الآثار كذلك أن سلوك القدوة يجعل الفرد يعمل عن اقتناع ، بل يدفعه دفعا ذاتياً إلى العمل دون أن يشعر بثقل التكليف من أوامر ونواه مع أنه لا يخفى على أحد طبيعة النفس الإنسانية وموقفها من أي تكليف يوجه إليها .

فإن الإنسان جبل على النفرة من الأوامر والنواهي المباشرة ما لم يكن لها عوامل تساعد وتشجع بل توجد روح المنافسة على الاتباع ، ولن يتحقق ذلك إلا في وجود القدوة الملتزمة عملياً بما وصل إليه علمها ولعل هذه الصورة تظهر بعد نهاية الحادثة السابقة - عندما اقتحم الزبير - رضي الله عنه - الحصن وصعد السلم وكبر ، لعلنا نتساءل ما أثر هذه القدوة في سلوك الزبير ؟ لقد تأثر الناس من هذا الموقف واندفعوا للحاق بالزبير ، يقول ابن عبد الحكم (وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر)^(٢) .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

الفصل السادس

عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر

الفصل السادس

« عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر ،

تمهيد :

هناك أسباب عديدة كان وجودها عاملاً مهماً في نجاح الدعوة الإسلامية في مصر والتأثير في أهلها .
ونجاح الدعوة الإسلامية في مصر لم يأت من فراغ إنما كان وراء ذلك النجاح أسباب عدة سواء كان في وضوح تعاليم العقيدة السمحة ، أم في طريقة عرضها ، أم في الصفات الحسنة التي تربي عليها أولئك الأصحاب الذين أسروا القلوب ليس بالقوة وحدها إنما بالمنهج الأمثل الذي رباهم عليه محمد بن عبدالله ﷺ .

وفي هذا الفصل سأعرض عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر عرضاً يظهر تلك العوامل ويجعلنا على مقربة منها بحيث يفيد منها الدعاة المعاصرون متبعين سنن من عمل بها - فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها - ولنا في رسول الله - ﷺ - وأصحابه القدوة الحسنة .

المبحث الأول

« وضوح الإسلام وغموض النصرانية »

كان في مصر عاملان رئيسان .. مرتبطاً أحدهما بالآخر وكان لهما الأثر الأكبر في نجاح الدعوة الإسلامية في مصر : عامل إيجابي: وهو وضوح هذه العقيدة الإسلامية التي حملها أولئك القوم من جزيرة العرب ، وبذلوا في سبيل إيصالها الغالي والنفيس ، وعامل سلبي : هو غموض النصرانية المحرفة ، والتي نقلها قوم لا يستطيعون الخوض في تفاصيلها إذ مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، وديانة النصرانية فيها من التناقضات والأكاذيب ما تنفر منه العقول السليمة ، الأمر الذي ساهم في نجاح الدعوة وانتشارها في مصر وفي هذا المبحث سألقي الضوء - إن شاء الله - على هذين العاملين اللذين كان لهما أثر واضح في القضية المعروضة في هذا المبحث من الرسالة .

المطلب الأول

« وضوح الإسلام »

إن هذا الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى هو دين الحق الذي أنزل على النبي الأمي محمد بن عبدالله - ﷺ - فيه سعادة المرء في دنياه وآخرته قال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾^(١).

ولعل من أبرز سمات الدين الإسلامي الوضوح ، ووضوح الإسلام يأتي من طرق^(٢) :

الطريق الأول : وضوح الإسلام من ناحية موضوعه .

إن الجانب الأول من جوانب وضوح الإسلام وضوحه من ناحية الموضوع ، وإنه لوضوح نو معالم ثابتة تتمثل في النواحي الآتية :

١ - ناحية العقائد .

لقد جاء الإسلام بعقيدة واضحة ميسرة لكل الناس ، ويظهر ذلك في عرض القرآن الكريم لأصول الإيمان وأركانه . يقول الله - عز وجل - (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)^(٣).

(١) سورة محمد ، آية (٢) .

(٢) استأنس الباحث في التقسيم الخاص بطرق الوضوح المذكورة هنا في هذا المطلب بما جاء في كتاب الخصائص العامة للإسلام ، د . يوسف القرضاوي .

(٣) البقرة ، آية (٢٨٥) .

فالإيمان بالله أولاً ويتضمن التوحيد في الربوبية والألوهية
والأسماء والصفات .

إن كلمة التوحيد وأولى الشهادتين كلمة واضحة المضمون والدلالة ،
ومن ثم فهي بعيدة عن اللبس والغموض . . إنها كلمة واضحة في
الإقرار والإفراد والوصف .

يقول د / القرضاوي [فالتوحيد في حد ذاته قضية واضحة في
ضمير كل مسلم ، ودليلها أيضاً واضح في فكره ، كما أن أثرها كذلك
واضح في حياته]^(١) .

لذا كانت بداية الدعوة التي وصلت إلى مصر هي دعوة الرسول
ﷺ حين أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى [المقوقس] ، بالرسالة التي
تتضمن كلمة التوحيد الواضحة ، والتحذير من اتخاذ شريك مع الله أو
أرباب من دونه ، ويتجلى ذلك في تضمين الرسالة قول الله عز وجل :
﴿ . . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولانشرك به شيئاً ، ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾^(٢) .

والإيمان بالملائكة الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، ففي
الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما سأل
جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره »^(٣) .

(١) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة في الإسلام ، ص ١٨٨ ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
الطبعة السابعة ١٤٠٩ هـ .

(٢) آل عمران ، آية ٦٤ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم الحديث (١) ٢٢/١ .

والإيمان بالكتب السماوية وهو الركن الثالث من أركان الإيمان إيماناً بأنها أنزلت من عند الله ، والإيمان بآخرها وهو القرآن الكريم الذي هو ناسخ لجميع الكتب السابقة .

والإيمان بالرسول ، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان إيماناً بأنهم أرسلوا من عند الله من عرفنا منهم اسمه ، ومن لم نعرف نؤمن بهم إجمالاً ، وتتبع آخرهم محمداً - ﷺ - والذي هو خاتم النبيين .
ثم الركن الخامس الإيمان باليوم الآخر ، وهو اليوم الذي يكون فيه الجزاء والحساب وأخيراً الإيمان بالقدر خيره وشره أي بما قدره الله عز وجل من الخير والشر .

أقول : إن هذه الأركان الستة واضحة ميسرة لكل باحث عن الحق تجعله يعتنق أصول الإيمان . بسهولة ووضوح يبعده عن الأوهام والتكهنات .

ولعل مما يؤيد اختصاص الإسلام بخاصية الوضوح شهادة غير المسلمين ومن أولئك [غوستاف لوبون] في كتابه - حضارة العرب - حين قال : (وتشتمق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض ، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام ، والإسلام - وإدراكه سهل - خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم ، غالباً ^(١) ، من المتناقضات والغوامض ، ولاشيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً ^(٢) من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله . .) ^(٣) .

(١) وهذا رأي الكاتب على ما ذكره من أمور تبين محاسن الإسلام إلا أنه أثار بعض الشبه التي

تتعرض لها في فصل قادم ، وقوله (غالباً) تفيد أن له مواقف من بعض أحكام الإسلام .

(٢) عبارة عدائية تلقى شيئاً من الشكوك حول اختصاص دعوة الإسلام بخاصية الوضوح وذلك حين تنفي الوضوح التام عن أصول الإسلام .

(٣) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٢٥ .

كما أن الكاتب [توماس أرنولد] في كتابه الدعوة إلى الإسلام ؛ أشار إلى ما تتميز به عقيدة التوحيد من السهولة والوضوح ، وذلك في تصويره لأتباع المذهب اليعقوبي عندما تحولوا إلى الإسلام ، ولاحظوا البون الشاسع بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه بقوله (ولاشك أن كثيراً من هؤلاء^(١) قد تحولوا ، وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احتدم من حولهم ، إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة ..)^(٢).

هذه هي العقيدة الواضحة التي قام عليها بناء الإسلام ، واجتمع عليها المسلمون إخوة متحابين .

ب - وضوحه من ناحية العبادات .

والعبادات في الإسلام واضحة تمام الوضوح ، سواء منها ما كان على سبيل الوجوب^(٣) ، أم على سبيل الندب .

إن أقل الناس معرفة بأحكام الإسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يجهل أركان الإسلام الخمسة المذكورة في حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - « بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،

(١) إشارة إلى أتباع المذهب اليعقوبي .

(٢) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٢٦ .

(٣) عرف الواجب بأنه : ما وعد على فعله بالثواب وأوعد على تركه بالعقاب ، والمنسوب : ما يحمده فاعله ولا يذمه تاركه شرعاً ، انظر : يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي ، الإيضاح لقوانين الاصطلاح ، ت / فهد محمد السدحان ، ص ٢٦ - ٢٧ ، الناشر مكتبة العبيكان ، الرياض .

١٤١٢ هـ ، الطبعة الأولى ص .

والحج ، وصوم رمضان ^(١) .

فالصلاة عبادة معروفة بوقتها ، وبعدها ركعاتها ، خمس صلوات في اليوم واللييلة ، وفريضة واضحة في أهدافها ، وأثارها التي يلمسها كل مؤدٍ لها بأركانها وواجباتها وكافة أوجه أدائها .

والزكاة أيضا عبادة واضحة في أحكامها وحكمة تشريعها وأثارها الطيبة على الفرد والمجتمع .

والصوم أيضا عبادة واضحة محددة ، وكذلك حج بيت الله الحرام معلوم وواضح وقته ومكانه وكل ما يتعلق بمناسكه .

ومن باب - والفضل ماشهدت به الأعداء ^(٢) - أورد كلمات نطق بها أحد الكُتَّاب من غير المسلمين فقال : (لقد كان الإسلام من البساطة في عقائده بحيث يفهمه الكافة ، وقد تطلب من شعائر الصلاة اليومية وشعيرة الصيام ما يكفل فرض نظام يثمر التقوى في الحياة اليومية ولقد سما الإسلام بمعتنقيه فوق مشاعر السلالة واللون ، مشيداً صرح أخوة مسلمة باسم الله) ^(٣) .

ثم إن العبادات التي لا تكون على سبيل الوجوب شرعت لمن أراد أن يتزود وليسد بها أي خلل يقع أثناء تأدية الفرائض ، فالناس في الجزاء الأخرى يتفاضلون في الدرجات كما قال الله عز وجل :

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ، رقم الحديث (١) ٨/١ .

وفي مسلم / كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ، رقم الحديث (٢١) ٢٧/١ .

(٢) ستانوكب - المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة د / محمد فتحي عثمان ، ص ٤٥ .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »^(١) .
وكما أخبر الرسول ﷺ - وهو الصادق المصدوق - في الحديث
الذي رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - بقوله : « إن أهل الجنة
ليتراعون أهل الغرف من فوقهم كما تتراعون الكوكب الدرّي الغابر من
الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم » ، قالوا : يارسول الله
تلك منازل الأنبياء . لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى والذي نفسي بيده ،
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(٢) .

ج - وضوح من ناحية المعاملات .

والإسلام - كذلك - واضح في مجال المعاملات كالبيع والشراء ،
فقد حدد شروطاً تنصف الطرفين ، وحذر من المعاملات المحرمة التي
يكون فيها ظلم لأحد الطرفين ، وشرع قاعدة عظيمة في إنصاف الناس
في مجال المعاملات تتمثل في ما رواه عبدالله بن عباس - رضي الله
عنهما - حيث قال : قال ﷺ « لا ضرر ولا ضرار »^(٣) .

أقول : إن ما تتميز به دعوة الإسلام من وضوح في أحكام
المعاملات ، أمر تفتقده القوانين الوضعية والشرائع المحرفة .

د - وضوح من ناحية الآداب العامة .

لم يترك الإسلام أمراً حسناً فيه صلاح للفرد والمجتمع إلا حث
عليه ، ولم يترك أمراً سيئاً إلا حذر منه ، وإذا كان المجال لا يتسع لذكر

(١) سورة الزلزلة ، آية ٦ و ٧ .

(٢) مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف ٥٢١/٢ .

(٣) أحمد بن حنبل ، المسند ٢٢٧/٥ .

الآداب الحسنة ذكراً مفصلاً ، فقد يتسع لإشارات مجردة لعدد من الأمور التي دعا إليها الإسلام منها حسن الخلق ، وآداب التحية ، وآداب الحديث ، وآداب الزيارة والاكل والشرب والنوم واللباس ، وغيرها من الآداب التي حث عليها الإسلام ، وفصل العلماء القول فيها تفصيلاً . إن كل هذا يؤكد عظمة الإسلام ، ووضوحه ، حتى في هذه المجالات التي جاءت لتكمل شخصية المسلم المتمثل أمر ربه سبحانه وتعالى .

هـ - وضوح من ناحية العقوبات والحدود .

إن المتفكر في أحكام الإسلام ، والناظر إليها بعين العقل بعيداً عن العواطف ، يجد الوضوح حتى في مجال العقوبات والحدود . ولعلي أستعرض جانباً من جوانب الحدود كحد القصاص مثلاً : يقول الله عز وجل في محكم كتابه : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾^(١) .

ففي الآية الكريمة يظهر وضوح الإسلام في أثر القصاص الذي يحفظ به سلامة المجتمع ، ويجعل الأفراد يحيون حياة الأمن على أرواحهم ودمائهم .

يقول سيد قطب في كتابة خواطره حول آية سورة البقرة المذكورة : (والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الإعتداء ساعة الابتداء ، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل . . جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد ، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند

(١) البقرة ، آية ١٧٩ .

وقوع القتل بالفعل ، شفافها من الحقد والرغبة في الثأر ، الثأر الذي لم يكن يقف عند حد في القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاماً كما في حرب البسوس المعروفة عندهم ، وكما نرى نحن في واقع حياتنا اليوم ، حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلاً بعد جيل ، ولاتكف عن المسيل . . (١) .

هذا ومن المعلوم لنا ، أنه يوجد فريق من الناس - حين يرى تشريع العقوبات في الإسلام - قد تأخذه العاطفة ويشعر أن فيها قسوة ، وتشهيراً ، وتعذيباً للجاني .

إنه قد يتألم حين يرى الجاني يقاد للقصاص ، وقد يتألم حين يرى المحسن يرجم بسبب ارتكابه جريمة الزنا . ومبعث هذا الشعور هو الإصرار على رؤية المشهد من زاوية واحدة . . ألا وهي جهة العقوبة . أما إذا قام الفريق المذكور بالمقارنة بين المشهدين ، ويتصورهما أمام عينيه فإنه سيزول عنه هذا الشعور القاصر إنه إذا تصور فحش الجرم الذي ارتكبه الجاني إن كان معتدياً على رجل آمن في سريره ، أو على امرأة عفيفة طاهرة فإن مشهد العقوبة لن يؤثر فيه . ومن هنا يظهر الوضوح في عدالة العقوبات وجدارتها بتحقيق الإصلاح في كل زمان ومكان .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١٦٥/٢ .

الطريق الثاني : وضوح الإسلام من ناحية عرضه .

ولعل مما يثبت واقعية هذا الطريق أمرين اثنين : -

أ - أن الدعوة إلى الله - عز وجل - لا يكرهون أحداً على الدخول في الإسلام ، وهذا يدل على عظمة الإسلام ، يقول الله تعالى :
(لا إكراه في الدين ..)^(١) .

ولعلي أتساءل : لماذا قال الله تعالى : « لا إكراه في الدين .. » ؟
والجواب على هذا السؤال في الآية نفسها وهو قوله تعالى : ﴿ قد تبين الرشد من الغي .. ﴾ .

إن الأمر واضح وبيّن ولا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه ، كما لا يحتاج أن يحمل الناس قسراً على اعتناقهم له ، يقول سيد قطب حول هذه الآية : (وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان ، واحترام إرادته وفكره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد ، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظمٌ مذلة لاتسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختيار عقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها ..)^(٢) .

وهذه ميزة من ميزات الدين الإسلامي ، فسرُّ عظمته وضوحه ، ومن وضوحه يفترض أن الناس هم الذين يأتون إليه ويدخلون فيه لا أن يكرهوا على الدخول فيه .

(١) البقرة ، آية ٢٥٦ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٢٩١/١ .

ب - ومن وضوح العرض كذلك عدم إخفاء شيء منه .

إن الأديان المحرفة يكون فيها غموض في العرض ، فالذي يدعو إليها قد لا يظهر كل ما يعرفه لأنها مليئة بالمتناقضات - وسيأتي الحديث لاحقاً عن هذا الموضوع - أما الدعاة المسلمون فهم أمام قضايا واضحة تمام الوضوح ، ومن ثم لا يوجد فيها ما يجب إخفاؤه ، أو يخشى من إظهاره .

ولعل خير شاهد في هذا المقام ، ما حصل من الداعية الأول رسول الله ﷺ حين نزل عليه القرآن الكريم معاتباً إعراضه عن الصحابي عبدالله بن أم مكتوم - رضي الله عنه - ، ومع أن العتاب نزل لشخصه ﷺ إلا أن ذلك لم يمنعه من إظهاره .

يقول الله عز وجل : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنتفه الذكري ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ﴾ (١) .

الطريق الثالث : وضوحه من ناحية الهدف والغاية .

إن الإسلام في هذا المقام - كما في غيره - واضح تمام الوضوح ، ولا لبس فيه ولا غموض ، بل إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يلمس بسهولة ويسر وضوح ما يهدف الإسلام إليه ، والغاية التي يسعى إلى تحقيقها .

يقول الله عز وجل : ﴿ أر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (٢) .

(١) سورة عبس ، الآيات ١ - ٧ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ١ .

قال السُّعدي في تفسير الآية : (يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ ، لنفع الخلق ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة ، وأنواع المعاصي إلى نور العلم ، والإيمان ، والأخلاق الحسنة)^(١).

ويقول الله عز وجل : ﴿ . فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً . رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور . ﴾^(٢).

ومن خلال الاستعراض الاجمالي للآيتين الكريمتين يتضح لنا هدف الإسلام ، وغايته وهو إخراج الناس من ظلمات المعصية إلى نور الإيمان بالله تعالى .

ولعل صحابة الرسول - ﷺ - رضي الله عنهم - أكدوا هدف الإسلام وغايته في أكثر من مناسبة يلتقون فيها مع أعداء الله ومن ذلك: توضيح الصحابي الجليل ربيعي بن عامر - رضي الله عنه - هدف الإسلام وغايته في حوارهِ مع قائد الفرس [رستم] حين قال له : (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الديننا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)^(٣).

(١) عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٢١/٤ .

(٢) سورة الطلاق ، آية ١٠-١١ .

(٣) ومما يؤكد اهتمام الصحابة بتوضيح هدف الإسلام لأهل مصر ماجاء في الحوار الذي دار بين الصحابي عبادة بن الصامت وبين [المقوقس] حين وضع عبادة الهدف بقوله (فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، وقوله - رضي الله عنه - [للمقوقس] : فإن قبلت ذلك (أي الإسلام) أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة) . ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

المطلب الثاني « غموض النصرانية »

في بداية هذا المبحث ، سبق لي أن قلت : لقد كان وراء نجاح وانتشار الدعوة الإسلامية في مصر عاملان اثنان .. العامل الأول منهما إيجابي ، يتمثل في اختصاص الدعوة بخصيصة الوضوح ، وقد فرغت - في المطلب السابق - من الحديث عنه ..

والعامل الآخر سلبي ، ويتمثل في غموض الديانة النصرانية .. وهو غموض يكشف عن حجمه وضوح الإسلام ، إذ الأمر كما قيل :
بضدها تتميز الأشياء .

ولعلي أعرض في - هذا المقام - أوجه الغموض في النصرانية المحرفة على نحو مايلي :

الوجه الأول : الغموض من ناحية الاختلاف في الموضوع .

وأول مظاهر الغموض فيها هو عدم الاتفاق على الموضوع الأساس لها وهو المعتقد ، فالخلاف بدأ من المعتقد الذي ظهر الخلاف فيه على أشده .

ولو أردت عرض الخلافات وكافة صور الغموض في النصرانية المحرفة لما اتسع المقام لذلك ، ولذا سأكتفي بعرض بعض الجوانب المتعلقة بالخلافات المذكورة ، إعمالاً للقول المشهور [ما لا يدرك كله لا يترك جله] .

ومن تلك الخلافات التي ظهرت :

أ - ما حصل بين [نسطور] رئيس كنيسة القسطنطينية وبين الأساقفة

في روما وأنطاكية وغيرها من البلدان حول الإله^(١).
يقول بطريك القسطنطينية نسطور : (أن هناك أقنوما وطبيعة ،
فأقنوم الأكوهية من الأب وتنسب إليه ، وطبيعة الإنسان وقد ولدت
من مريم ، فمريم أم الإنسان ، وليست أم الإله)^(٢).
ومن أقواله : (إن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح بالمحبة
متحد مع الأب ، ويقال أنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن
بالموهبة)^(٣).

واحتد الخلاف بين [نسطور] من جهة والأساقفة في الإسكندرية
وروما وأنطاكية من جهة أخرى ، حتى دُعوا إلى عقد مجمع
[أفسس] سنة [٤٤١ م]^(٤).

وانعقد المجمع الذي ضم كبار الأساقفة وقرروا : (أن مريم العذراء
والدة الله ، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد
في الأقنوم)^(٥).

وفي الوقت ذاته انقسم المجتمعون على رأيين مختلفين غير رأي
[نسطور] فكل بطريك له رأي مخالف كما حصل من بطريك
أنطاكية الذي احتج على المجمع ، وكذلك بطريك الإسكندرية
خالفهم في أول الأمر ثم رجع .

(١) انظر : محمد أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، نقلاً عن ابن البطريق ، ص ١٦٦ .

(٤) انظر : محمد أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٦٦ .

(٥) المرجع السابق ، نقلاً عن ابن البطريق ، ص ١٦٦ .

ب- الخلاف الذي حصل بين اليعاقبة والملكانيين في الطبيعة والطبيعتين^(١).

إن الخلافات التي ظهرت في ذلك الوقت وغيرها كثير ، مما لم يذكر تؤكد للباحث حقيقة واحدة هي غموض النصرانية المحرفة في الموضوع ، الأمر الذي يترتب عليه ، ضرورة إلغاء العقل لقبول ماتدعو إليه النصرانية من عقائد .. يقول د/ القرضاوي عن ديانة النصرانية : (إنها لا تتمتع بالوضوح لدى المؤمنين بها ، ولهذا تعتمد على الإيمان بغير برهان ، « اعتقد وأنت أعمى » أو أغمض عينيك ثم اتبعني)^(٢) .
ولو قارنا ذلك بالإسلام لوجدنا موضوع الإسلام سهلاً ميسراً مبنياً على أسس واضحة بخلاف النصرانية المحرفة والتي يحيط بها الغموض من كل جانب .

وضوح الإسلام يرد على الغموض والتناقض في موضوع النصرانية المحرفة :

إن القرآن الكريم لم يترك تلك الأمور غامضة دون أن يتعرض لها بل كشفها ووضحها في دعوة عامة لليهود والنصارى بترك الخلافات ، وضرورة الاتجاه إلى الطريق الحق في موضوع العقيدة .

يقول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾^(٣) .

(١) انظر : الفصل الأول من الرسالة ، ص ٥ .

(٢) انظر : يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٨٨ بتصرف يسير .

(٣) سورة النساء ، آية ١٧١ .

والقرآن الكريم حين تصدى للتحريفات العقديّة في النصرانية
المحرفة ، سارت آياته الكريمة في ثلاثة محاور :
١ - كشف الخفايا .

فقد كان النصارى يخفون الشيء الكثير مما جاءت به النصرانية
الصحيحة ، يقول الله عز وجل : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ..)^(١) .
٢ - تخطئة الطريق الذي يسرون عليه وتكفير من يسلكه .

يقول الله عز وجل : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن
مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم .. ﴾^(٢) .
ويقول الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .
وما من إله إلا إله واحد .. ﴾^(٣) .

٣ - التركيز على ما تميزت به الدعوة الإسلامية من وضوح تام في الهدف
والموضوع .

يقول - عز وجل - مخاطباً أهل الكتاب : ﴿ .. قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾^(٤) .

الوجه الثاني : غموض النصرانية من جانب العرض .

والغموض الذي أتحدث عنه هنا ، يتمثل في عرض النصارى
لديانتهم المحرفة ، وأتصور أن الغموض في العرض مرتبط بالموضوع ،

(١) سورة المائدة ، آية ١٥ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٧٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٧٣ .

(٤) سورة المائدة ، آية ١٦ .

الأمر الذي يعني أن الموضوع إذا كان غامضاً فمن باب أولى تكون طريقة العرض غامضة .

ويحق لي هنا أن أستأنس بشهادة الكاتب [غوستاف لوبون] في كتابه حضارة العرب عن الطريقة التي يتم بها عرض النصرانية وذلك حين يقول : « لو سألت مسيحياً عن عقيدته لما استطاع أن يجيبك منهم إلا المتخصصون ، والمتخصصون يجيبونك بكلام غير مفهوم ، ولو سألت أي مسلم عن عقيدته ، لأجابك بكلام واضح سهل ، لاتعقيد فيه ولاغموض ، ولعل هذا سر عظمة الإسلام وانتشاره »^(١).

ولعل أصدق تصوير ذكر - عن أولئك الذين يدعون إلى النصرانية المحرفة - ما ذكره الشيخ أبو زهرة بقوله عنهم : (حتى إذا يؤسوا^(٢) قالوا إنها فوق العقل ، وأن العقل لا يستطيع تصويرها تصويراً كاملاً ، وأنها ستنجلي يوم القيامة)^(٣).

وقد حكم الشيخ أبو زهرة حكماً صائباً حين رد على مقولاتهم السابقة بقوله : (ولذلك نجد من الظلم لأنفسنا أن نناقشها ، لأن العقل لا يستطيعها باعترافهم فكيف نناقشها ؟)^(٤).

(١) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٧٠ .

(٢) أي من توضيح الغموض المحيط بعقائدهم من كل جانب .

(٣) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

المطلب الثالث

« أثر وضوح الإسلام على الدعوة الإسلامية بمصر ،

إن وضوح الإسلام وسهولته قد ترك أثراً طيبة على الدعوة الإسلامية في مصر أنكر منها :

١ - إن هذا الوضوح جعل الناس يعتقدون الإسلام من غير قسر ولا إكراه ، فهم دخلوا في الإسلام عن معرفة واقتناع .

٢ - أن هذا الوضوح يقيم الحجة على المعاندين ، وبذلك يستحقون العقاب من الله جزاء وفاقاً ، لأنهم رأوا نور الإسلام واختاروا غيره ، يقول الله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾^(١) .

٣ - ومن آثار الوضوح أيضاً ، سهولة نقل أحكام الإسلام إلى الناس من كل مسلم حسب علمه ، وما يعرف من أحكام ، بخلاف غيره من الديانات الأخرى ، فلا ينقل الأحكام الدينية إلا المتخصصون الذين زعموا احتكارهم لمصادر العلم وكذلك كان حال الكنيسة في الديانة النصرانية . . يقول الشيخ أبو زهرة : (لقد احتجرت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتاب المقدس عندهم واستبدت بتفسيره دون سائر الناس ، ولا معقب لما تقول في . . أي رأي تبديه أو تعلنه)^(٢) .

٤ - إن هذا الوضوح يضيق على دعاة الباطل متى أرادوا النيل من الإسلام ، إذ أن وضوح أصوله وأحكامه يجعل الرد عليهم أمراً

(١) سورة الإسراء ، آية ١٥ .

(٢) انظر : محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٩٢ باختصار .

ميسراً ، بل إن شدة ظهور الإسلام تجعل كافة محاولات النيل منه
فاشلة وعاجزة .

قال تعالى - في شأن المصريين على معاداة الإسلام - : ﴿ يريدون
ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو
الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون ﴾^(١).

(١) سورة الصف ، الآيتان : ٨ - ٩ .

البحث الثاني **« الصفات الموجودة »**

كان للصفات الحسنة التي اتصف بها الدعاة المسلمون في مصر
أثر كبير في دخول كثير من المصريين في دين الله أفواجا .
وفي هذا المبحث ألقى الضوء - إن شاء الله تعالى - على بعض
منها مبيناً الأثر الذي أحدثته تلك الصفات في نفوس أهل مصر .

المطلب الأول

« أبرز الصفات التي اتصف بها الدعاة المسلمون »

لقد كان الدعاة المسلمون في مصر نماذج حية مشرقة لتعاليم الإسلام السمحة ، فقد اتصفوا بصفات تركت أثراً في نفوس أهل مصر ، ومن تلك الصفات :

١ - الاهتمام بتنفيذ أوامر الإسلام ، ومن أولها الصلاة التي هي عمود الإسلام .

لقد اهتم الدعاة المسلمون بالركن الثاني من أركان الإسلام ، كيف لا وهي أول الأعمال التي تعرض يوم الحساب ، فإن قبلت الصلاة نظر في بقية الأعمال ، وإن ضيعت فمضيعة لغيرها أضيع .

لذا كان القائد الأول في تلك الفترة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوصي عماله بالصلاة قبل كل أمر ، فقد كتب - رضي الله عنه - إلى عماله (إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع)^(١) .

ومما يؤكد وجود الاهتمام بهذه الفريضة ما شهد به الأعداء ، وذلك حين أرسل [المقوقس] رسلاً ينقلون له واقع المسلمين ، فقالوا عن الصلاة : (وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم)^(٢) .

وكان اهتمامهم بالصلاة حتى في ساحة القتال عندما كانوا بالكريون، وحصل قتال دام أكثر من نصف شهر، كان عمرو بن العاص

(١) مالك ، الموطأ ٢/ ١٥٤ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

يصلي بهم صلاة الخوف^(١).

ب - التواضع .

من الأمور المعلومة بالضرورة في مجال الأخلاق الإسلامية .. خلق التحلي بفضيلة التواضع ، والتخلي عن رذيلة الكبر .. ذلك لأن هذا الخلق يعين صاحبه على الاستزادة من عمل الخير ، كما يساهم إسهاما كبيرا في الربط بين قلوب أفراد المجتمع وجمع شتاتها ، ولذا أمر الله سبحانه نبيه - ﷺ - بالتواضع أمراً صريحا ، لأن حاجة الإسلام إلى تجميع القلوب ماسة ، فقال سبحانه : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾^(٢).

ومن هنا كان الدعاة المسلمون - قديما وحديثا ولا يزالون - حريصين على التحلي بهذا الخلق الكريم عملا بالأمر الإلهي : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾^(٣).

والتزاماً بموضوعية الكلام عن الفترة الزمنية لبحثي ، أرى لزاماً عليّ أن أعرض موقفاً للخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وفي بيان هذا الموقف قالت كتب التاريخ : لما قدم - رضي الله عنه - الشام عرضت له مخاضة^(٤) ، فنزل عن بعيره ، ونزع خفيه فأمسكهما بيده ، فخاض الماء ومعه بعيره ، فتأثر مرافقه أبو عبيدة - رضي الله عنه - من تبلل ثياب الخليفة وهو سيقابل الناس ، وتحدث إلى عمر عن هذا الموضوع .

فماذا كان رد الخليفة ؟

(١) انظر : السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ص ٤٣ .

(٢) و(٣) الشعراء ، آية ٢١٥ .

(٤) أي وحل ماء وطن .

قال : (ياأبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبون العزة لغيره يذلكم الله)^(١).

ثم إن خلق التواضع كان موجوداً في نفوس المشاركين في فتح مصر ، يؤكد ذلك ما شهد به رسل [المقوقس] حين رأوا واقع المسلمين ، وعبروا عنه بقولهم : « رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه من الرفعة .. »^(٢).

إن خلق التواضع في نفوس الدعاة المسلمين لم يكن شعاراً يرفع ولا يطبق ، ولا قولاً يقال ولا ينفذ ، وإنما كان واقعاً حياً بين المسلمين شاهده وأحس به رسل [المقوقس] في اليومين اللذين قضوهما مع المسلمين عندما حبسهم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - .

ج - الوفاء بالعهد .

ومن الصفات التي اتصف بها الدعاة المسلمون الوفاء بالعهد . والوفاء بالعهد من الأمور التي دعا إليها الإسلام وأكد عليها ، يقول الله تعالى : ﴿ .. وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾^(٣).

وقد أوفى دعاة الإسلام بعهودهم التي عاهدوا بها أهل مصر ، ومن بينها العهد الذي كتب بين عمرو بن العاص وبين أهل مصر ، وختم

(١) ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٤٠ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ .

(٣) الإسراء ، آية ٣٤ ، وقد ورد ذكر الوفاء بالعهد والحث عليه في مواضع من كتاب الله في الآية

(٤٠) و(١٧٧) من سورة البقرة ، والآية (٧٦) من سورة آل عمران ، والآية (١) من سورة المائدة ،

والآية (٥٢) من سورة الأنعام ، والآية (٢٠) من سورة الرعد ، والآية (٩١) من سورة النحل ،

والآية (١٠) من سورة الفتح .

الكتاب بعبارة « على مافي هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين .. »^(١).

وقد التزم عمرو بن العاص نيابة عن المسلمين بكل ماتعاهدوا عليه .
ومما يؤكد أن المصريين لمسوا هذا الأمر ، صفة ظاهرة من صفات المسلمين ما حصل من [المقوقس] في الصلح ، فقد طلب من عمرو بن العاص ثلاث خصال وقال : (لاتنقض بالقبض وأدخلني معهم وألزمني ماألزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ماعاهدتك عليه ، فهم متمون لك على ماتحب ، وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحم فلا تصالحم حتى تجعلهم فيئناً وعبيداً فإنهم أهل ذلك لأنني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني ، وأما الثالثة أطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم أن يدفنوني في [أبي يحنس] بالإسكندرية)^(٢).

إن خلق المسلم الوفاء بالعهد على أي حال كان ، فالمسلمون هنا منتصرون وروحهم المعنوية عالية ، ومع ذلك فقد وفوا لغير المسلمين بعهودهم تأكيداً لهذا الجانب المهم من أخلاقهم ، يقول ابن عبدالحكم في جواب عمرو بن العاص على طلب [المقوقس] : « فأنعم له عمرو بن العاص وأجابه إلى ماطلب »^(٣).

وهنا ينبغي لنا أن نعلم ونتذكر ونستنتج أن الوفاء بالعهد - في ميزان الإسلام - ليس خلقاً مفروضاً على المسلمين فيما بينهم ، ولايتعدهم إلى غيرهم ، وإنما هو خلق عام حض عليه الإسلام، يستوي في هذا أن يكون المعاهد مسلماً أو غير مسلم .. يقول سيد قطب

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٠٩/٤ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

[لقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة
لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله ، ولم تصل إليها إلا على هدي
الإسلام]^(١).

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١٦١/٢ .

المطلب الثاني

« أثر تلك الصفات على الدعوة الإسلامية في مصر ،

ليس من قبيل المبالغة أن أقرر : إن الصفات التي سبق لي عرضها كان لها - بعد توفيق الله تعالى - آثار حسنة ، ونتائج طيبة ، حققت للدعوة الإسلامية في مصر خاصة وببقية البلاد عامة - نجاحاً ساحقاً ، وانتشاراً واسع النطاق .

أما فيما يتعلق بالصفة الأولى . . ألا وهي الاهتمام بتنفيذ الأوامر الإسلامية ، وعلى رأسها الصلاة . . فالباحث يستطيع أن يقول : إن الصفة المذكورة تترك أثراً على غير المسلم ، فهو حين يرى اهتمام المسلم بالصلاة يرى شخصية منظمة ، محافظة ، وملتزمة . . تحافظ على طهارة البدن والثوب استعداداً للتوجه الكامل لله ، وتلتزم التزاماً تاماً بكيفية الصلاة ، وأدائها في أوقاتها ومن ثم تكون فريضة دافعة له إلى حب النظام والالتزام ، كما تكون فريضة الصلاة بمثابة باعث تربوي يربي فيه احترام عقيدة المسلم التي حافظ عليها المنتسب إليها ، وكذلك يرى - غير المسلم - أن هناك رابطاً يربط المسلم بخالقه من خلال الصلاة ، فنترك في نفس غير المسلم حب الانتماء والتعلق ، وذلك لأن الكافر يشكو فراغاً في تلك الناحية .

أما فيما يتعلق بالصفة الثانية - صفة التواضع - فللباحث أن يقول : إن أثر التواضع ملموس بين الأفراد ، فهو يزيل الفوارق ، ويعطي الإنسان ثقة في نفسه ، وثقة في صدق ما يدعى إليه ، فالمسلم حين يتواضع يدفع غيره إلى محبته ، والتخلق بأخلاقه ، ومن ثم الدخول في الإسلام .

ولأمر ما ، قال الله لخاتم أنبيائه « فيما رحمت من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »^(١).

أما فيما يتعلق بالصفة الثالثة - أعني صفة الوفاء بالعهد - فقد ترك . . . - خلق الوفاء بالعهد - في نفوس غير المسلمين أثراً كبيراً ، إذ جاءتهم أخلاق لم يعهدوها من قبل ، وإنما كان نقض العهد من صفاتهم يشهد بذلك شيخ من عظماء الروم حين سأله [هرقل] عن سبب الهزيمة فقال : (من أجل أنا نشرب الخمر ، ونزني ونركب الحرام وننقض العهد . .)^(٢).

إن الوفاء بالعهد في مجتمع لا يعرفه ، يجعل الناس ينظرون إلى الشخص الموفي بالعهد نظرة إعجاب وتقدير ، تدفعهم تلك النظرة إلى السؤال عن معتقده ودينه الذي يدفعه إلى هذا الخلق ، بل وإلى اعتناق هذا الدين الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق .

إن الصفات التي تحلى بها الدعاة الفاتحون جعلت الأعداء يشهدون بحتمية النصر للمسلمين ، ويكفي أن نستدل على ذلك بقول [المقوقس] بعد أن نقل له الرسل تلك الحقائق الملموسة ، وذلك حين قال : « والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد »^(٣).

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٢ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

المبحث الثالث

« تحمس المسلمين واهتمامهم بالدعوة »

ومن عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر ذلك الحماس المتوقد الذي دفع أولئك الأصحاب إلى تقديم النفس والنفيس رغبة في وصول الخير للناس ، وطمعاً في مرضاة الله عز وجل .

مفهوم التحمس :

يقال : حَمِسَ حَمْساً أي : صلب واشتد ، ويقال : حمست الأرض أي صلبت وحمس الشر والوغي اشتد ، وحمس الرجل في الدين : تشدد ، وبالشيء ، أولع به .

ويقال : حمس الدواء أي : وضعه على النار قليلاً .

وتحمس أي : تشدد ، وتحمس فلان للأمر أي : اشتدت رغبته فيه ، ودعوة الناس إليه ، والحماس والحماسة الشدة والشجاعة ، والحماسة تأتي بمعنى الحمية ، وهي معان تدور حول النار والهيحاء والحمى : الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية كالنار والشمس ، ومن القوة الحارة في البدن ، قال تعالى : « نارٌ حامية »^(١) . وقرئ : « حمئة »^(٢) .

ولعل الباحث لا يكون مجانباً للصواب إذا قال : إن مفهوم التحمس في مجال الدعوة لا يبتعد قليلاً ولا كثيراً عن المدلول اللغوي المذكور ، وبذلك يكون بالامكان القول ، أن التحمس في الاصطلاح يعني : الاندفاع والمبادرة إلى بذل الغالي والنفيس رغبة في إيصال الخير للغير

(١) القارة ، آية ١١ .

(٢) انظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ١٣٢ ، ط / دار المعرفة ، بيروت ،

لبنان (بنون) . وانظر : المعجم الوسيط ، ص ١٩٧ .

وطمعا في مرضاة الله وجنته . وكان المتحمس تجري في عروقه النار
ويغلي دمه في جسمه وتتور مشاعره عندما يرى الإعراض عن الحق .
أيضا يسيطر الحماس على الداعي ، ويدب نبضه في كافة جوارحه
حين يتذكر ما أعده الله من ألوان النعيم الحسي والمعنوي للمجاهدين
في سبيل نشر الدعوة ، ومن ثم يكون بذل الدعاة وعطاؤهم دائما
موصولا .

المطلب الأول

التحمس في القرآن الكريم ،

لقد نزلت آيات القرآن الكريم تبتث الحماس في نفوس المؤمنين ،
وتدعوهم إلى التضحية في سبيل الله عامة والدعوة إلى الله خاصة .
ويقليل من التأمل في آيات القرآن الكريم ، نجد الاهتمام الواضح
بالتحمس وتعدد المواضع المتعلقة به ، ومنها :

١ - الدعوة إلى التحمس من خلال الأمر بالقتال ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع
عليم ﴾^(١) .

ففي الآية الكريمة يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى التضحية
بالنفس والروح جهاداً في سبيل الله وذلك ليتحقق الهدف الأسمى
والمتمثل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

وحول بث الحماس في نفوس المؤمنين يقول سيد قطب في مفهوم
الآية : (ألا يقعدن بكم حب الحياة ، وحذر الموت ، عن الجهاد في سبيل
الله ، فالموت والحياة بيد الله ، قاتلوا في سبيل الله لافي سبيل غاية
أخرى ..)^(٢) .

ويقول في خواطره المتعلقة بقوله تعالى : ﴿ .. واعلموا أن الله
سميع عليم ﴾ : « قاتلوا في سبيل الله وليس هناك عمل ضائع عند الله
واهب الحياة وأخذ الحياة »^(٣) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٤٤ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١/٢٦٤ .

(٣) المرجع السابق ١/٢٦٥ .

ب - الدعوة إلى التمسح من خلال عتاب المتناقلين عن الجهاد ، ومن ذلك :
قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما
متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾^(١).

ويأتي بث الحماس في صورة أخرى لطائفة أخرى تناقلت عن
الجهاد ، تأتي الآية تحرك شغاف القلوب المؤمنة ، ولو لم يأت في الآية
إلا إخراج هؤلاء المتناقلين عن الإيمان لافتقادهم التمسح لكفى ذلك في
دفعهم إلى النفير في سبيل الله والدعوة إليه .

يقول سيد قطب : « إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد
الأرض ، وارتفاع على ثقله اللحم والدم ، وتحقيق للمعنى العلوي في
الإنسان ، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد
والضرورة ، وتطلع إلى الخلود الممتد ، وخلص من الفناء المحدود »^(٢).

ج - ثواب المتحمسين في سبيل الله .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو
يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ . . والذين قتلوا
في سبيل الله فلن يُضلل أعمالهم ﴾^(٤) .

ففي الآيتين الكريمتين بين سبحانه عظم ثواب المتحمسين في سبيل
الله ، سواء تحقق النصر للمجاهد ، أم رزق وفاز بالشهادة ، فإن
الثواب يكتب له على قدر تحمسه في سبيل الله .

(١) التوبة ، آية ٢٨ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١٦٥٥/٣ .

(٣) سورة النساء ، آية ٧٤ .

(٤) سورة محمد ، آية ٤ .

د - مدح القرآن الكريم للمتحمسين في سبيل الله وثناؤه عليهم .

وقد مدح الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أشخاصا وجماعات، وذلك لتضحياتهم وحماسهم في سبيل الله ، ولم يقتصر هذا المدح بالمتحمسين لتبليغ الدعوة إلى الله على أمة النبي الخاتم ﷺ ، وإنما اتسعت دائرة المدح ليشمل الدعوة المجاهدين في الأمم السابقة أيضاً ، وذلك على نحو مايلي : -

١ - من الأمم السابقة : أثنى الله عز وجل على نبيه إبراهيم عليه السلام لحماسه في سبيل الله والدعوة إلى الحق ، ومن ذلك قول الله عز وجل عن إبراهيم حين رأى قومه في الضلالة ، ورأى التماثيل والأصنام تعبد من دون الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ (١) .

وقد جاء الجواب من قومه كما في الآية : ﴿ قالوا وجدنا أباعنا لها عابدين ﴾ (٢) .

وفي مجال الاستنتاج من آيات سورة الأنبياء ، يطيب للباحث ، أن يلفت الأنظار إلى خطوات التحمس التي سار عليها إبراهيم الخليل حين رأى إصرار قومه على عبادة الأوثان ، وإعراضهم عن اتباع عقيدة التوحيد ، لقد جاء تحمسه على خطوات :

الخطوة الأولى : أنه حكم على فعلهم بأنه خطأ وضلال ، قال الله تعالى : ﴿ قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ﴾ (٣) .

(١) الأنبياء ، آية ٥١ ، ٥٢ .

(٢) الأنبياء ، آية ٥٣ .

(٣) الأنبياء ، آية ٥٤ .

الخطوة الثانية : وضع لهم طريق الصواب ، قال الله تعالى : ﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾^(١).

الخطوة الثالثة : غير الخطأ بيده ، قال الله تعالى : ﴿ وتا الله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم يرجعون ﴾^(٢).

وهكذا يظهر من خلال الآيات القرآنية الكريمة التحمس الذي كان عليه نبي الله إبراهيم - عليه السلام - في سبيل الله وفي سبيل الدعوة إلى الحق .

٢ - من أمة محمد ﷺ .

وقد أثنى الله - عز وجل - على المتحمسين في سبيل الله من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾^(٣).

فقد كان الثناء من الله - سبحانه وتعالى - على طائفة من المؤمنين أبلت بلاءً حسناً ، وبلغت أعلى درجات التحمس في سبيل الحق ، ومن أولئك المؤمنين من لقي الله وهو عنه راض ، ومنهم من ينتظر الخاتمة الحسنة .

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾^(٤).

(١) الأنبياء ، آية ٥٦ .

(٢) الأنبياء ، آية ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٢٣ .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢٩ .

ففي الآية الكريمة بيان موقف المؤمنين عند لقاء الكفار ، وهو موقف
كله تحمس وشدة .

يقول سيد قطب حول شدة وتحمس المؤمنين على الكفار : (فهي
الشدّة لله والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ،
فليس لهم في أنفسهم شيء ، ولا لأنفسهم فيهم شيء ، وهم يقيمون
عواطفهم ومشاعرهم ، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس
عقيدتهم وحدها ، يشتمون على أعدائهم فيها ، ويلينون لأخوتهم فيها ،
قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، ومن الانفعال لغير الله ، والوشيجة
التي تربطهم بالله)^(١) .

هذه بعض الصور التي عرضها القرآن الكريم عن التحمس في
سبيل الله ، وفي سبيل الدعوة إلى الله ، تلك الحماسة التي أتت أكلها ،
وظهرت نتائجها بأن دوت كلمة الله في الآفاق ، وصارت هي العليا ،
وكلمة الذين كفروا السفلى .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٦/٢٢٢٢ .

المطلب الثاني

« التمس والاهتمام بالدعوة في حياة

الرسول ﷺ والصحابة »

لقد كانت حياة الرسول - ﷺ - جهاداً ودعوة منذ أن نزل عليه الأمر الإلهي : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »^(١)، وحتى اللحظات الأخيرة من حياته في سكرات الموت يقول : « الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم »^(٢).

إن القدوة الأول محمد بن عبد الله - ﷺ - لم يتوقف تحمسه في سبيل الله عامة والدعوة إليه خاصة عندما أنزل الله - عز وجل - عليه قوله : « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر .. »^(٣)، إنما زاد حرصه وحماسه . حتى تساعل من حوله : أتكف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً »^(٤).

ولن يكون حديثي في هذا المطلب عن تحمسه في سبيل الله بصفة عامة ، إذ المقام لا يتسع لمثل هذا ، ولعله يتسع لعرض نموذج من تحمسه - ﷺ - وفي مجال الدعوة بصفة خاصة .

في الحديث الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : « لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ،

(١) الحجر ، آية ٩٤ .

(٢) أحمد بن حنبل ، المسند ٢٢١/٦ .

(٣) الفتح ، آية ٢ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب صلاة النبي حتى انتفخت قدماه ٩٤/٣ ، الراوي الأول المغيرة بن شعبة .

إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا بـ (قرن الثعالب) فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال ، وسلم علي ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » (١) .

ففي هذا الموقف يظهر اهتمام الرسول - ﷺ - وتحمسه للدعوة إلى الله تعالى ، ولم يشأ - ﷺ - أن ينتقم لنفسه من أولئك الذين عذّبوه وآذوه ، وقبل هذا يظهر تحمسه في خروجه من أرضه من أجل نشر دعوة الحق .

نحس الصحابة لنشر الدعوة الإسلامية :

ولقد سار من بعده أصحابه - رضي الله عنهم - ينشرون الدعوة في كل مكان وهامي بعض النماذج الموضحة :

١ - موقف أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - .

لقد كان - رضي الله عنه - من أشد الصحابة حماساً في سبيل الحق ، فقد كان صاحب النصير لرسول الله ﷺ ، وبعد وفاة الرسول

(١) مسلم / صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين

ﷺ كان أول أمر اهتم به وتحمس له هو بعث جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنه - والذي أمر به رسول الله ﷺ وذلك حين قال : « ماكنت لأستفتح بشيء أولى من إنفاذ أمر الرسول ﷺ » (١).

ويظهر تحمسه - رضي الله عنه - لأمر الله وأمر رسوله ، حين بعث الأنصار عمر بن الخطاب ليولي أمرهم رجلاً أكبر سناً من أسامة (٢) ، لقد كان رد أبي بكر - رضي الله عنه - حاسماً ومثيراً ، إذ كان جالساً فوثب ، ثم أخذ بلحية عمر فقال له : « ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمروني أن أعزله » (٣).

ومن تحمسه - رضي الله عنه - للدعوة خروجه بنفسه لقتال المرتدين بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى (٤).

يؤكد صلابه موقف الصديق - رضي الله عنه - وتحمسه ماقاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : (لقد قمنا بعد رسول الله مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبي بكر) (٥).

ب - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

وقد كان - الفاروق - رضي الله عنه - من المتحمسين والمهتمين بنشر الدعوة ولعل خير شاهد لذلك تلك الفتوحات التي تمت في عهده والتي تحتاج إلى قيادة وتخطيط ومتابعة، ومن اهتمامه بالدعوة أنه كان

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ت : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٢ ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٤/٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٩٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٨١ .

يوصي القادة بأن يدعوا إلى الإسلام وأن يخيروا من يلاقوا بين الخصال الثلاث ، ولعل عبادة بن الصامت في حوارهِ مع [المقوقس] قد أشار لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله : (ولانجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولاتطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا)^(١).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

المطلب الثالث

« نماذج من تحمس المسلمين واهتمامهم بالدعوة في مصر ،

وكما كان تحمس الرسول - ص - وصحابته كبيراً لنشر الدعوة الإسلامية في كل مكان ، فقد حرص المسلمون على نشرها في مصر .
وتحمسوا لذلك حماساً بالغاً ، باذلين في سبيل تحقيق ذلك الغالي والنفيس .

ومن النماذج في ذلك :

أولاً : نحمس حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - للدعوة .

ويظهر تحمس حاطب - رضي الله عنه - للدعوة أنه لم يكتف أن يقوم بدور حامل البريد ، ومن ثم تنتهي مهمته عند نقل رسالة القائد وإيصالها إلى صاحبها فحسب ، وإنما حاور [المقوقس] ودعاه إلى الإسلام واستخدم أساليب كثيرة لتوضيح الإسلام سبق الحديث عنها^(١) .

ثانياً : نحمس عمرو بن العاص - رضي الله عنه - للدعوة .

ويظهر تحمس عمرو في مواقف كثيرة أذكر منها موقفه مع الفاروق - رضي الله عنه - حين كرر عليه أهمية التقدم إلى مصر وبين مافي ذلك من المزايا لخدمة الدعوة الإسلامية في فلسطين وفي مصر وفي أفريقيا كلها .

(١) انظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة الصفحات من ٢١ - ٢٤ .

ثالثاً : زحمت الزبير بن العوام - رضي الله عنه - واهتمامه بالدعوة .

ولن تؤتي الدعوة ثمارها إلا بالتضحيات ، ومما يستشهد به على تحمس الزبير - رضي الله عنه - موقفه عند حصار حصن [بابلون] - حين أبطأ فتح الحصن - مقولته : (إني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيئوه جميعاً)^(١) . وكان لهذا الموقف أثره إذ فُتح الحصن وانتصر المسلمون .

ولعل الباحث في هذا المقام يتساءل هل هناك تضحية أكبر من قوله : (أهب نفسي لله) ؟ وهل هناك هدف أسمى من هدف الدعوة إلى الله ونشرها ؟ لعمرى إنهم : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾^(٢) ، ولعمرى إنهم عرفوا الله حق المعرفة فهانت الدنيا في أعينهم رغبة فيما عنده .

رابعاً : زحمت عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .

ويظهر تحمسه - رضي الله عنه - في حوارهِ مع [المقوقس] حين كان حريصاً على توضيح الإسلام وحريصاً على توضيح الخيار الأول والهدف الذي جاعوا من أجله وهو الإسلام ، فلما انتهى من حوارهِ وبلغ، كأن [المقوقس] ومن معه أرادوا أن يغيروا تلك الخصال ويضعوا خصالاً أخرى كالمال وغيره ، فكان جواب عبادة حاسماً حين رفع يديه وقال : (لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء مالكم

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .

(٢) الأحزاب ، آية ٢٣ .

عندنا خصلة غيرها فاختراروا لأنفسكم (١).

تعقيب :

والتحمس هنا ليس بذكر أشخاص معينين ، إنما هؤلاء نماذج من الدعاة المسلمين الذين بذلوا وضحووا لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد ذكرت في الفصل الثاني عند سير الدعوة تلك التضحيات العظيمة في [الفرما] و [حصن بابلون] و [الإسكندرية] وغيرها . والتي أظهرت أن هدف المسلمين التمكين لدعوة الإسلام ، وأن تلك التضحيات تقدم في سبيل الله لنشرها .

ويتضح من قول عبادة : (وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف) (٢) أن هدف المسلمين الدعوة ونشر الإسلام ، فإن أبوا ومنعوا انتشار الإسلام فالخيار الثاني هو القتال ، وهو بذلك ضرورة وليس الأمر الأول إنما إذا لم يقبل الحق ولم يفسح له فالقتال مشروع .

والفضل ما شهدت به الأعداء :

لقد شهد الأعداء بتأثير التحمس في نفوس المسلمين شهادة لم تصاحبها العاطفة ، إنما هي شهادة مبنية على الحقيقة التي لمسوها ورأوها .

لقد اعترف [المقوقس] لأصحابه بقوله : (والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا . وذلك أنهم قوم الموت أحب إلي أحدهم من الحياة .) (٣).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

وقد أشاد أحد المؤرخين - من غير المسلمين - بتحمس المسلمين للدعوة ، وعدّه عاملاً من عوامل نجاحها حين قال : (هل كانت الحماسة الدينية الخالصة ، تلك القوة الجديدة لعقيدة كانت إذ ذاك ولأول مرة أخذة في الازدهار ، صافية تمام الصفاء ، هي التي أمدت جيوش العرب بالنصر في كل موقعة من المواقع وأقامت في مثل هذا الزمن القصير أعظم امبراطورية شهدها العالم ؟)^(١).

(١) انظر : [Dollinger , pp . 5-6] نقلًا عن توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٣ .

المبحث الرابع « الاختلاط وتعميم اللفة العربية »

لقد كان لهذين العاملين الأثر الواضح في نجاح الدعوة الإسلامية في مصر وهما عاملان يتضافران على شيء واحد هو نشر الإسلام وتوضيح أحكامه .
وفي هذا المبحث سأعرض كيفية تأثير الاختلاط واللغة العربية في نفوس أهل مصر وأثار ذلك على الدعوة الإسلامية في مصر .

المطلب الأول

« مرحلتنا الاختلاط ،

لقد تم اختلاط المسلمين بغيرهم من الأقباط والروميين - فترة
موضوع البحث - على مرحلتين اثنتين : -

المرحلة الأولى : مع بداية الفتوح واستمرار المعارك .

لقد بدأ اختلاط المسلمين بغيرهم مع بداية فتح مصر إذ انضم
بعض الأقباط والروميين إلى جيش المسلمين ، وساعد هؤلاء المسلمين في
معرفة بعض المواقع ، وفي توضيح الإسلام للمقاتلين ودعوتهم إليه قبل
القتال .

المرحلة الثانية : بعد إنتهاء المعارك واستقرار المسلمين في

مصر .

وقد كانت جهود الفاروق - رضي الله عنه - واضحة في تمكين
الدعوة الإسلامية في أرض مصر إذ أمر - رضي الله عنه - بتهجير
بعض القبائل والأسر من جزيرة العرب إلى مصر^(١) .

وقد اختلطت تلك القبائل بأهل مصر في أسواقهم ومعاملاتهم ،
حتى وصل الأمر إلى الارتباط الأسري عن طريق الزواج فيما بينهم^(٢) .
وقد اختلطت خطط حول جامع عمرو بن العاص لقريش ،
والأنصار ، وأسلم ، وغفار وجهينة^(٣) .

(١) انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٠ .

(٢) ولعل زواج الرسول ﷺ من مارية القبطية أول دعوة إلى الاختلاط بهم ، ابن عبدالحكم ، فتوح
مصر وأخبارها ، ص ٤٤ .

(٣) انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٣ .

ومن أشهر الذين اختطت لهم خطط في مصر : قيس بن سعد بن عبادة ، ذكر ذلك ابن عبدالحكم (واختط قيس بن سعد بن عبادة في قبلة المسجد الجامع دار الفلفل وكانت فضاء فبناها لما ولي البلد ، ولاه إياه علي بن أبي طالب ثم عزله فكان الناس يقولون : أنها له حتى ذكر له ذلك فقال : وأي دار لي بمصر ؟ فذكروها له فقال : إنما تلك بنيته من مال المسلمين لاحق لي فيها)^(١) .

ومن أولئك ، مسلمة بن مخلد وأبورافع مولى رسول الله ﷺ اختطا دار الرمل ومعهم عقبة بن عامر الجهني^(٢) .

ومن أولئك الذين اختطوا خطأ في مصر : المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وخارجة بن حذافة ، وأبو ذر الغفاري^(٣) .

ولاشك أن استقرار بعض أصحاب رسول الله ﷺ في مصر كان له أثر جلي في سير الدعوة الإسلامية وانتشارها .

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ، ٨٨ .

المطلب الثاني

« تعميم اللغة العربية »

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين ، وما كان الإسلام ليعرف تمام المعرفة لو لم تعرف اللغة العربية .

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾^(١) .

وقد قال - ابن كثير - في تفسير قوله : « بلسان عربي مبين » : (أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل ليكون بينا واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً إلى المحجة)^(٢) .

وقد جعل الله الدعوة إلى الله سبباً في نشر اللغة العربية وتمكينها في مصر وقد بذل هؤلاء الدعوة قصارى جهدهم ، وسخروا كافة الوسائل التي تحقق ذلك الهدف .

وقد انتشرت اللغة العربية في مصر انتشاراً كبيراً ، إذ كان من أهم أسباب انتشارها حرص الدعوة إلى الله عز وجل على إيصال لغة القرآن إلى تلك البقعة .

وقد اتبعت طرق التمكين لغة القرآن ولغة الدعوة الإسلامية من الانتشار ، أول تلك الطرق : الاختلاط وقد تقدم الحديث عنه .

وثانيها : تعميم استعمال اللغة العربية في المعاملات الرسمية في أنحاء مصر ، وكان لذلك التعميم أثره في اهتمام الناس بتعلم اللغة العربية .

(١) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٣-١٩٥ .

(٢) إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم ٣/٢٤٧ .

يقول المؤرخ [توماس أرنولد] في كتابه الدعوة إلى الإسلام حول أثر تعميم اللغة العربية على أهل مصر والاختلاط : (كان لتعميم استعمال اللغة العربية في كافة أرجاء البلاد الخاضعة للخلافة الإسلامية ، وبخاصة المدن والمراكز الكبرى الأهلة بالسكان ، كما كان للتماثل الذي تم تدريجياً في الأخلاق والعادات ، والذي أدى في خلال ما يقرب من قرنين إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجاً قويا في الحياة القومية التي كان يحياها العنصر العربي الحاكم ، كان لهذا كله من غير شك صدى في الحياة الدينية والفكرية لدى كثيرين من أفراد الديانات التي دخلت في حماية العرب .. »^(١) .

وثالث الطرق : تعليم اللغة العربية إذ انتشر العلماء في أماكن التعليم لتدريس لغة الدعوة الإسلامية تمهيداً لنشر عقائدها وتشريعاتها .

هذا ولا يخفى علينا أن أعداء الإسلام في كل زمان ومكان جعلوا اللغة العربية هدفاً لهم في حملاتهم ومكائدهم ، ليس لذات اللغة العربية إنما خوفاً مما تحدثه تلك اللغة في الشعوب إذ هي المفتاح لمعرفة الإسلام ، فالإسلام دين واضح ميسر لن يتأخر المنصف عن الدخول فيه إذا عرف لغته .

ومن أخطر الحملات التي ظهرت هي دعوة الأعداء إلى استخدام اللهجات المحلية والكلمات العامية في التحدث والتخاطب ، وفي كتابة المقالات وتأليف الكتب .

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٢ .

يقول أحد الكتاب - من غير المسلمين - حول هدم الإسلام عن طريق لغته - : (متى تواری القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعه عنه إلا محمد وكتابه ، ولا يمكن أن يتواری القرآن حتى تتواری لغته)^(١).

إن اعتراف أعداء الإسلام بأهمية اللغة العربية ، وأنها طريق انتشار الإسلام يحمل الدعوة إلى الله عز وجل أمانة الإهتمام بتلك الوسيلة .

لذا لم يهمل - سلف هذه الأمة ، من الصحابة والتابعين - تلك الوسيلة فاجتهدوا في تعليمها ونشرها والتحدث بها .

(١) انظر : أنور الجندي ، الفصحى لغة القرآن ، ص ١٧٢ ، ط / دار الكتاب اللبناني ، بيروت (بدون) .

المطلب الثالث

« آثار الاختلاط وتعميم اللغة العربية »

- كان لاختلاط المسلمين بغيرهم في مصر ، وتعميم اللغة العربية في أرجائها الأثر الطيب على أهل مصر ، ومن أهم تلك الآثار مايلي : -
- ١ - معرفتهم لواقع المسلمين ، وهذه نتيجة حتمية للاختلاط ، إذ أن اختلاط أهالي البلاد بالمسلمين يكشف عن الصورة الناصعة للإسلام من خلال تعاملهم معهم في حياتهم اليومية ، ولعل أقرب ما يستشهد به على أثر الاختلاط ولو كان يسيراً ، ما حصل من رسل [المقوقس] حين خالطوا المسلمين يومين ، فلقد شهدوا في هذين اليومين الحياة الإسلامية التي يعيشها المسلمون وانطبع ذلك في أذهانهم ، وأثر في نفوسهم تأثيراً كبيراً ، فكيف بمن يخالطهم سنوات وسنوات .
 - ٢ - معرفة اللغة العربية ، وقد نجمت عن اختلاط غير المسلمين بهم ، وتعاملهم معهم في جميع الأمور الحياتية كالبيع والشراء ، وقد استفاد غير المسلمين من إمامهم باللغة العربية في معرفة كثير من الأمور عن الإسلام والمسلمين .
 - ٣ - معرفة أحكام الإسلام ، ومعرفة تلاوة القرآن الكريم ، وهذا أثر هام من آثار تعلم اللغة العربية .
 - ٤ - تعليم من أجاد اللغة العربية منهم لغيره من أبناء جنسه هذه اللغة ، وهذا مما أسهم بشكل فعّال في نشر اللغة العربية ، وسهّل استيعاب المصريين لها ، ومن ثم سهل معرفتهم وتعليمهم أمور الإسلام .

المبحث الخامس [عدل الحكام]

لقد مرَّ أهل مصر قبل وصول الدعوة الإسلامية إليها بمراحل صعبة كان آخرها الخلاف المذهبي بين الملكانيين واليعقوبيين .
ولم يكن أهل مصر - في مثل تلك الأحوال - ينشدون العدل التام في ظل أي تشريع وضعي . بل كانوا يرجون تخفيف المعاناة التي يلاقونها بين الفينة والأخرى ، فقد تحملوا ظلم الحكام أمداً طويلاً .
وقبل أن أشرع في الكتابة عن العدل الذي نعم به المصريون في ظل دعوة الإسلام لابد لي أن أنقل صورة لمعاناةالظلم الذي عاشها أهل مصر في العهد السابق .

يذكر الكاتب [ساويرس الأشمونيني] عن تلك المعاناة فيقول :
(كان هرقل كأنما هو ذئب ضار يفتك بالقطيع ولايشبع نهمه ..) (١).
إن فترة الظلم التي عاشها أهل مصر - إبان حكم الروميين - أثرت في نفوسهم وجعلتها تحمل الكره الشديد لأولئك الحكام .
يؤكد المؤرخ [بتلر] هذه الحقيقة بقوله : (ولكن حد البطش كان قد بلغ نفوسهم فتلمها ، وجعل الداء ينخر في جراحهم مدة ظلم تلك السنوات العشر^(٢) وظلامها) (٣).

وحين بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في مصر ويشع نورها ، ظهر معها ميزة لم تعهد من قبل وسمة لم يلمسها أهل تلك البلاد .

(١) ساويرس الأشمونيني ، سير البطاركة بالمدينة العظمى الإسكندرية نقلاً عن بتلر ، ص ٢٢٤ .

(٢) انظر : الفصل الأول من هذا البحث ، ص ٥ .

(٣) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٤ .

إن تلك الميزة مميزةً عمليةً لمسها سكان مصر وتغيثوا ظلها بعد
معاناة طويلة إنها ميزة العدل الذي لا يفرق في ميزانه بين وضيع ورفيع،
وغني وفقير ، وأبيض وأسود .

وفي هذا المبحث سألقي الضوء على هذه الصفة التي كانت عاملاً
من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر ، وذلك على النحو التالي :
أولاً : مفهوم العدل .

العدل : العدالة والمعادلة : لفظ يقتضي معنى المساواة ، والعدل ،
والعدل يتقاربان ، ولكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة ، والعدل
فيما يدرك بالحاسة^(١) .

والعدل : هو المساواة في المكافأة أو في ردّ الحقوق ، وما زاد عن
ذلك فهو إحسان ، وهذا على قول الله سبحانه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل
والإحسان .. ﴾^(٢) .

والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه ، ورجل عدل ، ورجال عدل
يقال في الواحد والجمع^(٣) .

وقد عرف « الزبيدي » العدل فقال : « العدل ضد الجور وهو ما قام
في النفوس أنه مستقيم ، وقيل هو الأمر المتوسط بين الإفراط
والتفريط »^(٤) .

وعرفه ابن منظور : بأنه الحكم بالحق ، أي القضاء بالحق والعدل
فيه ورجل عدل أي جازئ الشهادة^(٥) .

(١) الحسين بن محمد الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠ .

(٣) انظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ٩/٨ .

(٥) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١١/٤٢٠ ، وانظر : أمين الخولي ، معجم ألفاظ القرآن الكريم
٢٢٠/٤ .

ثانياً : واقعية عدل الإسلام وشموله لأهل مصر .

لم يكن العدل في الإسلام كلاماً تردده الألسنة فحسب ، إنما هو واقع ملموس ، يشمل الصغير قبل الكبير ، والفقير قبل الغني ، والوضيع قبل الرفيع .

ولم يكن حكم الحاكم العادل - إبان الفتوحات الإسلامية - مقصوراً على عاصمة الإسلام المدينة المنورة وماحولها إنما تعدى تلك المناطق ، وصار عدل الإسلام في شموله العملي يصل إلى كل مكان يحكم بالإسلام ، بل وصار من أهداف دعاة الإسلام أن يجعلوا الناس يتفنيون عدل الإسلام ، وذلك ما عبر عنه الصحابي الجليل ربيعي بن عامر حين قال : « نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »^(١).

ولقد اهتم الفاروق - رضي الله عنه - بإظهار هذه الميزة التي يتميز بها الإسلام عن غيره ، إذ قد يكون العدل مدعاة لقبول الدعوة إذا سُخِّرَ لخدمتها في البلاد المفتوحة ، بالإضافة إلى أنه واجب من واجبات الحاكم المسلم .

وقد سلك الفاروق - رضي الله عنه - طريقين لإظهار عظيم الاهتمام بتحقيق العدل في فترة خلافته ، وهما :

أ - طريق القول .

فقد كان - رضي الله عنه - في كل مناسبة يكون فيها المجال للقول سواء كانت خطبة ، أم رسالة ، أم نصيحة يحث على العدل ويحذر

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤٢/٢ .

من الظلم ، ويبين مهام الحاكم والوالي المسلم ، ويركز دائماً على أن الهدف من إرساله العمال ليس الضرب والتعنيف والإذلال للرعية ، إنما الهدف تبصيرهم بالإسلام ومما يستشهد به على ذلك ما ذكره ابن عبدالحكم : (أن عمر بن الخطاب خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس : إنه قد أتى علي زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده وقد خيل إليّ بآخره أنه قد قرأه أقوام يريدون به الدنيا ، ويريدون به الناس ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم ، وأريدوه بقراءتكم ، ألا إنما كنا نعرفكم إذ ينزل الوحي وإذ رسول الله - ﷺ - بين أظهرنا وإذ ينبئنا الله من أخباركم ، فقد انقطع الوحي وذهب النبي - ﷺ - ، فإنما نعرفكم بما نقول لكم الآن . من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً ، وأحببناه عليه . ومن رأينا منه شراً ظننا به شراً ، وأبغضناه عليه . سرائركم فيما بينكم وبين ربكم . ألا أني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم ويعلموكم سننكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم . ألا فمن أتى إليه شيء من ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه . فقام عمرو بن العاص فقال : أرأيت يا أمير المؤمنين إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيته فأدب رجلاً من رعيته إنك لمقصه منه ؟ قال : نعم . والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه . ألا أقصه وقد رأيت رسول الله - ﷺ - - يقص من نفسه !! ألا لاتضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تجمروا بهم فتفتنّوهم ، ولا تنزلوهم الفياض فتضيعوهم)^(١).

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٤ .

إن تلك الكلمات التي تكلم بها الفاروق - رضي الله عنه - تبين من جهة جانباً من جوانب حقوق الإنسان في الإسلام ، وتضع - من جهة أخرى - ضوابط وأسساً للحاكم المسلم الذي ينفذ أمر الله في الكبير والصغير ، ويدعو العمال والأمراء أن يضعوا الضوابط المذكورة نصب أعينهم حتى لا يكونوا مقصرين في عملهم ، ولا مضيعين لرعيتهن ولا ظالمين لهم .

ب - طريق الفعل .

إن الخطب والرسائل ليست في الإسلام لمجرد الاستهلاك الوقتي ، ولا لإظهار الإدعاء بالمثالية التي يطمح الناس إليها . . . وكذلك كان الحال والشأن في خطب ورسائل عمر - رضي الله عنه - ، إذ لم تكن مقصورة على مجرد التخويف والزجر ، وإنما كانت بمثابة الأسس في مجال التنفيذ والتطبيق .

إن العدل الذي دعا إليه الفاروق ترجمه واقعاً بين الناس ينتصر للضعيف من القوي ، وللمحكوم من الوالي الحاكم . . . إنه الذي جعله يطلب قدوم المتخاصمين إلى المدينة ، ومن أين ؟ من مصر ، حتى وإن كان الخصم عمرو بن العاص القائد الفاتح .

(عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال يا أمير المؤمنين : عائد بك من الظلم قال : عدت معاذاً . قال : سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ، ويقدم بابنه معه ، فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر : اضرب ابن

الأكرمين قال أنس : فضرب ، ثم قال عمر للمصري : ضع على صلعة عمرو . فقال : يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه . فقال عمر لعمرو : مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ قال " يا أمير المؤمنين : لم أعلم ولم يأتني " (١) .

وزاد ابن الجوزي : (ثم التفت عمر إلى المصري فقال : انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إلي) (٢) .

هذا هو العدل الذي جعل الدعوة الإسلامية تدخل القلوب ، وأصبح عاملاً من عوامل نجاحها .

اقول : لم يعهد أهل مصر مثل هذا الحكم ، أن يقف الوضيع والرفيع أمام القضاء .

لقد ضرب الفاروق - رضي الله عنه - أروع الأمثلة في هذا الجانب بأن يقتص الواحد من أفراد الرعية من حاكم مصر ، ولنقف عند هذه الواقعة المؤثرة لنكشف جانباً آخر من جوانب العدل حين أشار الفاروق إلى المصري بأنه ليس من العدل أن تتحمل مشاق السفر وتقطع الصحاري والقفار باحثاً عن حقل ، بل إن العدل أن تبقى في مكانك وينفذ الحكم عندك ، فإذا حصل مثل ذلك فاكتب لي ولا تشق على نفسك وتظلمها بالسفر . « فإن رابك ريب فاكتب لي » (٣) .

ألا ما أعظم هذا الدين ، وما أعظم أولئك الرجال الذين حملوه ففتح الله على أيديهم القلوب قبل الدروب .

ولاغرو في ذلك إذا كان وراء أولئك الرجال محمد بن عبد الله ﷺ

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها بتصرف يسير ، ص ١١٥ .

(٢) ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٣٠ ، وذكر أن ابن عمرو بن العاص هو محمد .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

الذي رسم لهم الطريق وأكد على تلك الحقيقة بقوله : (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإنني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)^(١).

ثالثاً : اثر العدل على الدعوة الإسلامية في مصر .

لقد كان العدل عاملاً من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر ، إذ أن تطبيق أحكام الإسلام في مصر على الصغير والكبير أمر لم يعهد من قبل . فآثار هذا الجانب نفوس المصريين ، ودفعهم إلى التعرف على الإسلام ومحاسنه .

ومن جانب آخر فقد أمن الناس على دمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، حين رأوا تنفيذ الأحكام وثمار العدل الذي دعا إليه الإسلام .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر أسامة رقم الحديث (١٨) ، ٢١٣/٤ ، ٢١٤ .

وفي مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ، رقم الحديث (٨) ، ٤٧/١ .

المبحث السادس « الانتصارات الإسلامية »

لاشك أن توالي الانتصارات التي حققها المسلمون في مصر كانت عاملاً من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية فيها ، وانتشارها بين أرجائها ، ذلك لأن مكانة المنتصر عند الشعوب مكانة عالية ، فهي تنظر إليه نظرة خاصة ، ولعلي في هذا المبحث أوفق في عرض صدى الانتصارات الإسلامية وبيان أثرها على الدعوة الإسلامية في مصر .

أولاً : صدى الانتصارات الإسلامية .

لقد كان للانتصارات الإسلامية صدى واسع في النفوس ، إذ تواردت الأسئلة عن سر هذا الانتصار العظيم الذي حققه المسلمون في فترة وجيزة من الزمن ، كما سيطرت مشاعر الدهشة والذهول على عقول المصريين . قادة وحكاما ، وشعباً وأفراداً .

أما قادة مصر من الرومانيين فقد أذهلتهم تلك الانتصارات العظيمة ، وذلك على الرغم من اختلاف الموقف بين [المقوقس] الذي رأى واقع المسلمين وبين [هرقل] الذي كان يصدر الأوامر من مكان بعيد .

فقد كان [هرقل] مكابراً في تقييمه للمسلمين وانتصاراتهم إذ كتب إلى [المقوقس] يطلب منه القتال بل يظهر استخفافه بالمسلمين الفاتحين ، فيقول مخاطباً إياه إن المسلمين في يديكم كأكلة تاكلونها^(١) .
ومارء كمن سمع !

(١) انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ .

إن [المقوقس] قد شعر بتلك الحقيقة حين قال : (والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا)^(١) . . هذا بعض ماجاء جوابه لـ [هرقل] .

ولقد أثرت تلك الانتصارات الإسلامية في نفس [المقوقس] وشعر أن النهاية ستكون للمسلمين ، الأمر الذي جعله يتلمس الصلح منهم .
لقد رأى [المقوقس] آياتٍ وعلامات جعلته يجتمع بقومه ويقول لهم : (واني لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى رأيي وقولي وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني وذلك أني قد عاينت ورأيت ، وعرفت ما لم يعاين الملك ، ولم يره ولم يعرفه)^(٢) .

هذا عن صدى انتصارات المسلمين بالنسبة للقادة الرومان في مصر ، أما بالنسبة لعموم الناس ، فيستطيع الباحث أن يقول : -
إن الانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون في العراق وفارس والشام وأخيراً في مصر جعلت تلك الشعوب تنظر إلى أولئك المنتصرين نظرة إعجاب وتقدير ، والمنتصر عند الشعوب هو القدوة لأن الناس يحاكون الغالب .

وتوالت مع تلك الانتصارات أسئلة عديدة عن أسباب الانتصار ، وعن هدف المنتصرين وعن أحوالهم ، مما جعل الأثر في النفوس كبيراً ، بل هيأ تلك النفوس تهيئة كاملة لتلقي ما يدعوا إليه المنتصرون ، وهاهو المؤرخ [توماس أرنولد] يؤكد على أن الانتصارات الإسلامية كانت ذات أثر كبير في نفوس الشعوب ، وأكد كذلك على أن طابع السيادة

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

في الحضارة الإسلامية كان له الأثر الكبير في نفوس الأهالي^(١) ، ثم قال - حول صدى الانتصارات - : (إن ما أحرزته سيوف المسلمين من نجاح واسع النطاق ، منقطع النظير ، قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التي أصبحت تحت حكمهم ، ورأت أن هذه الفتوح قد تمت بعون من الله ، وأن المسلمين قد جمعوا بين النعيم في الدنيا وبين التوفيق الإلهي)^(٢) .

ومع أن بعض المؤرخين يقلل من حجم أصداء الانتصارات إلا أن الواقع يخالف قولهم ، ومن أولئك [بتلر] في كتابه فتح العرب لمصر حين ذكر أن انتصارات المسلمين في العراق وفارس والشام لم تؤثر في نفوس أهل مصر . لكنه - في الوقت نفسه - نجده قد اعترف بضخامة انتصارات المسلمين التي تحدث عنها ، كأنها زلزال هز نفوس المصريين ، فقد ذكر مانصه : (وليت شعري ماذا كان يدور بنفوس أهل مصر إذ ذاك ، وبأي عين كانوا ينظرون إلى تلك الحركة العظيمة التي قرعت بلاد الشام وهزت مدائنها هذا . إنا نقول - وإن قولنا لما يشرف القبط - : إننا لانجد أقل دليل يبعثنا على الظن أنهم نظروا إلى تلك الحركة العظيمة نظرة الميل والرضى)^(٣) .

ولعل الباحث من حقه هنا يتساءل كيف يؤكد [بتلر] أن تلك الحركة العظيمة هزت المدائن في بلاد الشام ولم تهز القلوب ؟ ثم إن من يصف تلك الحركة بأنها عظيمة لابد أن يقر بأن هذه الحركة العظيمة قد حركت المشاعر وشخصت إليها الأبصار ، وإلا فإن

(١) انظر : [توماس أرنولد] ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٤ .

(٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٤ .

من ينكر تلك الحقائق يناقض نفسه بنفسه ، والشمس لا يمكن أن تحجب
بغربال .

أقول : إن انتصارات المسلمين في مصر قد أثرت في النفوس
تأثيراً كبيراً ، لا يمكن لـ [بتلر] ومن سار على دربه أن ينكر وجوده ،
أو يقلل من درجته وفعاليتها بأي حال من الأحوال .

ثانياً : كيف أصبح الانتصار عاملاً من عوامل نجاح الدعوة ؟
لقد أصبح الانتصار عاملاً من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية
لأمور منها : -

أ - إن مجرد تناقل الناس أخبار الانتصارات له أثره على الدعوة
الإسلامية . إذ أن توالي الانتصارات جعل الناس ينظرون إلى
الدعاة المسلمين نظرة اهتمام لأن قدرة تلك الجيوش على تخطي
العقبات التي أمامها صرفت اهتمام الناس وأحاديثهم إليها .
كما أنه لا ينبغي أن نستهن بلفت - انتباه المدعوين - للدعوة لأن
هذا أمر هام للغاية فإذا التفت المدعو إلى موضوع الدعوة فقد
زالت عقبة كبيرة أمام الداعية .

ولقد ذم الله عز وجل بعض المدعوين لعدم التفاتهم إلى الحق
ودعوته ، وذلك في قوله تعالى - عن قوم نوح - : ﴿ وإني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾^(١).

(١) سورة نوح . آية ٧ .

ب - إن توالي الانتصارات يجعل الأذان تسمع والأفئدة تصفى لما يليق به
الواقف الجديد .

وهذه مرحلة ثانية تختلف عن سابقتها ، إذ أن تلك لمجرد الاهتمام
ولفت الأنظار ، أما هذه المرحلة فهي الاهتمام بما تحويه دعوة
المنتصر من مضمون ومحتوى .

ج - إن توالي الانتصارات وقوة السلطان تجعل الناس يرون الإسلام
واقعاً يعيشه المجتمع ، وليس معنى ذلك أن القوة تكره الناس على
الإسلام ، إنما هي تهيئهم للتلقي والقبول والاعتناق طوعاً
لاكرها . . إن غير المسلم الذي يعيش في مجتمع إسلامي سيرى
شعائر الإسلام تؤدي أمام عينيه كالأذان ، والصلاة ، والصيام ،
والمعاملات الشرعية ، والآداب ، وجميع هذه الأمور السابقة لم تكن
توجد في ظل حكم غير إسلامي ، الأمر الذي يجعل الآخرين
مهيئين لتلقي وفهم الإسلام الفهم الصحيح ، بل مهيين للدخول فيه
والامتثال له .

المبحث السابع

« الأحوال السيئة التي كانت عليها البلاد ،

أولاً : مصر عند بدء الدعوة الإسلامية فيها :

لاشك أن الأحوال الدينية في مصر - عند بدء الدعوة الإسلامية فيها - كانت سيئة للغاية ، ومرد سوء الأحوال راجع للتعصب المذهبي بين الملكانيين الذين يقولون : بأن للمسيح طبيعتين ، وبين اليعقوبيين الذين يقولون : بأن للمسيح طبيعة واحدة ^(١) .

إن وجود التعصب المذهبي بين الطائفتين وسع هوة الخلاف ، ولاسيما من جانب الملكانيين الذين يحكمون البلاد آنذاك ، إذ استخدموا قوة السلطان للتضييق على مخالفيهم وتعذيبهم ليرجعوا عن قولهم ويتبعوا مذهبهم .

وأتسع نطاق التضييق من قبل الملكانيين ، ووصل إلى درجة أن اليعقوبي ماكان يحظى - في شتى المجالات الحياتية - بالتسهيلات التي يتمتع بها الملكاني ويتميز بها ، مما جعل الأمر يزداد سوءاً من استعباد الطبقة الحاكمة لليعقوبيين ، هذا فضلاً عن أن هدف الحكام جمع الأموال ، وإثقال الناس بالضرائب ، ليس لخدمة الناس في مصر وتسهيل أمورهم ، إنما كان همهم الوطن الأصلي روما ، وجمع المال لخزائن الملك البيزنطي ^(٢) .

وقد سبق الحديث في الفصل الأول من هذه الرسالة عن الأحوال السائدة تفصيلاً سواء كانت الحالة الدينية أم الاجتماعية أم الاقتصادية

(١) انظر : الفصل الأول من هذه الرسالة ، المبحث الأول ص ٥ .

(٢) انظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٧ .

والتي انتهت فيها إلى القول بأن الأحوال وصلت إلى وضع متدنٍ بسبب التعصب المذهبي بين الملكانيين واليعقوبيين .

ثانياً : التقليل من جهود المسلمين ، وجعل الحال السيئة هي عامل النجاح للدعوة الإسلامية :

لايستطيع الباحث أن ينكر أن الأحوال السيئة التي كان يحياها أهل مصر من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية فيها ، لكن هذا الأمر لايجعلني أقلل من العوامل الأخرى ، فنجاح الدعوة الإسلامية لم يكن لسبب واحد إنما كانت هناك أسباب مجتمعة حققت ذلك النجاح .

وقد أخطأ بعض المؤرخين في جعلهم مردّ عامل انتشار الإسلام في مصر إلى تلك الأحوال السيئة وحدها ، وأغفلوا العوامل الأخرى ، ونعلم مافي هذا الرأي من تقليل لجهود المسلمين وتضحياتهم ، وإهمال مقصود لما تميز به الدين الإسلامي من وضوح تام .

ومن أولئك [بتلر] حين ركز على أن الأحوال السيئة هي السبب في انتصار المسلمين ، وذلك حين يقول : (وهكذا دفع سوء الحكم خير بلاد الدولة الإمبراطورية إلى مأزق ما أضيقه ، ولسنا نستطيع أن نعرف جناية من هذه ؟ أم هي جناية [هرقل] ؟ وقد أطاعه [المقوقس] فيما أمر به من الشر ، أم هي جناية [المقوقس] ؟ وقد عصى سيده وخان أمانته ..)^(١).

والحق أن تلك الأحوال لم تكن عاملاً رئيساً إنما كانت عاملاً مساعداً ، لأن دعاة الإسلام لم يكن يمنعهم من الدعوة إلى الحق حسن

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٥ .

الأحوال أو غيره ، فهم قدموا تضحيات كبيرة في العراق وفارس والشام وبيت المقدس وكذلك في مصر ، وساعدتهم عوامل كثيرة لم يتقيدوا بها ولم يجعلوا وجودها هو شرط دعوة غيرهم ، بل إنهم قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، كما كان هدفهم واضحاً سواء تحققت تلك العوامل المساعدة أم لا .

ولعل موقف الزبير بن العوام - رضي الله عنه - خير شاهد على تضحيات المسلمين عندما صعد حصن [بابليون] وقدم نفسه في سبيل الله ، فهو لم ينتظر أن تسوء أحوالهم على حساب المسلمين .
إن الباحث في هذا المقام لا ينكر الاهتمام بتلك العوامل ، وتسخيرها في خدمة الدعوة الإسلامية ، ولكن يجب ألا نعتقد أن وجود تلك العوامل - ومنها الأحوال السيئة - هو سبب نجاح الدعوة إلى الله والدافع إلى نشرها ، بل ندعو إلى الله ونجتهد سواء وجد الجو المناسب أم لم يوجد ، فواجب الدعوة إلى الله قائم دائماً وأبداً ، والتضحية في سبيل نشرها بكل غال ونفيس أمر وارد في أي حال من الأحوال .

ثالثاً : أثر الأحوال السيئة على الدعوة الإسلامية في مصر :

لقد أفاد الدعاة إلى الله عز وجل من سوء الأحوال السائدة في مصر حسن اختيار المدخل ، وذلك بوضع أهل مصر في موقف الحاكم بين واقع الروميين وواقع المسلمين ، ولاشك أن جعلهم في موقف المقارنة أثر كثيراً وساهم في نجاح الدعوة الإسلامية .
ولعل مثل ذلك الموقف لمن كان في حال سيئة ، سيجعله ينظر فيما يعرض عليه نظرة الباحث عن الحق حين أحس بأن واقعه لم يفده ، بل يزيد حاله سوءاً .

يؤكد ذلك مانقله المؤرخ [توماس أرنولد] عن بعض علماء اللاهوت حين قالوا : (إن حالة الكنيسة الشرقية تدهورت في ذلك الوقت من الناحيتين الخلقية والروحية ، لا بد أن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جواً روحياً أسلم وأصح في ذلك الدين الإسلامي)^(١) .
إن محاسن الإسلام وأخلاق دعائه ، قد ظهرت بين قوم وصلوا إلى مرحلة شديدة الحرج من التضيق ، وكأنهم قوم في أرض مجدبة حارة يلفح وجوههم سمومها ويتمنون ظلاً يأوون إليه ، وشربة تروى عطشهم ، فجاءهم دعاة الإسلام بالمعين الذي لا ينضب وأنقذوهم من هلاك مؤكد ونهاية مؤلمة .

يقول [غوستاف لوبون] : « وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية ، ونهكتها مظالم الحكام ، تحقد أشد الحقد على ساداتها الكئيبين ، فتعد من يحررونها من أيدي قياصرة القسطنطينية منقذين ، فحفظ ذلك الشأن للعرب »^(٢) .

وقد وصف [بنيامين] فرح أهل مصر بتخلصهم من قيود الظلم بقوله : (فرحوا كما يفرح الأسخال إذا ما حلت لهم قيودهم وأطلقوا ليرتشفوا من ألبان أمهاتهم)^(٣) .

(١) نقلاً عن توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٠ .

(٢) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢٥٨ .

(٣) ساويرس الأشمونيني ، سير البطارقة بالمدينة العظمى الإسكندرية ، نقلاً عن بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٦٠ .

المبحث الثامن « الحرية الدينية »

إن من أكثر عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر إقرارها مبدأ الحرية الدينية ، والتزام دعاة الإسلام في تلك البلاد بامتثال أوامر الله عز وجل في كتابه الكريم بعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام .
يقول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . . ﴾^(١).

إن عدم إكراه الناس يدل دلالة واضحة على عظمة هذا الدين ، فالناس هم الذين يجب عليهم أن يقتنعوا به قبل أن يعتنقوه ، لا أن يكرهوا عليه .

إن تعاليم الإسلام موافقة لفطرة الإنسان ، وفي اتباعها سعادة له في الدنيا والآخرة ، ومن ثم الأولى بالإنسان أن يبحث هو عنه ليسارع في الدخول فيه واعتناقه .

يقول سيد قطب حول الآية الكريمة من سورة البقرة : (إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان ، فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد ، إنما يسلبه إنسانيته ابتداءً ، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة ، والأمن من الأذى والفتنة ، وإلا فهي حرية بالاسم لمدلول لها في واقع الحياة ، والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود والحياة ، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مرأى - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين ، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين ، فكيف بالمذاهب والنظم

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

الأرضية القاصرة المعتسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة ،
ولايسمح لمن يخالفها بالحياة ؟ !)^(١) .

سجلات الحرية الدينية التي تركها الدعاة المسلمون لأهل مصر:

إن دعاة المسلمين لم يكتفوا بعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام ، بل حرصوا أشد الحرص من جانب آخر على أن يتركوا الحرية الدينية لهم في اختيار الدين ، بعد دفعهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

ولقد ذكر الباحث أن في مصر - فترة موضوع البحث - مذهبين : ملكاني ويعقوبي لذا لم يفرق المسلمون بين أي من المذهبين في ترك الحرية لهم .

يؤكد ذلك [بتلر] بقوله : (فإن عمراً كان في حكمه يسير على نهج الاعتدال والتسامح ، ولم يكن له هوى مع أحد المذهبين ، ولدينا كثير من الأدلة على صدق هذا الرأي ، فمثلاً يذكر [ساويرس] أن أسقفاً ملكانياً بقي على مذهبه حتى مات لم يمسه أحد بأذى ، وذكر أن [بنيامين] كان يستميل الناس إلى مذهبه)^(٢) .

هذا . . وتتجلى معالم الحرية الدينية لأهل مصر - فترة موضوع

البحث - في العوامل الآتية : -

١ - إبقاء الكنائس :

إن من أهم معالم الحرية الدينية لأهل مصر إبقاء الكنائس وترميمها ، وقد ذكر الفقهاء أنه لايجوز إحداث كنائس جديدة ، لكن لابأس بإبقاء القديم وترميمه ، كما ورد : (أنه لايجوز هدم كنائس

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١/٢٩١ .

(٢) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٦٢ .

النصرانيين ماوفوا بالعهد ، وإن كان لا يصح لهم إحداث شيء منها ، أو الزيادة في بنيانها (١).

وقد أخطأ - بعض المؤرخين - في عرض حكم بناء الكنائس ، إذ ذكر بعضهم (٢) أن بناء الكنائس جائز في الإسلام ، وأن المسلمين قد سمحوا ببناء الكنائس بوجه عام .

ويرى الباحث - من خلال اطلاعه على ما أورده المؤرخون بشأن إنشاء الكنائس - أن بناءها أمر غير جائز في الإسلام إلا ما كان عهداً باقياً .

ويوجه الباحث - ما ذكره المؤرخون من إحداث كنائس جديدة في البلدان (٣) المفتوحة - إلى أمرين :

أ - أن بعض تلك الكنائس لم تستحدث وإنما رمت أو أعيد بناؤها ، أي كان لها أصل من قبل .

ب - أن ما أحدث منها يعود إلى البلد التي فتحت ، فإن فتحت صلحاً جاز إحداثها إن كان بالمعاهدة ، أما إن فتحت عنوة فلا يجوز إحداثها .

ويؤيد ذلك ما فعله الخليفة الخامس عمر بن عبدالعزيز حين هدم الكنائس المحدثّة (٤).

(١) مناع القطان ، تفسير آيات الأحكام ٣٩/٤ ، ط / مكتبة المعارف - الرياض ١٣٩٠ هـ .

(٢) انظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٢٠ وانظر : توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٢٠ .

(٤) انظر : توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨٤ .

٢ - السماح لأصحاب الديانات بأداء أعمالهم الدينية .

وتبعاً لإبقاء الكنائس فقد أذن الدعاة المسلمون لأهل البلاد بأداء أعمالهم الدينية ولم يضيقوا عليهم ، فقد ذكر المؤرخ [غوستاف لوبون] عن تلك الحرية الدينية بقوله : (وسار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس ، فشمل الديانة النصرانية بحمايته ، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار بطريك لهم كما في الماضي)^(١) .

ألا .. إنها سماحة الإسلام ويسره التي لم يعهدها سكان تلك البلاد من قبل .

إن الدعاة المسلمين حاكمهم ومحكومهم التزموا بتعاليم الإسلام في معاملة أهل الذمة ، فانتشرت الدعوة الإسلامية ونجحت في زمن قياسي .

يقول المؤرخ [توماس أرنولد] - حول أوامر أمير المؤمنين بترك الحرية الدينية لأهل الذمة : (وقد حرّم الخليفة استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم ، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية ..)^(٢) .

٣ - حماية كنائسهم .

لم يقتصر تسامح الدعاة مع غير المسلمين من المصريين على ما ذكرت ، بل تعداه إلى حماية الكنائس التي تقام فيها عباداتهم .. يدل على ذلك ما ذكره الإمام الطبري في تاريخه عن العهد الذي كان بين عمرو بن العاص وبين أهل مصر ونصه : (بسم الله الرحمن الرحيم

(١) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢١٦ .

(٢) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٧ .

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم (١) .
ولم يفرق الدعاة المسلمون بين أتباع المذهب الملكاني وبين أتباع المذهب اليعقوبي ، ولم تظهر التفرقة التي كانت موجودة قبل دخول الإسلام في مصر ، ولكن الدعاة المسلمين أظلموا المذهبيين بالحماية .
يشير [بتلر] إلى عدم تفرقة المسلمين - بين أتباع المذهبيين الموجودين في مصر - بقوله : (لابد لنا من أن نقول إن المذهبيين كليهما قد بقيا جنبا إلى جنب في مصر يظلهما الفاتحون بذمتهم ، ويحمونهما جميعا بحمايتهم) (٢) .

أثر الحرية الدينية على الدعوة الإسلامية في مصر :

لاشك أن الأثر كان كبيراً على نفوس أهل مصر ، ولو لم يكن من الأثر إلا ذلك الاستفهام الداخلي والمقارنة بين ماكانوا عليه قبل بدء الدعوة الإسلامية في مصر وما صاروا إليه بعدها لكفى .
إن الدعاة المسلمين بتركهم الحرية الدينية لأهل البلاد ، أظهروا للناس جانباً من محاسن الإسلام وعظمته ، لأن العاقل المنصف الباحث عن الحق سيرى أن في دين الإسلام ماينقص أولئك من سد الفراغ الروحي ، أما غير المنصف فإنه سيبحث عن أسباب واهية يرى أنها التي تحول بينه وبين الخير : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء . . ﴾ (٣) .

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٠٩/٤ .

(٢) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٦٣ .

(٣) سورة فاطر ، آية ٨ .

إن ترك الحرية الدينية جعل الناس يبحثون عن الإسلام ويعتقدونه
وليس هو الذي يكرههم على ذلك ، لقد دخل الناس في دين الله عن
اقتناع ورغبة بعد أن اتضح لهم الحق .

ولعلي أذكر - في هذا المقام - تلك التساؤلات التي بعث بها أحد
رجال الكنيسة^(١) إلى رئيس أحد الأساقفة^(٢) في رسالة يسأله عن ترك
السكان المسيحيين ديانتهم ، ومن أسئلته لماذا ترك أهل البلاد ديانتهم ؟
مع أنهم لم يلقوا سيفاً ولا ناراً ولا تعذيباً ، لماذا تركوا دينهم - مع أن
أوامر حكام البلاد لم تجبرهم على ذلك ؟ ويقول : (وإن العرب ، الذين
منحهم الله سلطان الدنيا ، يشاهدون ما أنتم عليه ، وهم بينكم ، كما
تعلمون ذلك حق العلم ، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية ، بل
على العكس ، يعطفون على ديننا . .)^(٣) ، ويتساءل بقوله : (لماذا حدث
ذلك في وقت لم يرغمهم فيه العرب ؟)^(٤) .

تلكم هي دعوة الإسلام ، وأولئك هم حملتها ، وماكتبه المؤرخون
المنصفون هو واقعها .

مأخوذة من وحي التنزيل ، 012 فلا قوانين وضعية ، ولا دعوى
جاهلية ، ولا مذاهب تعسفية .

الدعوة التي حملها خير الرجال في خير القرون . . نقلوا الإسلام
كما هو مدركين سمو الهدف .

(١) هو البطريق النسطوري يشوع ياف الثالث Isho yabh .

(٢) وهو سمعان مطران ريفاردشير Simeon - Revardashir .

(٣) انظر : توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

حققوا النجاح بفضل الله أولاً وتعلقهم به سبحانه ، ثم بفضل تلك الجهود التي قدمها أولئك ، بدءاً من الحاكم وحتى أصغر جندي في صفوف المسلمين .

لقد جاؤا إلى مصر وهم قلة ، ولكن معهم قوة لم يرها الأعداء محسوسة إنما رأوا آثارها ، إنها قوة الإيمان التي دفعتهم إلى تحقيق أهدافهم .

حقاً لقد أثار نجاح الدعاة المسلمين في نشر دعوتهم إعجاب ودهشة المؤرخين - من غير المسلمين - الأمر الذي جعل [بتلر] يقول :
(فلسنا ننسى أن التاريخ لم يحو بين صفحاته ما هو أعجب من العرب وفتحهم ، إذ جاؤا إلى مصر فئة قليلة من الصحراء فانحصروا بها)^(١).

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٧٨ .

الفصل السابع
أشهر الدعاء

الفصل السابع « أشهر الدعاة »

التمهيد :

لاشك أن تلك الرسالة السماوية التي قام بتبليغها رسول الله ﷺ خير تبليغ قد حملها - بعد وفاته - قوما هم أهل لأداء الأمانة والقيام بتبعاتها دون كلل أو ملل .

والدعاة إلى الله تعالى الذين شاركوا في فتح مصر هم عدد ليس بالقليل ، ولعلي في هذا الفصل أقتصر على أشهرهم ، وأترجم لهم كنماذج للدعاة في تلك الفترة .

١ - إبراهيم أبو رافع

التعريف به :

هو إبراهيم أبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، اختلف في اسمه قيل : إبراهيم ، وقيل : هرمز ، وقيل : أسلم ، وقيل : ثابت ، وكان قبلياً ، وكان للعباس عم النبي ﷺ فوهبه للنبي ﷺ (١) .
إسلامه :

وقد أسلم بمكة مع أم الفضل ، فكتموا إسلامهم ، وشهد أحداً ، والخندق ، وأعتقه الرسول ﷺ - عندما بشر بإسلام العباس - وزوجه مولاته سلمى (٢) .
وفاته :

توفي في خلافة علي رضي الله عنه سنة أربعين (٣) .

٢ - بريح بن عسكر

التعريف به :

هو بريح بن عسكر بن وتار بن كرع بن حضرمي بن النعمان بن مهري بن حيدان بن عمرو بن إلحاف بن قضاة (٤) .
إسلامه :

وفد على النبي ﷺ من مصر وهو من أهلها وأسلم ، ثم شهد بعد ذلك فتح مصر ، واختط بها وسكنها (٥) .

(١) عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥٢/١ ، ط / دار الفكر ١٩٧٠ م .

(٢) المصدر السابق ٥٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٥٢/١ .

(٤) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٠٨/١ .

(٥) المصدر السابق ٢٠٨/١ .

٣ - بسر بن أبي أرطاة

التعريف به :

هو بسر بن أرطاة أو ابن أبي أرطاة عمير بن عويمر بن عمران ابن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا عبدالرحمن^(١) .

إسلامه وصحبه :

وقد اختلف في صحبته ، فقال أهل الشام : سمع من النبي ﷺ وهو صغير ، وفي سنن أبي داود عن جنادة بن أبي أمية قال : كنا مع بسر بن أبي أرطاة في البحر فأتي بسارق فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع الأيدي في السفر »^(٢) . وقال ابن يونس : كان من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر واختط بها^(٣) .

وفاته :

توفي بالمدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان وقيل بالشام أيام عبدالملك بن مروان^(٤) .

٤ - حاطب بن أبي بلتعة

التعريف به :

هو حاطب بن أبي بلتعة ، واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن مسلمة، يكنى أبا عبدالله^(٥) .

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٢/١ ، ط / دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ، رقم الحديث (٤٤٠٨) ، ٥٦٣/٢ ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ١٣٩٤هـ ، ت / عزت الدعاس وعادل السيد .

(٣) انظر : ابن حجر ، الإصابة ١٥٢/١ .

(٤) انظر : المصدر السابق ١٥٢/١ .

(٥) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤٣١/١ .

وقد شهد الله تعالى له بالإيمان في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ .^(١)

وسبب نزول السورة ما ذكره أبو رافع قال : سمعت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول : بعثنا رسول الله - ﷺ - أنا والزيبر بن العوام والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخنوه منها فانتوني به فخرجنا وأخذنا منها الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لاتعجل علي يا رسول الله . إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسبي فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرا وارتيادا عن ديني ، ولارضاء بالكفر ، فقال رسول الله ﷺ : صدق .

فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : «إنه شهد بدرأ فما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(٢) . قال وفيه نزلت هذه السورة : أي الممتحنة^(٣) .

وقد أرسله رسول الله ﷺ إلى [المقوقس] صاحب الإسكندرية^(٤) . توفي حاطب سنة ثلاثين ، وصلى عليه عثمان ، وكان عمره خمسا وستين سنة^(٥) .

-
- (١) سورة الممتحنة ، آية (١) .
(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب في غزوة بدر ، ٣ / ١٥٠ .
(٣) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٣١ .
(٤) انظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة ص ٢١ .
(٥) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٣١-٤٣٢-٤٣٣ بتصرف .

٥ - خارجة بن حذافة

التعريف به :

هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي^(١).
كان خارجة أحد فرسان قريش ، يقال أنه يعدل بألف فارس ، وكان من الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص في مصر حين أرسل إليه يطلب المدد ، وقد شهد فتح مصر ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص^(٢).

وفاته :

قتل بمصر من قبل أحد الخوارج الثلاثة الذين انتدبوا لقتل علي ومعاوية وعمرو ، فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة وهو يظنه عمراً^(٣).

٦ - أبو الدرداء

التعريف به :

هو عويمر بن عامر ، وقيل : عويمر بن قيس بن زيد ، وقيل : عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج^(٤).

(١) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥٦٠/٨ بتصرف .

(٢) انظر : المصدر السابق ٥٦٠/٨ .

(٣) انظر : المصدر السابق ٥٦٠/٨ بتصرف .

(٤) انظر : المصدر السابق ٩٧/٥ .

إسلامه :

أسلم بعد معركة بدر ، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ (١).

وفاته :

توفي بدمشق سنة ثلاث وثلاثين زمن خلافة عثمان رضي الله عنه (٢).

٧- أبو ذر الغفاري

التعريف به :

هو جندب بن جنادة بن سكن وقيل : ابن عبد الله ، وقيل اسمه بربر ، وقيل اسمه : السكن بن جنادة بن قيس بن بياض بن عمرو بن مليل (٣).

إسلامه :

كان من السابقين إلى الإسلام ، وقصة إسلامه كما وردت في صحيح البخاري هي : عن ابن عباس قال : لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر فقال : ماشفيتني مما أردت ، فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد

(١) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٩٧/٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ٩٧/٥ .

(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٣/٤ .

فالتمس النبي ﷺ وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع ، فراه عليٌّ ، فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم حتى دخل على النبي ﷺ ، وسمع من قوله فأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيتك أمري ، فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، وقال ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فانقذه منهم ^(١) .

وفاته :

توفي - رضي الله عنه - سنة إحدى وثلاثين بالريذة ^(٢) .

٨- ربيعة بن شرحبيل بن حسنة

التعريف به :

هو ربيعة بن شرحبيل بن حسنة ، رأى النبي ﷺ وهو ابن القائد المشهور في فتوح العراق شرحبيل ^(٣) .
شهد ربيعة فتح مصر ، وكان عمرو بن العاص يستعمله على بعض العمل ، وكان والياً لعمرو بن العاص في مصر .

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٤/٤ ، ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ٦٥/٤ .

(٣) المصدر السابق ٦٥/٤ .

٩ - الزبير بن العوام

التعريف به :

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته ، أمه صفية بنت عبدالمطلب وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة والستة أصحاب الشورى^(١) .

له مواقف كثيرة تبين صدقه وعظم تضحيته في سبيل الله ، فقد ذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه ، قتل - رضي الله عنه - وكان عمره لما قتل سبعا وستين سنة ، وقيل ستا وستين سنة^(٢) .

١٠ - عبادة بن الصامت

التعريف به :

هو عبادة بن الصامت بن أصرم بن نهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج ، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدرين ، كانت مواقفه شاهدة على تضحياته في سبيل الله ، توفي سنة أربع وثلاثين ، وقيل : خمس وأربعين^(٣) .

١١ - عبدالله بن حذافة

التعريف به :

هو عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ١/٥٢٦ .

(٢) عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ بتصرف .

(٣) انظر : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/١١٥ بتصرف .

ط/ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

ابن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، يكنى أبا حذافة ،
صحب رسول الله - ﷺ - وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع
أخيه قيس بن حذافة ، وهو أخ لخنيس بن حذافة زوج حفصة بنت
عمر بن الخطاب قبل النبي - ﷺ - أرسله رسول الله - ﷺ - بكتابه
إلى كسرى يدعو إلى الإسلام .
وهو الذي قبل رأسه عمر بن الخطاب حين قبل رأس الرومي ليفقد
ثمانين من المسلمين ، توفي - رضي الله عنه - بمصر في خلافة
عثمان^(١) .

١٢ - عبدالله بن أبي سرح

التعريف به :

هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن
جذيمة بن مالك بن أبي حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ،
يكنى أبا يحيى ، وهو أخو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من
الرضاعة^(٢) .

إسلامه :

أسلم قبل الفتح ، وهاجر إلى رسول الله ﷺ ثم ارتد مشركا ، فلما
كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله وجماعة معه ولو وجدوا تحت
أستار الكعبة ، ففر عبدالله إلى عثمان فغيبه عثمان حتى أتى به رسول
الله ﷺ وأسلم فحسن إسلامه^(٣) .

(١) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٠٧/٣ بتصرف .

(٢) انظر : المصدر السابق ١٠٨/٣ .

(٣) انظر : نفس المصدر ١٠٩/٣ .

وكانت له جهود دعوية في الفتوحات الإسلامية في مصر وأفريقية .

وفاته :

دعا عبدالله بن سعد فقال : « اللهم اجعل خاتمة عملي الصلاة »
فصلى الصبح وسلم عن يمينه ثم ذهب ليسلم عن يساره فتوفي ، وذلك
في [عسقلان] سنة ست وثلاثين^(١) .

١٣ - عبدالله بن عمرو بن العاص

التعريف به :

هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن
سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، يكنى
أبا محمد ، وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة^(٢) .
أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلاً عالماً بالقرآن ، وقد استأذن النبي -
ﷺ - في أن يكتب عنه فأذن له ، فقال يارسول الله ، أكتب ما أسمع
في الرضا والغضب ؟ قال : « نعم » فإني لا أقول إلا حقا^(٣) .
قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما كان أحد أحفظ لحديث رسول
الله ﷺ مني إلا عبدالله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا
أكتب^(٤) .

شهد عبدالله مع أبيه فتح الشام وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك،
وشهد معه أيضاً صفين ، وكان على الميمنة ، فقال له أبوه : يا عبدالله .

(١) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٤٥/٣ .

(٢) انظر : المصدر السابق ٢٤٦/٣ بتصرف .

(٣) أحمد بن حنبل ، المسند ١٦٢/٢ .

(٤) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٤٦/٣ .

اخرة فقاتل . فقال يا أبتاه أتأمرني أن أخرج فأقاتل . وقد سمعت رسول الله ﷺ يعهد إليّ ماعده ؟ فقال : إني أنشدك الله يا عبد الله ، ألم يكن آخر ماعهد إليك رسول الله - ﷺ - أن أخذ بيدك فوضعها في يدي ، وقال : أطع أباك ؟ قال : اللهم بلى ، قال : فإني أعزم إليك أن تخرج فتقاتل معي فخرج فقاتل ، وندم بعد ذلك ^(١) .
وفاته :

توفي سنة ثلاث وستين ^(٢) .

١٤ - عمرو بن العاص

التعريف به :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي ، يكنى أبا عبد الله ^(٣) .

أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان ، ولما أسلم كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته ، وولاه غزوة ذات السلاسل ، وكان من أمراء الأجناد في الشام ، وولاه عمر فلسطين ^(٤) .

قال إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قبيصة بن جابر قال : صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين قرأنا ، ولا أكرم خلقاً ، ولا أشبه سريرة بعلانيته منه ^(٥) .

(١) انظر : عد الدين بن الأثير ، أسد الغابة ٢٤٧/٣ بتصرف .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧/٣ بتصرف .

(٣) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٧٤١/٣ بتصرف .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٢/٢ .

(٥) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٧٤٢/٣ بتصرف .

وقد أرسله عمر بن الخطاب في جيش إلى مصر ففتحها ، ولم يزل والياً عليها حتى استشهد عمر ، فأمره عثمان أربع سنين ثم عزله ^(١) .

وفاته :

توفي عمرو بن العاص سنة سبع وأربعين بمصر ليلة عيد الفطر ، صلى عليه ابنه عبدالله ودفن بالمقطم ^(٢) .

١٥ - قيس السهمي

التعريف به :

هو قيس بن أبي العاص بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي ، أسلم يوم الفتح ، كان من أول القضاة في مصر بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ^(٣) .

(١) انظر : عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة ٣/٧٤٢ .

(٢) انظر : المصدر السابق ٣/٣٤٣ .

(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٢٥٤ .

الفصل الثامن

تقويم الجهود الدعوية

زهيد :

لقد قدم الدعاة المسلمون الأوائل جهوداً كبيرة ، بذلوا فيها الأرواح رخيصة وما أغلاها ، وقدموا الأموال بل وكل ما يملكون ، مجاهدين بذلك في الله حق جهاده .

كل ذلك ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجور إلى العدل ، ومن الضيق إلى السعة .
ولما كانت جهود الدعاة - فترة موضوع البحث - بحمد الله موفقه ، وخطواتهم مسددة ، فقد أثمرت ثماراً طيبة ، وحقت آثاراً إيجابية مشرقة .

وفي هذا الفصل سأعرض - إن شاء الله - الآثار الإيجابية لتلك الجهود بشتى أنواعها وألوانها . . . يستوي في هذا المقام الجهود التي أبرزها كتاب التاريخ للفترة موضوع البحث ، والجهود التي شوهاها الحاقدون منهم وخطوا من قيمتها ، وقللوا من شأنها بغياً وحسداً من عند أنفسهم سواء كان التشويه متعلقاً بالدعوة أم بالدعاة .
وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : الآثار الإيجابية للجهود الدعوية في مصر .

المبحث الثاني : الشبهات المثارة تجاه جهود الدعاة الأوائل والرد عليها .

وقبل أن أشرع في عرض ما يتضمنه هذا الفصل أجد من الأهمية بمكان أن أشير في عجالة إلى معنى التقويم من واقع ما ذكره بعض أصحاب معاجم اللغة .

يقول صاحب القاموس المحيط : (قَوِّمَتِ السلعة ، واستقمته أي

ثمنتَه^(١)، ويقول صاحب المعجم الوسيط : (تقوّم الشيء تبينت قيمته^(٢))، ويقول صاحب كتاب الأخطاء الشائعة : (يخطئون من يقول : قيموا الدار ، أي جعلوا لها قيمة معلومة . باعتبار أن الصواب قوموا الدار تقويما ، لأن الفعل واوي)^(٣) . فتقويم الشيء جعل قيمة معلومة له .

ومن هذا يتبين أن المقصود بتقويم الجهود الدعوية - فترة موضوع البحث - إبراز قيمة تلك الجهود .

(١) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ١٦٨/٤ ، ط دار العلم ، بيروت .

(٢) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٧٧٣/٢ .

(٣) محمد العدناني ، معجم الأخطاء الشائعة ، باب القاف ص ٢١٢ ، ط مكتبة لبنان ١٩٨٥ م .

المبحث الأول

« الآثار الإيجابية للجهود الدعوية في مصر »

لقد بذل الدعاة المسلمون المعاصرون لفترة الفتوحات الإسلامية الأولى جهوداً كبيرة على أرض مصر ، وكان لهذه الجهود - التي هي بمثابة بذور طيبة وضُعت في أرض الكنانة - ثمارها ، حيث أتت أكلها كل حين بإذن ربها ، وعظم نفعها ، وبارك الله فيها .

ويجدر بالباحث - في هذا المقام - أن يبرز تلك الجهود ويظهرها واضعاً نصب عينيه مدى الاستفادة من تلك الجهود .

وفي هذا المبحث سأعرض - إن شاء الله . آثار تلك الجهود على ثلاثة محاور :

المحور الأول : أثر الجهود الدعوية على المدعوين الذين دخلوا في الإسلام :

دخل كثير من أهل مصر في دين الله تعالى زرافات ووحدانا بعد تلك الجهود الكبيرة التي بذلها الدعاة المسلمون ، ولم يقف عدد المسلمين الجدد عند حد معين بل كان العدد يزداد يوماً بعد يوم ، حتى أن أعداد المسلمين كانت في زيادة قبل أن يتم الفتح ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظم الجهود التبليغية المخلصة التي بذلها الدعاة ، وعلى تأثير الأخلاق الإسلامية المثالية التي تحلوا بها .

يقول المؤرخ [غوستاف لوبون] : (لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح حين كانت الإسكندرية حاضرة مصر وقتئذٍ لاتزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة)^(١) .

ومع تعاقب الليالي والأيام كانت جزية مصر تنقص يوماً بعد يوم بسبب أفواج الناس الذين دخلوا في دين الله عن رغبة واقتناع^(١). ولعل رضا المسلمين بإسلام الذميين وتسهيل ذلك لهم يؤكد حقيقة - لم يفتن لها الجناة على الدعاة المسلمين - أن هدفهم الدعوة إلى الله .. نشرأ لمبادئها ، وجذباً للناس نحوها ، وإيصالهم إلى درجة اعتناقها وتطبيقها ، وليس وراء ذلك من هدف آخر ، وإلا لما كان حرصهم على دخول الناس في الإسلام مقدماً على غيره .

ثم إن من آثار تلك الجهود الدعوية على المدعويين الذين هداهم الله للإسلام ، أن اعتناقهم وتأثرهم بالإسلام لم يكن مجرد فورة عاطفية ؛ إنما كان تأثراً واعتناقاً نابعاً من اقتناع شديد بالإسلام ، لذا حرصوا على إظهار شعائره وتطبيق تعاليمه ، بل حرصوا على المشاركة الفاعلة في مجال الدعوة إلى الله وتبليغه .

ومما يدل على صحة مايقدره الباحث الأمران التاليان :

(أ) حجم الخدمات العلمية .

(ب) حجم الخدمات الجهادية .

فقد قام أهل البلاد بتعليم بني جنسهم الإسلام وأحكامه .. لقد قام أهل هذه البلاد بهذه المهمة داخل مصر ، كما قاموا بالدور نفسه في غيرها من البلدان الأفريقية .

وكان أهم ما ترتب على ذلك انتضار الحلقات العلمية في المساجد .. تلك التي عنيت عناية عظمى بتدريس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٤ .

(٢) انظر : توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٤ .

وسيرته العطرة ، ومن ثم تعلم الناس أحكام الإسلام وأدابه في فترة وجيزة .

(ب) حجم الخدمات الجهادية .

ولم تقف الجهود الدعوية في مصر إلى حد معين ، فقد قدم المسلمون الجدد خدماتهم الجهادية لإعلاء كلمة الله في أنحاء كثيرة ، منها ماكان في مصر ، ومنها ماكان في غيرها من البلدان الافريقية . وهكذا صار المسلمون من أهل مصر لبنات أساسية في كيان المجتمع الإسلامي وأعضاء فاعلين في ميادين الإسلام ، متواصين بالحق، داعين إلى الله ، مجاهدين في الله حق جهاده ، دعاة جدد لشريعة باقية خالدة .

هذا ، ولم تكن تتم تلك الآثار لولا توفيق الله - سبحانه وتعالى - ثم جهود الدعاة المسلمين الذين فتح الله مصر على أيديهم .

المحور الثاني: أثر الجهود الدعوية على المدعوين المصريين

الذين لم يدخلوا في دين الإسلام .

لقد كان لجهود الدعاة المسلمين آثار إيجابية أيضا على الذين ظلوا

على ملة الكفر وأبوا اعتناق دين الإسلام ، وهم صنفان :

أ - من رضي بحكم المسلمين وقبل شروطهم .

ب - من لم يرض بحكم المسلمين ولم يقبل شروطهم .

أما الصنف الأول فقد كان لبقائهم ثمرات أجملها على نحو مايلي :

١ - أنهم ساعدوا المسلمين في كثير من الأمور التي حققت للدعوة

الإسلامية الذبوع والانتشار بفضل الله تعالى .

٢ - تأثرهم بعادات المسلمين وتقاليدهم التي لها أصل في الإسلام .

٣ - ترجيحهم العيش بين المسلمين ذميين ، بدل أن يعيشوا رعايا في

الدولة الرومية ، وهذا فيه خير كثير يتحقق لهم في ظلالة مصالح دنيوية وأخروية . . أما المصالح الدنيوية فتظهر في تمتعهم بعدل الإسلام ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم ، وأما المصالح الأخروية ، وأما المصالح الأخروية فتظهر في تهيئة سبل رؤيتهم الإسلام ، واحتمال دخولهم فيه عن رضا واختيار ، لاعتن جبر وإكراه ، وفي هذا سعادتهم وفوزهم في الآخرة^(١) .

أما الصنف الثاني وهم الذين لم يرضوا بحكم المسلمين ، ولم يقبلوا شروطهم ، فقد كان لجهود الدعاة المسلمين آثارها ؛ إذ أن هؤلاء اختاروا هجرة وطنهم على البقاء فيه بعد أن تولى المسلمون زمام الحكم ، وكان في هذا خير كثير ، إذ لو بقي هؤلاء لتأثر بهم بنو جنسهم ، ولكن الجهود الدعوية جعلت هؤلاء يختارون هذا الطريق .
المحور الثالث : نجاح الوسائل والأساليب والأيادي التي استخدمت وتأثير الصفات التي نحلى بها الدعاة .

لقد كان النجاح - بحمد الله - كبيراً في استخدام الوسائل والأساليب والأيادي ، وقد وفق الدعاة في تسخيرها لخدمة الدعوة ، فأثرت في المدعوين أيما تأثير ، وحقت أفضل النتائج بفضل الله تعالى .
لقد استخدمت وسيلة إرسال الرسل وكانت من أنجح الوسائل التي عرفت أهل مصر بدعوة الحق ، وما عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ورفاقه الذين ذهبوا إلى [المقوقس] إلا خير سفراء للدعوة والدعاة .
وأول علامات نجاح هذه الوسيلة ما ظهر في عيني [المقوقس] وكلامه حين حدث أصحابه : (لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره)^(٢) .

(١) انظر : عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ص ٢٦٦ .
(٢) انظر ص : ٩٢ من هذه الرسالة . .

وقوله كذلك : (ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها)^(١).

نعم ..

لقد أصبح الظن يقيناً ، وغلب ملكهم ، وعمت دعوة الإسلام الآفاق . هذا ومن الوسائل التي كتب الله لها النجاح ، ويُبلغ عن طريقها الحق ، وأقيمت الحجة على الناس .. وسيلة الرسائل . وقد بدا واضحاً نتاج وأثر رسالة الرسول ﷺ على [المقوقس] فأخذ يحاور حاطباً رضي الله عنه بتأثر عن مضامين الرسالة .

وقد أفادت وسيلة الرسائل في دعوة أهل مصر ، لأنها استخدمت في موضعها ، وعالجت القضية الحاضرة ، ولم تخرج عن الهدف الموضوع لها .

ثم جاءت - من بعد ذلك - وسيلة الجهاد التي لها وقتها ، ولها أسبابها ، وقد يسر الله إتمامها ، فصار المسلمون يجنون ثمارها الظاهرة ، حكماً بما أنزل الله ، ومجتمعاً تظهر فيه الشعائر الإسلامية ، فعرف الناس الإسلام واقعاً بينهم ، لم يتيسر لهم من قبل أن يعرفوه ويتفهموا ظلاله بسبب الذين سدوا كل منفذ يوصل الخير للغير بغياً وحسداً من عند أنفسهم .

ثم تأتي الميادين الدعوية التي هي (مسرح الحوادث)^(٢) وقد ظهرت فيه بوضوح جهود الدعاة .

(١) انظر ص : ٩٢ من هذه الرسالة ..

(٢) والميدان مفرد ميادين وهو المكان المحسوس الذي تلقى فيه الدعوة أو مكان تنفيذ أحد وسائلها ، وقد يكون الميدان معنوياً وهو وعاء قبول الدعوة من عدمه قولاً وهما القلب والعقل ، والميدان المعنوي أعم وأشمل من الحسي إذ أن الحسي أوجد لتحقيق الوصول إلى الميدان المعنوي ، فهو وسيلة للوصول إلى المعنوي ، ولعل هذا يتضح من قول ربيعي (رضي الله عنه) : (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ..) انظر ص : ١٧٠ من هذا البحث . فقد بين الصحابي ربيعي أن هدف نزولهم إلى الميدان الحسي هو التهيئة للميدان المعنوي أو الوصول إليه . ولو استعرضنا تاريخ الدعوة لوجدنا أن الميدان الحقيقي الذي حرص الدعاة على الوصول إليه هو الميدان المعنوي .

ومن أهم تلك الميادين التي كان لها الأثر الكبير في إبراز جهود
الدعاة المسجد ، وماوضع اللبنة الأولى لجامع عمرو بن العاص - رضي
الله عنه - إلا خطوة تلتها خطوات جاءت بالخير العميم لأهل مصر .
فقد انتشرت المساجد في المدن والقرى ، ولم يكن المسجد شعيرة
ظاهرة للمسلمين فحسب ، إنما صار مدرسة خرّجت آلاف الطلاب الذين
ينهلون من المعين الذي لاينضب ، كل ذلك نتاج لتوفيق الله أولاً ثم لعزيمة
لايأس معها ونية صادقة لامراء فيها لأولئك الدعاة الفاتحين .
ومن الأمور التي تحسب للدعاة إلى الله في مصر تلك الأساليب
التي استخدموها ، فلقد أفاد أسلوب الترغيب في التأثير على المدعوين ،
ولعل خير شاهد على مدى الاستفادة من استخدام هذا الأسلوب ما فعله
عمرو بن العاص - رضي الله عنه - حين استخدمه ثم لمس نتائجه .
فلو تتبعنا مسلك عمرو بن العاص حول هذا الأسلوب لوجدناه سلك
ثلاث مراحل :

- ١ - مرحلة القول والتوجيه وتتمثل تلك المرحلة في قوله [للمقوقس] : « أما
إن دخلتم في الإسلام فكنتم أخواننا وكان لكم مالنا .. »^(١) .
- ٢ - مرحلة التنفيذ للأمر المرغّب فيه ، وقد حصل منه أيضاً . وماعبر به
المؤرخ [غوستاف لوبون] يدل دلالة واضحة على أن كلمات الدعاة
ليست للاستهلاك الوقتي ، إنما هي للتنفيذ والتطبيق : (وكان عمرو
ابن العاص سمحاً رحيماً نحو أهل الإسكندرية مع تلك الخسارة
التي أصيبوا فيها مع العرب ، ولم يقس عليهم ، وصنع ما يكسب به
قلوبهم ، وأجابهم إلى مطالبهم ، وأصلح أسداهم وتُرّعهم ، وأنفق
الأموال الطائلة على شئونهم العامة)^(٢) .

(١) انظر ص : ١٢٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر ص : ١٣٦ من هذه الرسالة .

٣ - مرحلة جني الثمار وإحراز النتائج .

وقد شهدها - رضي الله عنه - يقول الأستاذ أبو رابية حول آثار فعل عمرو - رضي الله عنه - وأصحابه بأهل مصر : (أقبل كثيرون من عقلاء الروم والمصريين الأقباط على النظر في المذاهب المختلفة ، ثم انتهى أكثر هؤلاء إلى قبول الإسلام والدخول فيه)^(١) .
وبجوار الترغيب يستخدم الدعاة الترهيب أيضا ، وهو أسلوب له اعتباره حين يتم إعماله في وقته وقد أفاد - بحمد الله - من طريقتين :

أ - طريق كبت دعاة الباطل وما يدعون إليه .

ب - طريق إظهار قوة الحق وأهله وقوة حجتهم .

وليس أسلوب الحكمة في الدعوة بأقل تأثيراً من سابقه ، فإن أثره سرعان ما يظهر على وجه لسان المدعو ، وهامو [المقوقس] نجده عندما لمس الحكمة في رسول رسول الله - ﷺ - حاطب - رضي الله عنه - يقول له بعد الحوار المتقن الذي يصيب الهدف في سهولة ومن طريق مباشر : (أنت حكيم جاء من عند حكيم)^(٢) .

أما أسلوب القدوة الحسنة فهو المتمم والمكمل فرب قدوة حسنة أثرت في فرد أكثر مما تؤثر الكلمات والأقوال .

وكان لظهور القدوة الحسنة في سلوك الدعاة المسلمين أثره الطيب على أهل مصر سواء قبل إتمام الفتح أم بعده ، ولعل اقتران الأفعال بالأقوال كان ذا أثر حسن في نفوس رسل [المقوقس] حين رأوا ولسوا تلك الميزة التي يتميز بها الدعاة .

(١) عبد الخالق أبو رابية ، عمرو بن العاص بين يدي التاريخ ص ٢٥٢ .

(٢) انظر ص : ١٤٧ من هذه الرسالة .

وبعد أن أتمَّ الله الفتح ، واستقرت الأمور ، صارت القدوة الحسنة هي دين الدعاة ، فأصبح أثرها كبيراً ، ونتائجها جد رائعة في جذب الناس إلى الإسلام .

وقد مر بنا موقف الصحابي الجليل عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - في القدوة الحسنة عندما ضرب أروع الأمثلة في أخلاق الدعاة إلى الله ، واجتاز الاختبار الذي وضعه له نفر من الروم كانت النتيجة - في ذلك الموقف - مؤثرة ، وما بقي في النفوس أعظم وأكبر^(١) .

لقد اهتم الدعاة إلى الله - عز وجل - في مصر بنشر الإسلام ولم يغفلوا الظروف التي يعيشها السكان فسخروها لخدمة الهدف .

فقد كان الخواء العقدي الذي كانوا عليه ، والاضغوط النفسية والمضايقات التي يلاقونها ، أعظم مدخل لدعاة الإسلام استفادوا منه . وانقاد الناس لدعوة الإسلام سماعاً ومشاهدة لشعائرها ، ثم اعتناقاً لها . وقد عبر أحد الكتاب عن أثر اعتناق المصريين للإسلام ، وعمق مشاعرهم تجاه دين الفطرة بعد سنوات من الظلم والقهر بقوله : (فرحوا كما تفرح الأسخال إذا حلت قيودها ، وأطلقت لترشف من ألبان أمهاتها ..)^(٢) .

نعم . لقد كانت خطوات الدعاة الأوائل مباركة ، وجهودهم موفقة ، والنتائج المترتبة عليها مؤثرة .

ثم لا ينبغي أن ننسى الاختلاط المشروع - في مقام الكلام عن العوامل الدعوية - الذي كان له أثر طيب فوري في صفوف المدعويين . والاختلاط المشروع بين أهل مصر والدعاة المسلمين كان مأمون

(١) انظر ص : ١٥٤ من هذا البحث .

(٢) ساوريس الأول ، نقلا عن بتلر ص ٢٢٣ .

الجوانب محمود العواقب ، إذ نتج عنه أسر تعيش على نور الإسلام رابطها التقوى ، وغايتها تحقيق العبودية لله وحده ، ولافضل فيها لإنسان على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح .

إن القبائل التي أمر بتهجيرها الداعية الحاكم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنبتت في الأرض والبيئة التي هاجرت إليها نباتا حسنا وعظم أثرها ليس على مصر وحدها إنما على افريقيا كلها وحتى الأندلس .

واستعمال اللغة العربية وتعليمها وتمكينها كان له أثره الحميد أيضاً في الاعتماد عليها لمعرفة أحكام الإسلام ، وهو ما عبر عنه [غوستاف لوبون] بقوله عن مصر - حين نسي سكانها لغتهم وتأثروا باللغة العربية - : (نسيت - في أقل من قرن على افتتاح عمرو بن العاص لها - ماضي حضارتها الذي دام نحو سبعة آلاف سنة معتنقة ديناً جديداً ، ولغة جديدة ، وفناً جديداً ، اعتناقاً متيناً دام بعد تواري الأمة التي حملتها عليه)^(١) .

أقول : إن النظرة التقويمية لآثار جهود الدعاة المسلمين - فترة موضوع البحث - تلمس بوضوح في نفوس أهل مصر من خلال الوسائل والأساليب والبيادين الدعوية على نحو ما عرضت وبينت .

ثم إن آداب الدعاة المسلمين وصفاتهم - أيضاً - كان لها تأثيرها .

لقد أفادت صفة التواضع في كسب القلوب وميلها إلى الدعوة .

وأفادت صفة الوفاء بالعهد وجعلت المدعويين المصريين يعجبون من

تعاليم الإسلام الذي يحض على هذا الخلق الكريم يستوي في هذا أن

يكون المعاهد مسلماً أو غير مسلم .

(١) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ٥٦٣ .

وأفاد العدل والرفق فائدة عظيمة على نحو ما سبق لي عرضه في
المبحث الخامس التابع للفصل السادس من بحثي .
نعم لقد كانت الجهود الدعوية التي بذلت موفقة - بحمد الله - لأنها
جهود صاحبها إيمان بالله ، وإخلاص له سبحانه ، فضلا عن أنها جهود
صادرة من أصحاب عزائم صادقة ، ونوايا مخلصه ، وقلوب بالإيمان
عامرة .

البحث الثاني « الشبهات المشارة تجاه جهود الدعاة الأوائل والرد عليها »

المطلب الأول : « الشبهات المشارة تجاه الدعاة فترة موضوع البحث »

مايرح أعداء الإسلام في كل زمان ومكان يثيرون الشبهه حول الجهود الدعوية التي بذلت في عصور صدر الإسلام .
وأخذ فريق من الكتاب يوجد أهدافاً أخرى لدعاة الإسلام ، وفريق آخر أخذ ينتحل بعض الأمور ليقول من تلك الجهود التي بذلت .
ولأشروع بتوفيق الله تعالى في عرض الشبهات أولاً ، ثم أفرغ بعد ذلك لتفنيدها ثانياً . . أما مايتعلق بالعرض فيتمثل فيما يلي : -
أولاً : الشبهة الأولى :

القائلة أن هدف المسلمين في فتح مصر تحقيق المكاسب المادية ، وقد ذكر ذلك بعض المؤرخين ، وجعلوه السبب الرئيس في تحرك المسلمين من ديارهم إلى البلدان الأخرى .
وفي هذا المعنى جاء قول أحدهم عن الفاتحين المسلمين : (أملهم في أن يستبدلوا بصحاريهم الجرداء التي لم تتح لهم إلا حياة تقوم على البؤس ، تلك الأقطار ذات الترف والنعيم وهي فارس والشام ومصر . .)^(١).
ومما أثير - أيضاً - حول دافع خروج الدعاة المسلمين من بلادهم أن التحمس إلى نشر الإسلام ماكان إلا دافعاً صورياً ، أما الدافع

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٤ نقلًا عن [Dollinger m pp . 5-6]
وانظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٢٦ .

الحقيقي فهو الجوع والحرمان ، وفي هذا المعنى يقول أحدهم : (ولكن الروح التي دفعت جحافل العرب الغازية ، التي تدفقت على حدود دولتي الروم والفرس ، لم تكن روح حمس وغيره ترمي إلى تلقين الدعوة ابتغاء تحويل الناس إلى الإسلام ، بل كان الأمر على العكس من ذلك ، فإن البواعث الدينية ، كما يظهر ، لم تكن قد تسربت إلا قليلا في نفوس أبطال الجيوش العربية ، ويعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير هجرة جماعة نشيطة قوية البأس ، دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدية ، وتجتاح بلاداً أكثر خصباً كانت ملكا لجيران أسعد منهم حظاً ..)^(١).

أقول : هذا ما ذكره المؤرخون المغرضون حول سبب خروج المسلمين من ديارهم .

ثانياً : التهوين من شأن الانتصارات الإسلامية :

وقد أثار الشبهة المذكورة [الفرد بتلر] في كتابه (فتح العرب لمصر) .

ورغم أن كتابه من أقرب الكتب - التي ألفها غير المسلمين - إلى الصواب ، إلا أنه يعاب عليه أمور ، سأذكر كل أمر في موضعه - إن شاء الله تعالى - .

ومن الأمور التي أثارها - حول التقليل من الانتصارات الإسلامية - عزوه أسباب هزيمة الروم في معركة [الفرما] إلى :

أ - عدم الاستعداد لمواجهة المسلمين .

يقول في كتابه : (ولو أرسل الروم عشرة آلاف من جندهم لقاتلوا عمراً أثناء سيره ، أو جمعوا ذلك الجيش تحت حصن المدينة ، لما عجزوا

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٤ .

أن يهزموا تلك الفئة القليلة من أعدائهم العرب (١).

ب - تواطؤ الأقباط مع المسلمين :

ويعلّظ ذلك بقوله في كتابه : (إن ذلك القعود كان أول ما ارتكبه [قيرس] من خيانتة العظمى لدولته ، فلعله كان عند ذلك قد عزم على أن يعمل على فصل بطرقة الإسكندرية ، وشقها عن القسطنطينية بالاتفاق مع العرب وإعانتهم على دولته ، ولسنا نجد غير هذا الرأي مانفسر به مسلكه ولاسيما ماوقع منه بعد ذلك) (٢).

ثالثاً : اتهام القائد الأول لمعارك المسلمين :

ولم يشأ هؤلاء الكتاب أن يتركوا مدخلاً - يسيئون من خلاله إلى الدعاة المسلمين - إلا دخلوه ، ومن تلك المداخل التطاول على الخليفة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - القائد الفعلي لمعارك المسلمين في تلك الفترة ، إذ اتهم بأنه سيء الظن بولاته .

يقول [بتلر] في كتابه « فتح العرب لمصر » : (وقد أخطأ عمر بن الخطاب في أنه كان مع عماله جميعاً على سوء الظن ، يتوقعون منه العزل والمحاسبة ، ويأخذ أموال بلادهم كلها لايدع لهم فيها شيئاً ، وقد كان لهذه الخطة أثر في التعجيل به ..) (٣).

ففي ماكتبه [بتلر] يتضح أنه حكم أولاً على أن معاملة الخليفة عمر بن الخطاب لعماله كلهم كانت قائمة على سوء الظن بهم ، لايفرق في هذه المعاملة بين أحد منهم ، والحكم الثاني لـ [بتلر] قرر فيه أن

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٨٠ .

ال خليفة عمر أخذ أموال بلاد عماله كلها ، فلم يترك لهم شيئاً .
ثم يفضي الاستنتاج بـ [بتلر] إلى نتيجة يؤكد فيها أن أفعال
ال خليفة عمر بن الخطاب مع عماله عجلت بقتله .

رابعاً : اتهام عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الإسكندرية :

وقد ذكر قصة إحراق مكتبة الإسكندرية بعض المؤرخين ، ونسبوا
إحراقها إلى عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب .
ومن أولئك - الذين ذكروا إحراق المكتبة ونسبوها إلى عمرو -
عبد اللطيف البغدادي ^(١) ، وهو أول من ذكر القصة ، ثم تبعه في ذلك ابن
القفطي ^(٢) ، ثم ذكرها ابن العبري ^(٣) .

وهؤلاء الثلاثة وجدوا جميعاً في القرن السابع الهجري وتتلخص
قصة الإحراق المثارة في أن رجلاً من أهل الإسكندرية يدعى [حنا
الأجرومي] - وهو من قساوس القبط - أخرج من عمله بعد حكم من
بعض الأساقفة بسبب زيغ في عقيدته - على حد تعبيرهم - ، وقد التقى
ذلك الرجل بعمرو بن العاص - رضي الله عنه - وأعجب به عمرو لذكائه
وعلمه ، وقد أشار على عمرو بإحراق الكتب الموجودة ، فكان رد عمرو
مرتبطاً بأمر الخليفة ، فكتب إلى الخليفة فجاء الرد بالموافقة ، ثم أمر
عمرو بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية فما زالوا يوقدون بها
ستة أشهر ^(٤) .

(١) انظر : عبد اللطيف البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص ٤٢ .

(٢) انظر : ابن القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٨ .

(٣) انظر : أبو الفرج اللطفي ، مختصر النول ، ص ٩٠ .

(٤) انظر : الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

وقد استدلل الذين نسبوا الفعل إلى عمرو بن العاص بأدلة منها :

- أ - دليل حصل في الواقع وربطت به هذه الحادثة .
فقد ذكروا أن المسلمين أحرقوا كتب الفرس عند فتح بلادهم ،
ولا يمتنع أن يحرقوا مكتبة الإسكندرية^(١) .
- ب - دليل آخر .

وهو أن هذا الأمر معروف عادةً أن المنتصر - دائماً - يحاول محو

أثار خصومه حتى لا تبقى لخصومه باقية ولا ماضي يتصل به .

أقول : هذه بعض الشبه التي أثرت حول جهود الدعاة إلى الله عز

وجل في مصر .

وقد أثرت عرضها في هذا المبحث دون تدخل ، كما حرصت أن أبرز

معارض زاعموها من أدلة يحتم المقام على الباحث تفنيدها ، وإظهار

زييفها ، ودحضها ، وهذا مأسأفرغ له المبحث التالي إن شاء الله

تعالى .

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

المطلب الثاني

« تنفيذ الشبهات المشارّة تجاه الدعاة الأوائل »

في هذا المطلب يطيب لي أن أكشف ما أخفاه أولئك المؤرخون من أمور واضحة قد تكون غابت عنهم ، أو تغافلوا عنها ، كما يطيب لي أن أناقش ما أيده من تلك الشبهات ، وذلك على النحو التالي : -
أولاً : مناقشة قولهم : « إن هدف المسلمين في فتح مصر تحقيق الكسب المادي » .

هذه الشبهة كررها أعداء الإسلام كثيراً كلما سنحت لهم فرصة النيل من دين الإسلام ودعائه ، ولعلي أناقش هذا القول من عدة محاور:
أ - إن هدف الجهاد في سبيل الله واضح لم يكن يتغير لمجرد أن يكون المقاتلون أهل ثراء ، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : « أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله » ^(١) .

ففي هذا الحديث بيان شامل لتباين النيات من قبل المشاركين في القتال ، واختلاف أهدافهم ، ولكن المسلم هو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

وليس بوسع أحد أن يُنكر وجود من يدخل في صفوف المسلمين ، ويكون هدفه واحداً من الأمور التي ذكرت في الحديث ، فقد ذكر

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من سأل - وهو قائم - عالماً جالساً ٤٠/٨ ، رقم الحديث ٤٥ .

القرآن الكريم حال المنافقين في آيات كثيرة ، لكن علينا أن نعلم أن وجود أصحاب الأهواء ، لايعكس واقع الأغلبية الصادقة المخلصة لله في ميدان الجهاد في سبيل الله .

إذن الهدف العام هدف الخليفة والقائد والذي قررت بسببه المعركة هو لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وهو الذي وصاهم به رسول الله ﷺ ، ويدينون الله عز وجل به .

فقد قرروا المعركة والدخول فيها لهذا الهدف لا لهدف آخر سواه فإذا تحققت أمور أخرى فذاك فضل من الله لعباده ، وإذا لم تتحقق فليست تلك الأمور هي التي دفعت الدعوة إلى ترك أهلهم وديارهم من أجلها .

ب - لقد نقل أولئك المؤرخون وغيرهم الحوار الذي تم بين عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وبين [المقوقس] ، ولعل من يتابع ذلك الحوار ويقرأه بعين المنصف الباحث عن الحق يجد فيه الرد على تلك الأقوال .

وقد وضع عبادة - رضي الله عنه - الهدف بالقول ، وأكدته بالفعل ، وقد ورد الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الرسالة^(١) .

ج - لعل الباحث يتساءل على أي أساس بُني هذا الحكم بأن هدف الدعوة هو تحقيق الكسب المادي ؟

إن الحكم بُني على فقر المسلمين وحاجتهم ، وليس على الحالة النفسية التي يعيشها المسلمون ، ولعل أصدق تعبير على أن فقر المسلمين وعوزهم لايرتبط بالحالة النفسية - ما ذكره عبادة بن

(١) انظر : ص ٧٤ - ٧٥ من هذا البحث .

الصامت - رضي الله عنه - [للمقوقس] حين ربط [المقوقس] الضيق الذي يعيشه المسلمون بحالتهم النفسية .
قال عبادة - رداً على تلك المقارنة الخاطئة - : (فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه)^(١).

ثم إن [توماس أرنولد] الذي ذكر تلك المقارنة المبنية على غير أساس قد دفعه التخمين إلى أن يحكم على هذه الأمور ، مثل حكمه على غيرها في كتاباته التي منها قوله : (ومن ثم نجد أنفسنا مضطرين إلي أن نلجأ إلى الحدس والتخمين ..)^(٢).

د - وأخيراً : لي أن أذكر بأنه يوجد بلدان ذهب إليها المسلمون غير مصر والشام ماهي إلا صحارى جرداء بل أشد جدبا من البلاد التي خرجوا منها .

فهل يستطيع هؤلاء المؤرخون أن يزعموا ويقنعوا بأن هدف المسلمين من فتحها تحقيق لمكاسب مادية ؟ !
إن هدف المسلمين لو كان - كما زعموا - لركز المسلمون جهودهم على البلاد الغنية وتركوا غيرها .

لقد سار الدعاة إلى اليمامة ، وإلى البحرين ، وقطعوا طرقاً قاحلة ، وساروا في شدة الحر وضيق العيش ، وهم يعلمون طبيعة تلك البلاد^(٣) .

فبماذا يفسر هدف هؤلاء ؟ !

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤ .

(٢) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨٨ .

(٣) انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١/٧٣ .

ولي - في النهاية - أن أستأنس بقول سيد قطب :
(الإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ،
بقصد جر المغنم وبذلك يستبعد كافة الفتوح الاستعمارية ، التي تكمن
وراءها مطامع اقتصادية ، كفتح الأسواق واستجلاب الخامات ،
واستغلال الموارد ، أو الحصول على مراكز استراتيجية ، وميزات
عسكرية ، تلك الفتوحات التي عانت البشرية منها وما زالت تعاني من
ويلاتها ، والتي تقوم الحضارة الغربية الراهنة على أساسها ، لأنها
مقوم أساسي من مقوماتها) (١) .

ثانياً : مناقشة الشبهة الراهية إلى التهوين من شأن الانتصارات
الإسلامية :

تجنباً للاطلالة أكتفي هنا بمناقشة الشبهة المذكورة من خلال ماكتب
في المبحث الأول حول معركة [الفرما] ، وماذكره المؤرخ [بتلر] من
أمر تقلل من شأن انتصارات المسلمين فيها .
أ - أرد على ما ادعاه [بتلر] - حول هزيمة الروم في معركة [الفرما]
- أنهم لم يستعدوا لذلك من وجهين :

(١) أن حصار [الفرما] استمر قرابة الشهر على أقل
التقديرات ، وهذه المدة كافية لتسيير جيوش الروم كلها - لو
كان الأمر كما يقول - ثم إنه قد ثبت أن الأنباء وصلت إلى
[المقوقس] قبل وصول المسلمين إلى الفرما فماذا أعدوا ؟ .

(١) سيد قطب ، دراسات إسلامية ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

٢) ولو سلمنا بقوله : أنهم لم يجمعوا أمرهم وشركاهم في [الفرما] ، فما الذي صنعوه بعدها مع استعدادهم بكامل قوتهم ؟ !

وما علم [بتلر] وأمثاله أن قوة الإيمان لاتعدلها قوة ، وهذا وعد من الله صادق على لسان رسوله محمد - ﷺ - يقول الله تعالى : ﴿ . . فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾^(١) .

وهؤلاء المعنيون في الآية هم صحابة رسول الله - ﷺ - ، ومنهم من شارك في تلك المعارك .

ب - أما قوله : إن من أسباب هزيمة الروم تواطؤ الأقباط مع المسلمين . فيرد عليه بأنه لو كان ادعاؤه صحيحاً لما حصلت المقاومة ، ولتم التسليم من أول الأمر .

ويلاحظ أن [بتلر] خاض في هذه المسألة أكثر من مرة ، فهو - حيناً - يؤكد تواطؤ الأقباط مع المسلمين إذا كان في التواطؤ تقليل من جهود المسلمين ، وأحياناً أخرى ينفي التواطؤ إذا كان فيه كشف لضعف النصرانية وأنها لو كانت صالحة لما تركوها ، وقد ناقشت ذلك في الفصل السادس من هذه الرسالة^(٢) .

ولعل الشيء الجديد الذي أضيفه هنا ، هو لفت الأنظار إلى أن أكثر المؤرخين يركزون على الرؤية الجزئية ، ويبتعدون عن الرؤية الشمولية لأي حدث من الأحداث .

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٦ .

(٢) انظر : الفصل السادس من هذه الرسالة ، المبحث الأول ، ص ١٧١ .

فبعض المؤرخين يؤكد أن جوانب الضعف عموماً من جانب الروم كانت سبباً في هزيمتهم ، ونحن لاننكر ذلك ، ولكن أيضاً يجب ألا ننقل التضحيات التي قام بها الدعاة المسلمون .
إن أكثر المؤرخين يسير وفق عاطفته ناسياً أو متناسياً أن يتحرى الدقة فيما يكتبه^(١).

ثالثاً : رد اتهام [بتلر] للخليفة عمر رضي الله عنه :

لقد اتهم المؤرخ [بتلر] الخليفة - عمر رضي الله عنه - بأنه سيء الظن فيمن يوليهم وبأنه يأخذ الأموال ، ولا يترك لهم شيئاً ، مما كان سبباً في التعجيل بقتل عمر .

وأخص تفنيدي للاتهام المذكور في النقاط التالية :

أ - أن المسألة ليست سوء ظن من عمر بولائه ، ولو كان الأمر كذلك ما ولاهم ابتداءً . . . ولاتدل محاسبتهم على أنه سيء بهم الظن ، ولكن موقع مسئولية عمر يجعل له حق المحاسبة والسؤال ، لأنها جزء من مسئوليته ، ولو لم يكن يحاسبهم لما استطاع أن يعرف أحوال بلادهم وما ينقصها .
ثم إن مسئوليته أمام الله تعالى عن أولئك الذين تولى أمرهم تدفعه لذلك .

ب - أما مسألة أخذ الأموال فما كان يأخذها - رضي الله عنه - ليدخلها في بيته وإنما ليدفع بها إلى بيت مال المسلمين . . . يجهز بها جيوشهم ، وينفق منها على مصالحهم ، ويتم بها تدبير كافة شئونهم . . . وكل هذه المهام جزء من مسئولية الخليفة في الإسلام .

(١) ومن أولئك [بتلر] ، انظر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٥ .

ج- إن التواصي بالحق ، والتناصح فيما بين الناس ، هما شعار المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت ، بل في كل حين ، والمساعدة والمناصحة حاصلتان بين الخليفة وعامة الناس .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : اتق الله ، وكأن الناس قد لاموه في ذلك ، فقال عمر - رضي الله عنه - : لاخير فيكم إذا لم تقولوها ولاخير فينا إذا لم نسمعها^(١) .

إن الحاكم والمحكوم يقفان أمام الحق ، ويتقبلان ماجاء به ، والخليفة حين يناصح عماله أو يحاسبهم فإنه يخاف الله في متابعة العامل لأنه مسترعى على الرعية وهو مسئول عنهم ، والخليفة أيضا مسئول عن متابعة العامل ومحاسبته سواء في الأموال أم في غيرها من الأمور .

د - أن [بتلر] رتب على شبهته المثارة نتيجة خطيرة ، وهي التعجيل بقتل عمر .

ومفهوم ماذكره [بتلر] أن سوء ظن الخليفة عمر بعماله ، وأخذ أموالهم ، أثار الناس ضده مما دفعهم إلى قتله .

ويود الباحث هنا أن يتساءل : هل قاتل عمر بن الخطاب هو أحد عمال عمر ؟

وهل هو ممن ثبت أنه أساء الظن بهم وأخذ أموالهم ؟

إنما هو مجوسي معروفة أهدافه في ذلك .

إذن يتضح أن حكم [بتلر] حكم جائر ، ومايترتب عليه الحكم بعيد عن الحقائق .

(١) انظر : جمعه الخولي ، تاريخ الدعوة ١/٣١٩ ، ط / دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

ألا إنه يحق لي - في النهاية - القول في ضوء ما أسلفت عن
شبهة [بتلر] ٠٠ وعن أمثالها من شبهات المغرضين ٠٠ كبرت كلمة
تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

رابعاً : رد اتهام عمرو بإحراق مكتبة الإسكندرية :

ومن الشبه التي أثيرت - ضد الدعاة المسلمين في مصر - إحراق
مكتبة الإسكندرية .

وبخصوص هذا الاتهام فقد سبق أن ذكرت فترة بدايته ووقت
ظهوره في القرن السابع الهجري بقلم ثلاثة كتاب أخذ اثنان منهما عن
الأول ، وهو عبداللطيف البغدادي ، ثم نقل عنه ابن القفطي وابن
العبري^(١) .

ولعل المقام يسمح لي بمناقشة قصة الاتهام ، وحصص المناقشة في
النقاط التالية :

أ - بادئ ذي بدء ، يحق لي أن أتساءل : لماذا لم تظهر قصة الاتهام
المذكور في القرون الأولى السابقة على القرن السابع الهجري ؟
ومعلوم أن فتح مصر كان في القرن الأول ، فلماذا لم يظهر أحد
من المؤرخين تلك القصة طوال ستة قرون ؟ ٠٠ ثم إن من أشهر
من كتب عن فتح مصر ابن عبدالحكم الذي كان وجوده في نهاية
القرن الثاني وحتى منتصف القرن الثالث ، ومع ذلك فلم يشر إلى
قصة الاتهام لامن قريب ولا من بعيد .

(١) انظر : المبحث الأول من هذا الفصل ، ص ٢٦٠ .

ب- ومن الأمور التي تردّ القصة أن هناك كاتباً حاقداً على الإسلام والمسلمين - في تلك الفترة - هو [حنا النقيوسي] ومع عدااء هذا الكاتب إلا أنه لم يتعرض للقصة ولو كان فيها شيء من الصحة لما تركها .

يؤيد ذلك ما ذكره [بتلر] في كتابه فتح العرب لمصر ، في نفيه للقصة حين قال : (ويمنع من تصديقها إغفال كل الكتاب لذكرها حتى حنا النقيوسي . .) (١) .

ج- ومن الأمور التي تبين اختلاق قصة الاتهام ، أن حريق المكتبات حصل أكثر من مرة لكنه لم يكن بأيدي المسلمين ، فقد احترقت مكتبة [البطالسة] قبل ذلك بزمن طويل ، حين ذهب قيصر إلى الإسكندرية وأحاط به المصريون ، أحرق السفن وامتد الحريق إلى المكتبة ، يقول الكاتب [أورسيوس] : (وفي أثناء النضال أمر - قيصر - بإحراق الأسطول الملكي ، وكان عند ذلك راسياً على الشاطيء ، فامتدت النيران إلى جزء من المدينة وأحرقت فيها أربعمئة ألف كتاب كانت في بناء قريب من الحريق ، فضاعت خزانة أدبية عجيبة مما خلفه أبائنا الذين جمعوا هذه المجموعة الجليلة من مؤلفات النابغين) (٢) .

وهذه المكتبة التي أحرقت هي مكتبة [البروكيون] .
وهناك مكتبة [السرابيوم] (٣) وقد اختلف المؤرخون في بقائها زمن فتح مصر فمنهم من قال : أنها ضاعت في أعقاب المعارك التي

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٢٠ ، وانظر : محمد هيكل ، الفاروق عمر ١٨٩/٢ .

(٢) انظر : أورسيوس ، نقلاً عن محمد هيكل الفاروق عمر ١٨٧/٢ ، ١٨٨ ، وانظر : بتلر / فتح العرب لمصر ، ص ٤٢٦ .

(٣) وتعرف باسم المكتبة الصغرى أو المكتبة الوليدة . انظر : [Depondet mens , Epiphanius] .
نقلاً عن بتلر ، ص ٢٢٨ .

حصلت بين المسيحيين والوثنيين في القرن الرابع الميلادي^(١).
ومنهم من لم ينف ضياعها ولم يثبت وجودها وقت فتح المسلمين
لمصر^(٢).

ومن أحسن ماكتب حول هذه المكتبة أو غيرها قول [الفرد بتلر]
- حين نفى وجودها زمن فتح مصر - : (بقي علينا أن نثبت
أمريين ، فإننا إذا سلمنا بأن كل ماسبق إيرادها من الحجج لم
يكف لأن يزعزع رأي من يذهبون إلى بقاء مكتبة السرابيوم ، ثم
سلمنا بأن تلك المكتبة بقيت على عهدنا حتى فتح العرب
الإسكندرية ، إذا سلمنا بذلك ؛ كان أبعد الأمور أن يكون العرب
قد أتلفوها ودمروها .

ولذلك سبب نورده فإن العرب لم يدخلوا المدينة إلا بعد أحد عشر
شهرًا من الفتح ، وقد جاء في شروط الصلح أن الروم في مدة
الهدنة لهم أن يخرجوا من البلد إذا شاعوا ، وأن يحملوا معهم كل
ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم ، وكان البحر في كل هذه
المدة خالياً من العدو لا يقف شيء فيه بين الروم وبين القسطنطينية
أو سواها من ثغور البحر ، فلو كانت مكتبة السرابيوم عند ذلك
باقية لطمع الناس في ثمن كتبها وأغراهم ذلك بنقلها)^(٣) .

د - ومن الأمور التي ترد هذه الشبهة أنه قد زار الإسكندرية مؤرخان
هما [صفرنيوس وحنا مسعوس] قبيل فتح المسلمين لها وكتبا
بعد ذلك عن تلك المدينة ، ولم يوردا هذه القصة المكذوبة^(٤) .

(١) انظر : تورسيون ، كتاب (Labibl . des Ptol) ، ص ٢١ نقلًا عن بتلر ، ص ٤٣٠ .

(٢) انظر : Bury ، جيون ٣/٤٨٥ ، نقلًا عن بتلر ، ص ٤٣٠ .

(٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٤) محمد هيكل ، الفاروق عمر ٢/١٨٩ .

هـ - [عبداللطيف البغدادي] ذكر أن المكتبة أحرقت في حمامات المدينة ومما ثبت أن أكثر الكتب في مصر كانت من الرق وذلك في القرن السابع ، ومعلوم أنه غير صالح للوقود ^(١) .

ثم إنه لو سلمنا بأنها فرقت في تلك المدة التي تزيد على ستة أشهر لكان في استطاعتهم أخذها وتفريقها في تلك المدة الطويلة .
و - ومما يردّ تلك القصة أيضاً أن هذا الفعل المنسوب لعمر بن العاص يناقض تلك العهود التي تمت ، والمسلمون - دائماً - موفون بعهودهم .

ز - ومما يرد القصة ما أثبتته المؤرخون أن [حنا الأجرومي] قدم قبل الفتح بأكثر من قرن ، إذ كانت كتاباته في بداية القرن السادس الميلادي ^(٢) ، فإذا فرض أنه كان يكتب وهو في العشرين من عمره ، فإن عمره عند فتح مصر يكون أكثر من مائة وأربعين سنة على أقل التقديرات وهذا أمر غير وارد .

أقول : ولعل الأمور التي أوردتها ، تثبت بما لا يدع مجالاً للشك بطلان هذا الاتهام الموجه إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - والدعاة المسلمين .

إن أخلاق الدعاة المسلمين تمنعهم من التخريب ، لأن الإسلام يأمرهم بالإحسان والوفاء بالعهد : ﴿ .. وأوفوا بالعهد .. ﴾ ^(٣) الأمر الذي لا يسمح لهذه القصة ولا لغيرها أن يكون لها مكان في تلك الصفحات الناصعة التي سطرها أولئك الدعاة .

(١) انظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٢١ .

(٢) انظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٢٢ ، وانظر : محمد هيكل ، الفاروق عمر ١٨٧/٢ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٣٤ .

حقاً إن أخلاق الدعاة وأفعالهم أثرت في أهل مصر تأثيراً عجبياً ،
وقف أمام سرعة التأثير كثير ممن كتبوا عن تلك الفترة من غير
المسلمين يتسألون عن السر العجيب الذي غير حياة أمة كانت تعيش
قروناً على تلك الحال ، يقول المؤرخ [غوستاف لوبون] : (وما عجز
الأغارقة والرومان والفرس عنه في الشرق قَدَر عليه العرب بسرعة ومن
غير إكراه ، ومن ذلك مصر التي كان يلوح أنها أصعب أقطار العالم
إذعاناً للمؤثرات الأجنبية ، نسيت - في أقل من قرن واحد مر على
افتتاح عمرو ابن العاص لها - ماضي حضارتها الذي دام نحو سبعة
آلاف سنة معتنقة ديناً جديداً ، ولغة جديدة ، وفناً جديداً ، اعتناقاً متيناً
دام بعد توارى الأمة التي حملتها عليه)^(١).

إن تلك الحركة العظيمة التي قادها أصحاب محمد ﷺ وقف
الكتاب المنصفون أمامها وقفة تأمل وتعجب .

كيف يستطيع أولئك النفر أن يغيروا تلك الإمبراطوريات ومأمعهم
قوة ظاهرة ممن يفتخر بها أهل الأرض جميعاً ؟ إنها حقاً معجزة نخرج
منها بحقائق : -

الأول : عظمة الإسلام وشموله وأنه الدين الذي اختاره الله لعباده
بما يوافق فطرهم .

الثانية : قدرة أولئك الرجال وتضحياتهم بدافع الإيمان بالله عز
وجل على تخطي الصعاب واستقبال الموت بفرح وسرور ، رغبة فيما عند
الله .

الثالثة : التأييد الإلهي لتلك الجماعة المؤمنة التي امتثلت أمر ربها
فتحقق وعد الله فيها : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة
الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾^(٢) .

(١) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٥٦٣ .

(٢) سورة غافر ، آية ٥١ .

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

أحمد الله تعالى على أن وفقني لإتمام هذا البحث - « الدعوة الإسلامية في مصر إلى نهاية خلافة عمر بن الخطاب » رضي الله عنه» وتحقيق الهدف الذي كنت أسعى إليه ، ولا أدعي الكمال فيما كتبت وجمعت ، وحسبي أنني حاولت واجتهدت فإن يكن صواباً فمن توفيق الله ، وإن يكن خطأ فمن نفسي .

ويطيب لي في خاتمة البحث أن أعرض النتائج والتوصيات التي خرجت بها من البحث وهي :

أولاً : النتائج .

أ - في الفصل الأول من البحث تناولت - في إيجاز - بالعرض والتحليل الأحوال السائدة في مصر قبل الفتح الإسلامي لها ، سواء كانت دينية أم اجتماعية أم اقتصادية ، وخرجت من تلك الدراسة بنتيجة هي أن معرفة أحوال المدعوين جانب مهم من جوانب الدعوة ، وينبغي على الدعاة إلى الله أن يفيدوا من الأحوال التي يمر بها المدعوون وذلك من حيث اختيار الوقت الملائم ، والمدخل المناسب للدعوة .

ب - في الفصل الثاني تناولت سير الدعوة في مصر بدءاً من زمن الرسول ﷺ وحتى نهاية خلافة الفاروق عمر - رضي الله عنه - وخرجت من تلك الدراسة بنتيجة مفادها : أن الدعاة إلى الله عليهم معرفة سيرة الرسول ﷺ ، وأصحابه ، ومعرفة هديهم في دعوتهم

معرفة يصاحبها التفكير ، والمقارنة ليقفوا على المنهج الأمثل للدعوة الإسلامية .

ج - قمت في الفصل الثالث بعرض ومعالجة مايتعلق بالعقبات التي واجهها الدعاة إلى الله - فترة موضوع البحث - سواء كانت العقبات حسية ، أم معنوية ، وفصّلت بالقول في طرق اجتياز الدعاة لتلك العقبات وخرجت من تلك الدراسة بأن طريق الدعاة إلى الله غالباً ماتعترضه حواجز وعقبات لكن هناك أمرين أساسيين تتحطم أمامهما كل العقبات : الإيمان الخالص ، والعزيمة الصادقة .

د - خصصت الفصل الرابع لعرض وسائل الدعوة ، وبينت أن الوسائل هي الوعاء الذي به وعن طريقه ينقل الخير للغير ، وانتهيت في عرض الوسائل إلى أن الدعاة عليهم أن لا يهملوا كل وسيلة مباحة متاحة في سبيل إيصال الحق للآخرين ، وانتهيت - أيضاً - إلى أن استخدام وسيلة السيف لم يكن الأداة الوحيدة في نشر الدعوة - كما يدعيه بعض المستشرقين - إنما هو ضرورة لاقتلاع جنود الباطل ، وتمكين الحق وكلمته أن تصل للناس .

هـ - تناولت في الفصل الخامس الأساليب الدعوية وقمت بتأصيلها من الكتاب والسنة ومن واقع الدعاة المسلمين في مصر وانتهيت إلى أن أساليب الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والقُدوة ، كان لهما الأثر الكبير - بعد فضل الله - في دخول الناس في دين الله أفواجا - فترة موضوع البحث - .

و - خصصت الفصل السادس للكتابة عن عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت ، وانتهيت من دراستي لها أن نجاح

الدعوة الإسلامية في مصر جاء بفضل الله أولاً ، ثم باكتمال الأسباب التي أدت إلى النجاح ، وتعاون الدعاة المسلمين بدءاً من الخليفة وحتى أصغر داعية في صفوف المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى تحقيق الأهداف ، وسرعة انتشار الدعوة، وقوة تأثيرها .

ز - ثم جاء الفصل الأخير تقويمياً ؛ إذ عرضت فيه الآثار الإيجابية للجهود الدعوية ثم عرضت فيه أبرز الشبه التي تثار في طريق الدعاة إلى الله ، وكذا التهم الباطلة الموجهة إليهم وفندتها بالحجة ومن تلك الشبه اتهام الدعاة في أهدافهم ، والتهوين من شأن انتصاراتهم ، واتهام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بأنه سيء الظن بولاته وكذا اتهام عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الإسكندرية .

وكل هذه الشبه فنندتها بالحجة والبرهان ، وخرجت من تلك الدراسة التقويمية بأن الإسلام دين حق ، وبأنه مهما أثرت الشبه في موضوعه وألصقت التهم بدعائه فلن يؤثر شيء من ذلك في بقائه وظهوره على الأديان كلها ، فهو دين صالح لكل زمان ومكان، والشمس لا يمكن أن تحجب بغريال مهما جند دعاة الباطل أقلامهم للنيل منه أو صدّ الناس عنه .

ثانياً : التوصيات :

يوصي الباحث بما يلي : -

أ - يدعو الباحث كليات الدعوة وأقسامها على مستوى الجامعات الإسلامية إلى الارتباط الوثيق فيما بينها لتأهيل دعاة ينقلون الإسلام قولاً وعملاً ، على أن يقتفوا في ذلك خطى السلف الصالح في توضيح الإسلام .

ب - بما أن موضوع البحث يتعلق بمصر فإن الباحث يدعو المؤسسات الدينية في مصر وعلى رأسها جامعة الأزهر بمواصلة السير في خدمة الدعوة الإسلامية والنهوض بها كما جاء في القرآن والسنة، وأن يُهتم بدعوة النصارى الموجودين في مصر بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والقُدوة الصالحة ، ونقل الصورة الحسنة والوجه المشرق للإسلام ودعاته ، ودحض الافتراءات على الإسلام بالتطبيق الفعلي والالتزام العملي للإسلام . . عقيدة وشريعة .

ج - يدعو الباحث طلاب كليات الدعوة إلى الاهتمام بتاريخ الدعوة، وإظهار جهود الدعاة المسلمين على مدار العصور والقرون السالفة، ودراسة كتب التاريخ دراسة دعوية للوقوف والاعتبار ، وليست للسرد ونقل الأحداث .

د - يوصي الباحث بضرورة اهتمام طلاب كليات الدعوة مستقبلاً بدراسة الشبهات العدائية التي تجد وتستحدث في الساحة ، وتستهدف الدعوة والدعاة ، بأسلوب علمي بالحجة القاطعة ، لأن العوام يُضللون بتلك الشبهات إذا لم يتصد لها من يقضي عليها في مهدها .

وأخيراً يرى الباحث أن هذا الموضوع وغيره من بحوث تاريخ الدعوة شيءٌ جدير بالاهتمام لما يزخر به من أحداث جسام ، ولما يمتليء به من دروس وعبر كفيلة بتثبيت أقدام الدعاة في الوقت المعاصر .
والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهارس

فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
	« سورة البقرة »
٦٧	﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ... ﴾ .
١٦٦	﴿ ولكم في القصاص حياة ... ﴾ .
١٠٤	﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... ﴾ .
١٨٨	﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ... ﴾ .
٤٧	﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة ... ﴾ .
٥٧	﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ... ﴾ .
٢٢٤-١٦٨	﴿ لا إكراه في الدين ... ﴾ .
١٢٨	﴿ إذ تبرأ الذين أتبعوا من الذين أتبعو ... ﴾ .
١٦٠	﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه ... ﴾ .
	« سورة آل عمران »
٩٥-٢٧-٢١	﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ... ﴾ .
١٠٧	﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ... ﴾ .
١٣٨	﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ... ﴾ .
٦٤	﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله ... ﴾ .
٦٥	﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا ... ﴾ .
١٨٥	﴿ فبما رحمت من الله لنت لهم ... ﴾ .
	« سورة النساء »
٢٣	﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ... ﴾ .
٩٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ... ﴾ .

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
٤٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا خنوا حذرکم ... ﴾ .
١٨٩	﴿ ومن یقاتل فی سبیل اللہ فیقتل ... ﴾ .
٥٨	﴿ ولا تهنوا فی ابتغاء القوم ... ﴾ .
٣٢	﴿ رسلا مبشرین ومنذرين ... ﴾ .
١٧٣	﴿ یا أهل الكتاب لاتغفلوا فی دینکم ... ﴾ . « سورة المائدة »
١٠٧	﴿ .. اليوم أكملت لكم دینکم ... ﴾ .
١٧٤	﴿ یا أهل الكتاب قد جاءکم رسولنا ... ﴾ .
١٧٤	﴿ قد جاءکم من اللّٰه نور وكتاب مبين ... ﴾ .
١٧٤	﴿ لقد کفر الذين قالوا إن اللّٰه هو المسيح ... ﴾ .
١٧٤	﴿ لقد کفر الذين قالوا إن اللّٰه ثالث ثلاثة ... ﴾ .
٨٠	﴿ .. ماعلى الرسول إلا البلاغ ... ﴾ . « سورة الأنعام »
١٢٨	﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ... ﴾ .
٣١	﴿ قل إن صلاتي ونسکي ومحیای ... ﴾ . « سورة الاعراف »
١٢٥	﴿ وادعوه خوفا وطمعا ... ﴾ .
٨٠	﴿ یا بني آدم إما یأتینکم ... ﴾ .
١٠٧	﴿ قل یا أيها الناس إنی رسول ... ﴾ .
٨٥	﴿ وإن قالت أمة منهم لم تغطون ... ﴾ .

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
	« سورة الأنفال »
١٠١	﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ... ﴾
٢٥٥	﴿ فإن يكن منكم مائة صابرة ... ﴾
	« سورة التوبة »
١١٥	﴿ إنما يعمر مساجد الله ... ﴾
١٠٥	﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... ﴾
٢٧	﴿ اتخذوا أحيارهم وريهانهم ... ﴾
١١٤-١٠٧	﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ... ﴾
١٨٩-١٠٥	﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا ... ﴾
١١٠	﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ... ﴾
١١١	﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ... ﴾
١١٠-٨٧-٧٧	﴿ إن الله اشترى من المؤمنين ... ﴾
	« سورة يوسف »
أ	﴿ قل هذه سبيلي ... ﴾
	« سورة الرعد »
أ	﴿ له دعوة الحق ... ﴾
١٢٦	﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ... ﴾
	« سورة إبراهيم »
١٦٩	﴿ الر - كتاب ... ﴾
١٢٦	﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
	« سورة الحجر »
١ - ١٩٣	﴿ فاصدع بما تؤمر ... ﴾ .
	« سورة النحل »
١٢٧	﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ... ﴾ .
٢٠٩	﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان ... ﴾ .
١٤٢-١٤٠-١٢٤-٢٥	﴿ ادع إلى سبيل ربك ... ﴾ .
	« سورة الإسراء »
١٨١	﴿ وأوفوا بالعهد ... ﴾ .
١٧٦	﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ... ﴾ .
	« سورة طه »
٢٥	﴿ فقولاً له قولاً لنا ... ﴾ .
١٣٤	﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ... ﴾ .
	« سورة الأنبياء »
١٩١-١٩٠	﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده ... ﴾ .
	« سورة النور »
١١٦	﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ... ﴾ .
١٢٧	﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ... ﴾ .
	« سورة الفرقان »
١٢٧	﴿ بل كذبوا بالساعة ... ﴾ .
	« سورة الشعراء »
٢٠٤	﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك ... ﴾ .

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
١٨٠	﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ... ﴾ . « سورة العنكبوت »
٢٥	﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب ... ﴾ .
١٢٧	﴿ يستعجلونك بالعذاب ... ﴾ . « سورة الروم »
٣	﴿ ألم . غلبت الروم . في ... ﴾ . « سورة لقمان »
١٤٠	﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ... ﴾ . « سورة الأحزاب »
١٥٠	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... ﴾ .
١٩٨-١٩١-١١٠-١٠١	﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... ﴾ . « سورة فاطر »
٢٢٨	﴿ أفمن زين له سوء عمله ... ﴾ . « سورة يس »
١٢٦	﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ... ﴾ . « سورة ص »
١٢٦	﴿ هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مئاب ... ﴾ . « سورة الزمر »
١٢٦	﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم ... ﴾ .

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
	« سورة غافر »
١٢٨	﴿ النار يعرضون عليها غثوا وعشياً ... ﴾ .
٢٦٢	﴿ إنا لننصر رسلنا ... ﴾ .
	« سورة فصلت »
١٥٠-٣٧	﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ... ﴾ .
١٢٤	﴿ وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل ... ﴾ .
	« سورة محمد »
١٦٠	﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ .
١٨٩	﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ... ﴾ .
	« سورة الفتح »
١٩٣	﴿ ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك ... ﴾ .
١٠٧	﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ... ﴾ .
١٩١	﴿ محمد رسول الله ... ﴾ .
	« سورة الحجرات »
٩١	﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... ﴾ .
	« سورة ق »
١٢٧	﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .. ﴾ .
	« سورة الحشر »
١١٣	﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ... ﴾ .
	« سورة الممتحنة »
٢٣٥	﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم ... ﴾ .

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية
	« سورة الصف »
١٤٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
١١٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ... ﴾ .
١٢٨	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾ .
١٧٧	﴿ يَرِيدُونَ لِيطْفئُوا نِورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ ... ﴾ .
	« سورة الطلاق »
١٧٠	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ .
	« سورة نوح »
٢١٨-١٢٠	﴿ وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتَهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ... ﴾ .
	« سورة المدثر »
أ	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ ... ﴾ .
	« سورة عبس »
١٦٩	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ ... ﴾ .
	« سورة الزلزلة »
١٦٥	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... ﴾ .
	« سورة القارعة »
١٨٦	﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ... ﴾ .

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٣٨	« أتعبه لأمك .. »
١٠٧	« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي .. »
١٩٣	« أفلا أكون عبداً شكوراً .. »
١٤٦	« اذهبوا فأنتم الطلقاء .. »
١٥١-١٥٠	« ألا تحذيني عن مرض رسول الله .. »
١٤١	« اللهم علمه الحكمة .. »
١٥٢	« أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق .. »
١٢٩	« أنا عند ظن عبدي بي .. »
١٣٨	« إن أحب أموالي إلي بيرحاء .. »
١١٢	« إن بالمدينة لرجالاً .. »
٩٤	« إن رسول الله ﷺ بعث بكتابه .. »
٨١	« إنك ستأتي قوماً .. »
١٣٠	« إن الله يقول لأهل الجنة .. »
١٧	« إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها .. »
١٧	« إنكم ستفتحون مصر .. »
١٦٥	« إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف .. »
١٦١	« أن تؤمن بالله وملائكته .. »
٢٣٥	« إنه شهد بديراً .. »
٢١٤	« إنما أهلك الذين من قبلكم .. »
١٣٢	« إن هذه الأمة تبلى في قبورها .. »
١١١	« اهجم أوهاجم .. »
١٦٣	« بني الإسلام على خمس .. »
٨٠	« جرح وجه رسول الله ﷺ .. »
١٠٦	« دلني على عمل يعدل الجهاد .. »
١٠٥	« سألت رسول الله ﷺ .. »

١٤٤	« فوالله إن محمداً ليعطي عطاء .. »
١٣٤ - ٣٣	« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً .. »
١٣٧	« قوموا إلى جنة عرضها السموات .. »
١٩٣	« لقد لقيت من قومك .. »
١١٧	« ما بال أقوام .. »
١٣٠	« المسلم إذا سنل في القبر .. »
١٦	« من بنى مسجداً .. »
٣٣	« من دعى إلى هدى .. »
٢٥١	« من قاتل لتكون كلمة الله .. »
٩٥	« من محمد عبد الله ورسوله .. »
١٢٩	« من نفس عن مؤمن كربة .. »
١١٣	« المؤمن للمؤمن .. »
٣٣	« ليبلغ الشاهد الغائب .. »
١٤٣	« لاتزرموه ، دعوه .. »
١٤٢	« لاتغضب .. »
٢٣٤	« لاتقطع الأيدي في السفر .. »
١٤١	« لاحسد إلا في اثنتين .. »
١٦٥	« لاضرر ولاضرار .. »
١٤٥	« لايحدث الناس أن محمداً يقتل .. »
١٣١	« ناركم هذه التي يوقد ابن آدم .. »
٦٣	« يا أبا ذر إنك ضعيف .. »
١٨	« يسرا ولا تعسرا .. »
١٣١	« يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار .. »
١٣١	« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام .. »

فهرس الأعلام

- أ -

- إبراهيم أبورافع : ٢٣٢ .
- إبراهيم بن مفلح : ١٠٢ .
- أبو بكر الصديق : ١٦ - ١٠٢ - ١٥٢ - ١٩٤ .
- أبو الدرداء : ١١٩ - ٢٣٦ .
- أبو نذر الغفاري : ١٧ - ١١٩ - ٢٠٣ - ٢٣٧ .
- أبو سعيد الخدري : ١٣٠ - ١٦٥ .
- أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٦٢ .
- أبو مسلم الغافقي : ١١٩ .
- أبو موسى الأشعري : ٢٥١ .
- أبو هريرة : ٣٣ - ١٠٦ - ١١٠ .
- أحمد بن حجر العسقلاني : ١٠٦ .
- أحمد بن محمد المقرئ : ١٣٩ .
- أسامة بن زيد : ١٩٥ .
- إسماعيل بن كثير القرشي : ١٢٥ .
- الفرد بتلر : ٩ - ١٣ - ٣٧ - ٦٧ - ٧١ - ٧٢ - ٢٠٨ - ٢٢٥ - ٢٢٨ -
- ٢٣ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ .
- أنس بن مالك : ١٣١ - ١٤٣ - ٢١٢ .
- ب -
- البراء بن عازب : ١١١ - ١٣٠ .
- برح بن عسكر : ٢٣٣ .
- بسر بن أرطأة : ٢٣٤ .
- ت -
- تايلور : ١٠ .
- توماس آرنولد : ١٠ - ١١ - ٢٠٥ - ٢٢٣ - ٢٢٧ - ٢٥٢ .

- ٢٨٩ -

- ج -

- جابر بن عبدالله : ١٠٧ .

- جمال الدين الأنصاري : ١٣٩ .

- ح -

- حاطب بن أبي بلتعة : ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ -

٨٢ - ٨٣ - ١٣٥ - ١٤٧ - ٢٣٤ .

- حذيفة بن اليمان : ٦٢ .

- حسان بن ثابت : ٢٣ - ١١١ .

- حنا الأجرومي : ١٤٩ .

- حنا النقويسي : ٧٢ - ٢٥٩ .

- خ -

- خارجة بن حذافة : ٢٣٦ .

- خالد بن الوليد : ٦٢ .

- د -

- دحية الكلبي : ٨٢ .

- ر -

- ربعي بن عامر : ١٧٠ .

- ربيعة بن شرحبيل بن حسنة : ٢٣٨ .

- ز -

- الزبير بن العوام : ٤٢ - ٤٣ - ٥٣ - ٧٤ - ١١٠ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٥٥ -

١٩٨ -

- س -

- ساويرس الأشمونيني : ٢٠٨ .

- سعد بن أبي وقاص : ٦١ .

- سعيد بن المسيب : ٩٤ .

- سهل بن سعد : ٣٣ - ٨٠ .

- ٢٩. -

- سيد قطب : ١٠١ - ١٠٨ - ١٦٦ - ١٨٩ - ١٩٢ - ٢٥٤ .

- سيرين القبطية : ٢٣ .

- ش -

- شمس الدين السرخسي : ١٠٣ .

- ع -

- عائشة بنت أبي بكر : ١٥٠ - ١٩٣ .

- عبادة بن الصامت : ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ -

- ٨٣ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ١١١ - ١١٩ - ١٢١ -

١٣٦ - ١٥٤ - ١٩٨ - ٢٣٩ - ٢٥٢ .

- عبدالرحمن بن أبي بكره : ٣٣ .

- عبدالرحمن بن حسان بن ثابت : ٢٣ .

- عبدالرحمن بن شماسه المهري : ١٧ .

- عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم : ٥١ - ٧٥ - ١١٨ - ١١٩ .

- عبدالرحمن بن ناصر السعدي : ١٤٠ - ١٤١ .

- عبدالكريم زيدان : ١٠٦ .

- عبداللطيف البغدادي : ٢٤٩ .

- عبدالله بن أبي سرح : ٢٤٠ .

- عبدالله بن أم مكتوم : ١٦٩ .

- عبدالله بن حذافة السهمي : ٨٢ - ١١٠ - ٢٣٩ .

- عبدالله بن قدامة : ١٠٣ .

- عبدالله بن عباس : ٩٤ - ١٤١ .

- عبدالله بن عمر : ١٦٣ .


- عبدالله بن عمرو بن العاص : ٢٤١ .

- عبدالله بن مسعود : ١٠٥ - ١٣١ - ١٩٥ .

- عبدالوهاب عزام : ٤ .

- عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : ٩٤ .

- ٢٩١ -

- عثمان بن عفان : ٣٥ .
- عثمان بن قيس : ٩٧ .
- عقبة بن عامر الجهني : ٨٣ - ٢٠٣ .
- علي بن أبي طالب : ٨٠ - ٨٨ - ٢٠٣ .
- عمر بن الخطاب : ٨ - ١٦ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٤٠ - ٥٥ - ٥٩ - ٧٠ -
- ٩٦ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٨ - ١٤٦ - ١٥٢ -
- ١٦١ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٩٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٤٨ -
- ٢٤٩ - ٢٥٦ - ٢٥٧ .
- عمر بن عبدالعزيز : ٢٢٦ .
- عمرو بن أمية الضمري : ٨٢ .
- عمرو بن بحر الجاحظ : ٢٦ .
- عمرو بن العاص : ٧ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ -
- ٤٥ - ٥٤ - ٥٩ - ٦٤ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٤ -
- ٧٧ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٧ - ٩٩ -
- ١٠٠ - ١١٠ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٣٥ - ١٣٦ -
- ١٤٧ - ١٨٢ - ١٩٧ - ٢١٢ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٤٩ .
- غ -
- غوستاف لويون : ١٤ - ٥٦ - ١٠١ - ١٦١ - ١٧٥ - ٢٢٣ - ٢٢٧ -
- ٢٦٢ .
- ف -
- فاطمة بنت محمد -  - : ٨٠ - ٢١٤ .
- ق -
- قبرس : ٦ .
- قيس السهمي : ٢٤٣ .
- ك -
- كعب بن يسار العبسي : ٩٧ .

- ٢٩٢ -

- م -

- مارية القبطية : ٢٣ .
- مسلم بن الحجاج : ١٥٩ .
- مسلمة بن مخلد : ٢٠٣ .
- معاوية بن حديج : ٥٥ - ٨٤ .
- المقداد بن الأسود : ١١٩ .
- المقوقس : ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ -
- ٣٠ - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ -
- ٥٠ - ٥٢ - ٥٢ - ٦٤ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ -
- ٧٤ - ٧٦ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ -
- ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٦ - ١٠٢ - ١١١ - ١٢١ -
- ١٢٢ - ١٣٣ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ -
- ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦١ - ١٧٩ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٩٦ -
- ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٧ - ٢١٥ - ٢١٦ .
- محمد أبوزهرة : ١٧٥ .
- محمد بن أحمد القرطبي : ٢٧ .
- محمد الأمين الشنقيطي : ١١٢ .
- محمد بن جرير الطبري : ٥٢ .
- محمد بن سعد : ٨١ .
- محمد بن عابدين : ١٣ .
- محمد بن عمرو بن العاص : ١٠٠ .
- محمد قطب : ١٣ - ٥٦ .
- محمد هيكل : ٦٨ .
- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : ١٣٩ .
- ه -
- هرقل : ٨ - ٦٨ - ٧٢ - ٩٦ .
- ي -
- يوسف القرضاوي : ١٦١ - ١٧٣ .
- يوسف بن عبدالله بن عبدالبر : ١٠٤ .

فهرس الأماكن والبلدان

- أحد : ٨٠ - ١٩٣ .
- الإسكندرية : ٦ - ١ - ٢٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٨٢ - ٨٤ - ١١٨ -
١٢١ .
- أم دنين : ٣٩ - ٤١ - ٦٨ .
- بابليون : ٤١ - ٤٢ - ٦٨ - ٧٢ - ١٩٨ - ٢٢٢ .
- بدر : ٣٦ - ١٣٧ .
- البحرين : ٩٤ - ٢٥٣ .
- بلبس : ٣٩ - ٧٠ .
- بور سعيد : ٣٨ .
- بيت المقدس : ٣٤ - ٣٥ - ٥٩ - ٦١ .
- ترنوط : ٥٤ .
- تنيس : ١١٩ .
- الحبشة : ٨٢ .
- الحديبية : ٢٠ - ٨١ .
- دمياط : ١١٩ .
- رفح : ٣٦ - ٣٧ .
- روما : ١٢ - ٢٢٠ .
- سلطيس : ٥٤ .
- الشام : ٣٢ - ١١٩ - ١٨٠ - ٢١٧ - ٢٣٨ - ٢٤١ - ٢٥٣ .
- الشرقية : ٣٠ .
- صفين : ٢٤١ .
- العراق : ٢١٧ - ٢٣٨ .
- عسقلان : ٢٤١ .
- العريش : ٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - ٦٧ .

- عين شمس : ٤١ .
- فارس : ٢١٧ .
- الفرما : ٦ - ٣٨ - ٦٧ - ٢٥٤ .
- القسطاط : ١١٨ .
- فلسطين : ٣٤ .
- قرن الثعالب : ١٩٤ .
- القسطنطينية : ٢٢٣ .
- قيسارية : ٦١ .
- الكريون : ٥٤ - ١٧٩ .
- كوم شريك : ٥٤ .
- المدينة المنورة : ٣٠ - ٣٥ - ٨١ - ١١٢ - ١٤٥ - ٢٣٤ .
- مصر : ٢ - ٣ - ٨ - ٩ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ -
- ٤٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٩ - ٦٦ - ٧٣ - ٨٣ - ٩٧ -
- ١١٤ - ١٦١ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١٥ - ٢١٧ -
- ٢٢٠ - ٢٢٨ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٥٣ .
- المقطم : ٢٤٣ .
- مكة المكرمة : ٣ .
- اليرموك : ٢٤١ .
- اليمامة : ٢٥٢ .
- اليمن : ١٨ .

المصادر والمراجع

- ١ - الإسلام والثقافة العربية في افريقيا : حسن أحمد محمود ، دار الفكر ، مصر ، الطبعة الثانية ، بدون .
- ٢ - اسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير ، دار الفكر ، ١٩٧٠م .
- ٣ - الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٤ - اصول الدعوة : عبدالكريم زيدان ، دار عمر بن الخطاب ، مصر ، الإسكندرية ، بدون .
- ٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ط / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٦ - الإيضاح لقوانين الإصطلاح : يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي ، ت : فهد السدحان ، ط / مكتبة العبيكان ، ١٤١٢هـ ، الرياض ، الطبعة الأولى .
- ٧ - بدائع الصنائع : الكاساني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .
- ٨ - البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، تدقيق وتحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٩ - البيان والتبيين : الجاحظ ، ت : عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، بدون .
- ١٠ - تاج العروس : الزبيدي ، ط / دار العلم للملايين ، بيروت ، بدون .

- ١١- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي : د . السيد عبدالعزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢م .
- ١٢- تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٩م .
- ١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : عمر عبدالسلام ، دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- ١٤- تاريخ خليفة بن خياط : د . أكرم ضياء العمري ، دار طبية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .
- ١٥- تاريخ الخلفاء : للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- ١٦- تاريخ الدعوة : جمعة الخولي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
- ١٧- تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار سويدان ، بيروت ، بدون .
- ١٨- تذكرة الدعاة : البهي الخولي ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، بدون .
- ١٩- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : محمد الغزالي ، دار البيان ، الكويت ، بدون .
- ٢٠- تفسير آيات الأحكام : مناع القطان ، ط/ مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .
- ٢١- تفسير القرآن العظيم : عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي ، دار الفكر ، بدون .

- ٢٢- تيسير الكريم الرحمن : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ت :
محمد النجار ، ط / الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء ، الرياض ١٤١٠هـ -
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتاب
العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .
- ٢٤- جاهلية القرن العشرين : محمد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٥- حاشية ابن عابدين : رد المحتار على الدر المختار ، ط / دار
إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٦- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : الحافظ جلال الدين
عبدالرحمن السيوطي ، ت : محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي .
- ٢٧- حضارة الإسلام في وادي النيل : عبدالعليم خضر ، عالم
المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
- ٢٨- حضارة العرب : غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، ط/
عيسى البابي الحلبي ، بدون .
- ٢٩- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى : سعد بن علي بن وهف
القحطاني ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .
- ٣٠- الخصائص العامة للإسلام : يوسف القرضاوي ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٩هـ .
- ٣١- خطط المقرئزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر
المقرئزي ، دار التحرير للطباعة والنشر ، عن طبعة
بولاق ، ١٢٧٠هـ .
- ٣٢- دراسات إسلامية : سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٦هـ .
- ٣٣- دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي : محمود
متولي ، دار الثقافة ، مصر ، الطبعة الأولى ،
١٩٨٥م .

- ٣٤- الدعوة الإسلامية أصولها ومبادئها : أحمد غلوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون .
- ٣٥- الدعوة الإسلامية في عهدنا المدني منهاجها وغاياتها : رؤوف شلبي ، دارالقلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- ٣٦- الدعوة إلى الإسلام : أبو بكر زكري ، دار الحضارة العربية ، مصر ، ١٩٧٧م .
- ٣٧- الدعوة إلى الله تعالى ، خصائصها ، مقوماتها ، منهاجها : أبو المجد نوفل ، الحضارة العربية ، مصر ، ١٩٧٧م .
- ٣٨- الرسائل النبوية : علي السبكي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م .
- ٣٩- رسالة المسجد في الإسلام : عبدالعزيز محمد اللميلم ، الطبعة الأولى ، بدون .
- ٤٠- زاد المعاد : ابن القيم ، ت : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ومكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٤١- سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي ، ت : أحمد شاکر ، ط / البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .
- ٤٢- سير اعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ط / مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .
- ٤٣- السيرة النبوية : ابن هشام ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون .
- ٤٤- شرح صحيح مسلم : النووي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .
- ٤٥- صبح الأعشى : لأبي العباس أحمد القلقشندي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، بدون .

- ٤٦- صحيح البخاري : دار الطباعة ، استانبول ، بدون .
وط / دار الفكر ، بيروت ، بدون .
- ٤٧- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، عيسى البابي الحلبي ،
بدون .
وط / دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ .
- ٤٨- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد ، دار صادر ، بيروت ،
بدون .
- ٤٩- ضد الإسلام : أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة
الأولى ، بدون .
- ٥٠- عمرو بن العاص بين يدي التاريخ : عبدالخالق أبو رابية ،
الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- ٥١- عمرو بن الخطاب : علي الخطيب ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٦هـ .
- ٥٢- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي : يوسف القرضاوي ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .
- ٥٣- الفاروق عمر : محمد حسين هيكل ، مكتبة النهضة المصرية ،
١٩٦٣م .
- ٥٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني ، ت : محمد عبد الباقي ، محب الخطيب ،
المطبعة السلفية ، بدون .
- ٥٥- الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد
عبدالرحمن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة ، بدون .
- ٥٦- فتح العرب لهصر : الفرد بنتر ، ترجمة : محمد أبو حديد ، ط/
مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ .
- ٥٧- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ .

- ٥٨- فتوح البلدان : أحمد بن يحيى البلاذري : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .
- ٥٩- فتوح مصر والمغرب : عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، لجنة البيان العربي ، ١٩٦١م .
- ٦٠- فتوح مصر واخبارها : عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، ت : محمد صبيح ، مؤسسة دار التعاون ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
- ٦١- فجر الإسلام : أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٦ ، ١٣٧٠هـ .
- ٦٢- الفصحى لغة القرآن : أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون .
- ٦٣- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ .
- ٦٤- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، بدون .
- ٦٥- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي : يوسف بن عبدالله بن عبدالبر ، ت : محمد أحمد أحمد ، ط / مكتبة الرياض الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .
- ٦٦- كيف ندعوا الناس : عبدالبدیع صقر ، ط / الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ .
- ٦٧- لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، ط / بولاق - مصر ، بدون .
- ٦٨- المبسوط : شمس الدين السرخسي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، بدون .
- ٦٩- محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، الرياض ١٤٠٤هـ .

- ٧٠- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري : شكري فيصل ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ،
١٩٨١م .
- ٧١- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة :
محمد حميد الله ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٥ ،
١٤٠٥هـ .
- ٧٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام : أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب
عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ،
الرباط ، المغرب .
- ٧٣- المرأة المسلمة المعاصرة - إعدادها ومسئوليتها في الدعوة :
د/أحمد بن محمد أبابطين ، دار عالم الكتب للطباعة
والنشر ، الرياض ١٤١٢هـ ، الطبعة الثانية .
- ٧٤- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : د / سعاد ماهر ، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، ١٩٧١م ، بدون .
- ٧٥- المسلمون في تاريخ الحضارة : ستانودك ، ترجمة : د .
محمد فتحي عثمان .
- ٧٦- المسيحية نشأتها وتطورها : شارل جنيبير ، ط / المكتبة
العصرية ، صيدا ، بيروت ، بدون .
- ٧٧- المصباح المنير : أحمد الفيومي ، ت : مصطفى السقا ، ط /
الخطبي ، مصر ، بدون .
- ٧٨- مصر في فجر الإسلام : سيده إسماعيل الكاشف ، دار
الطلّاع ، مصر ، ١٩٨٧م .
- ٧٩- مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي : ايدرس بل ،
ترجمة : عبداللطيف أحمد ، دار النهضة العربية ،
بيروت ، ١٩٧٣م .

- ٨٠- معجم الأخطاء الشائعة : محمد العدناني ، مكتبة لبنان ، بيروت ،
الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م .
- ٨١- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار صادر ، دار بيروت ،
١٤٠٤ هـ .
- ٨٢- المعجم المنفرد للفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ،
ط / الشعب ١٣٧٨ هـ .
- ٨٣- المعجم الوسيط : دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،
١٩٨٠ م .
- ٨٤- المعوقون للدعوة في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم : د/
سميره جمجوم ، ط / دار المجتمع للنشر والتوزيع ،
جدة ، ١٤٠٧ هـ .
- ٨٥- المغنبي : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة ، مكتبة الرياض
الحديثة ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .
- ٨٦- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني .
- ٨٧- منهج الفن الإسلامي : محمد قطب ، دار الشروق ، (بيروت)
١٤٠١ هـ .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	المقدمة
	التمهيد
	الفصل الأول : الأحوال السائدة في مصر قبل الفتح الإسلامي
١
٣	المبحث الأول : الأحوال الدينية
٣	الفترات التاريخية التي مرت بها مصر قبل الإسلام .
٤	ديانة المصريين قبل بدء الدعوة الإسلامية في مصر .
٥	الخلافت المذهبية
٦	أثر الاختلاف المذهبي
٩	المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية
٩	الطبقات الاجتماعية الموجودة في ذلك الوقت
٩	أثر الخلاف الديني على العلاقات الاجتماعية
١٢	المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية
١٢	سبب تدهور الحالة الاقتصادية في مصر
١٤	أثر التدهور الاقتصادي على أهل مصر
١٥	الفصل الثاني : سير الدعوة
١٦	تمهيد
١٧	المبحث الأول : الدعوة في عهد النبي ﷺ
١٧	المطلب الأول : فضل مصر كما ورد في النصوص .
١٨	الوقفات الدعوية من خلال النصوص
٢٠	المطلب الثاني : دعوة النبي ﷺ لأهل مصر

٢٠	رسالة النبي ﷺ إلى [المقوقس]
٢١	حوار [المقوقس] مع حاطب بن أبي بلتعة .
٢١	أثر الرسالة والحوار على [المقوقس]
٢٢	جواب [المقوقس] إلى النبي ﷺ
٢٣	موقف الرسول ﷺ من هدية [المقوقس] ..
٢٣	أسئلة من نوع آخر تحملها هدية [المقوقس] .
٢٥	منهج دعوة الرسول ﷺ لأهل مصر
٣٠	المبحث الثاني : دعوة أهل مصر في خلافة الصديق ...
	المبحث الثالث : دعوة أهل مصر في خلافة عمر رضي الله
٣٢	عنه
٣٢	الأسباب التي دعت إلى فتح مصر
	اختلاف المؤرخين في عرض موافقة عمر على المسير
٣٤	لمصر
٣٤	الرأي الراجح وأسباب الترجيح
٣٦	وصول كتاب الفاروق إلى عمرو بن العاص
٣٧	طلائع الدعاة تسير إلى مصر
٣٨	وصول الأنبياء إلى [المقوقس] بتحريك المسلمين ...
٣٨	سير الدعاة إلى الفرما
٣٩	أثر فتح الفرما على الدعاة المسلمين
٣٩	سير الدعاة إلى [بلبيس]
٤٠	وصول المدد
٤١	مواجهة عين شمس
٤٢	سير الدعاة إلى حصن بابلين
٤٢	شجرة الدعوة تسقى الدماء
٤٣	ما الذي وراء الانتصار العظيم؟
٤٣	رسل [المقوقس] إلى عمرو

٤٣	تأخر الرد.....
٤٤	رد يحمل أكثر من رسالة.....
٤٤	أثر الرد على [المقوقس].....
٤٥	كلمة حق قالها [المقوقس].....
٤٥	المقوقس يفتنم المفاوضة.....
٤٥	هدف الدعاة نشر الإسلام وليس الاعتداء.....
٤٦	حوار [المقوقس] مع عبادة بن الصامت.....
٤٩	تيقن [المقوقس] بنصر المسلمين.....
٥٠	الإذعان لمطالب المسلمين.....
٥١	لماذا رضي المسلمون بالصلح مع أنهم منتصرون؟
٥١	والصلح خير للدعوة.....
٥١	تسامح ما أعظمه مع مطالب [المقوقس].....
٥٢	العهد الذي تم بين عمرو بن العاص وأهل مصر.....
٥٣	سير الدعاة إلى مصر السفلى.....
٥٤	السير إلى الاسكندرية.....
٥٥	بشارة الفتح إلى القائد الحقيقي للمعركة.....
٥٥	تعقيب.....
٥٧	الفصل الثالث : [العقبات المواجهة للدعوة فترة البحث]
٥٦	نهيد.....
	المبحث الأول : عدم استقرار المسلمين بعد فتح بيت المقدس.....
٥٩	أسباب جعلت العقبة تشتد في طريق المسلمين.....
٦٠	كيفية اجتياز الدعاة المسلمين للعقبة.....
٦٦	المبحث الثاني : موقف أهل مصر من الدعوة الإسلامية.....
٦٦	موقف الروميين.....

٦٧	الوسائل والأساليب التي اتخذها الروميون
٧١	موقف الأقباط
٧٣	كيفية اجتياز العقبة
٧٣	مواجهة المسلمين للوسائل والأساليب التي اتخذها الروميون
٧٨	الفصل الرابع : وسائل الدعوة وميادينها
٧٩	تمهيد
٨٠	المبحث الأول : الوسائل
٨٠	المطلب الأول : إرسال الرسل
٨١	الرسول ﷺ يرسل الرسل للدعوة إلى الله تعالى
٨٢	سمات الرسل المكلفين بحمل رسائل الدعوة .
٨٣	الرسل الذين أرسلوا إلى مصر
٨٤	الأهداف التي من أجلها أرسل الرسل عند فتح مصر
٨٦	رسل [المقوقس] إلى عمرو وكيفية تسخير الداعية رسل الأعداء لصالح الدعوة
٨٦	الوضوح في مطالب الدعاة المسلمين
٨٧	نقل رسل [المقوقس] لحال الدعاة المسلمين . الاستنباطات الدعوية من الحوار الذي تم بين رسول عمرو وبين [المقوقس]
٩٤	المطلب الثاني : الرسائل
٩٤	رسالة النبي ﷺ إلى كسرى
٩٤	جواب كسرى إلى رسول الله ﷺ
٩٥	رسالة النبي ﷺ إلى [هرقل]

٩٥	الرسائل التي استخدمت وسائل الدعوة الإسلامية في مصر
	أولاً : رسائل الحكام المسلمين وتشمل :
	أ - رسائل الحكام المسلمين لغير المسلمين وهدفها
٩٦	ب - رسائل الحكام المسلمين للمسلمين وموضوعاتها
٩٦	أ - رسائل من الحاكم إلى القائد .
٩٦	ب - إلى عامة المسلمين وأهدافها .
٩٨	ثانياً : رسائل من القائد المسلم (عمرو بن العاص) وتشمل :
٩٩	أ - رسائل إلى الخليفة عمر وهدفها .
٩٩	ب - رسائل إلى قادة الروم وهدف الرسائل
١٠٠	ثالثاً : رسائل من عامة الناس إلى الحاكم .
١٠٠	المطلب الثالث : الجهاد
١٠١	أولاً : تعريف الجهاد
١٠٢	ثانياً : حكم الجهاد والنصوص الواردة ..
١٠٣	ثالثاً : تحقق عالمية الدعوة الإسلامية
١٠٦	رابعاً : الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ..
١٠٨	خامساً : أنواع الجهاد
١٠٩	سادساً : مرتكز الجهاد
١١٢	سابعاً : موقف أهل مصر من الجهاد
١١٣	ثامناً : أثر الجهاد واعلانه على أهل مصر .
١١٤	المبحث الثاني : الميادين
١١٥	المطلب الأول : المسجد
١١٥	

١١٥	أولاً : المراد بالمسجد
١١٥	ثانياً : مكانة المسجد ووظيفته في الإسلام .
١١٨	ثالثاً : أشهر المساجد في مصر
١١٨	أ - جامع عمرو بن العاص
١١٩	ب - جامع راشد
١١٩	ج - جامع فاتح
	رابعاً : أثر المساجد في انتشار الدعوة
١٢٠	الإسلامية في مصر
١٢١	المطلب الثاني : الميادين العامة
١٢١	أ - أماكن المحاورات والمناظرات
١٢٢	ب - ساحة الجهاد
١٢٣	الفصل الخامس : الأساليب الدعوية
١٢٤	زهيد
١٢٥	المبحث الأول : أسلوب الموعظة الحسنة
١٢٧	الترغيب والترهيب في القرآن الكريم
١٢٨	الترغيب والترهيب في السنة
١٣٣	الترغيب والترهيب في دعوة أهل مصر فترة البحث .
١٣٧	أثر الترغيب والترهيب على الدعوة
١٣٩	المبحث الثاني : الحكمة
١٣٩	مفهوم الحكمة
١٤٠	الحكمة في الكتاب والسنة
١٤١	أصول الحكمة
١٤٢	دوافع الحكمة في الدعوة
١٤٣	صور الحكمة في الدعوة
١٤٥	تجلي الحكمة في دعوة أهل مصر

١٤٧	أثر الحكمة على الدعوة الإسلامية في مصر
١٤٩	المبحث الثالث : القدوة الحسنة
١٤٩	مفهوم القدوة
١٥٠	القدوة من جانب الحكام
١٥٣	القدوة من جانب القادة والعمال
١٥٤	القدوة في سلوك الدعاة المسلمين في مصر
١٥٥	أثر القدوة في الدعوة إلى الله
١٥٧	الفصل السادس : عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في مصر
١٥٨	تمهيد
١٥٩	المبحث الأول : وضوح الإسلام وغموض النصرانية ...
١٦٠	المطلب الأول : وضوح الإسلام
١٦٠	طرق وضوح الإسلام
١٧١	المطلب الثاني : غموض النصرانية
	أوجه الغموض في النصرانية
	المطلب الثالث : أثر وضوح الإسلام على الدعوة
١٧٦	الإسلامية في مصر
١٧٨	المبحث الثاني : الصفات الموجودة
	المطلب الأول : أبرز الصفات التي اتصف بها
١٧٩	الدعاة المسلمون
	المطلب الثاني : أثر تلك الصفات على الدعوة
١٨٤	الإسلامية في مصر
١٨٦	المبحث الثالث : حماس المسلمين واهتمامهم بالدعوة ...
١٨٦	مفهوم التحمس
١٨٨	المطلب الأول : التحمس في القرآن

١٩٣	المطلب الثاني : التحمس والاهتمام بالدعوة في حياة الرسول والصحابة
١٩٧	المطلب الثالث : نماذج من تحمس المسلمين واهتمامهم بالدعوة في مصر
١٩٩	تعقيب
١٩٩	شهادة الأعداء بأثر التحمس في نفوس الدعاة ..
٢٠١	المبحث الرابع : الاختلاط وتعميم اللغة العربية
٢٠٢	المطلب الأول : مرحلتا الاختلاط
٢٠٤	طرق تمكين لغة القرآن ولغة الدعوة
٢٠٤	المطلب الثاني : تعميم اللغة العربية
٢٠٥	هدف الأعداء وحملاتهم ضد اللغة العربية والسبب
٢٠٥	أخطر الحملات التي ظهرت لمحاربة اللغة العربية
٢٠٧	المطلب الثالث : آثار الاختلاط وتعميم اللغة العربية ..
٢٠٨	المبحث الخامس : عدل الحكام
٢٠٩	أولاً : مفهوم العدل
٢١٠	ثانياً : واقعية عدل الإسلام وشموله لأهل مصر ...
٢١٤	ثالثاً : أثر العدل على الدعوة الإسلامية في مصر ..
٢١٥	المبحث السادس : الانتصارات الإسلامية
٢١٥	أولاً : صدى الانتصارات
٢١٨	ثانياً : كيف أصبح الانتصار عاملاً من عوامل نجاح الدعوة
٢٢٠	المبحث السابع : الأحوال السيئة التي كانت عليها البلاد ..
٢٢٠	أولاً : مصر عند بدء الدعوة الإسلامية فيها

٢٢١	ثانياً : التقليل من جهود المسلمين وجعل الحالة السيئة هي عامل النجاح
٢٢٢	ثالثاً : أثر الأحوال السيئة على الدعوة الإسلامية في مصر.....
٢٢٤	المبحث الثامن : الحرية الدينية
٢٢٥	مجالات الحرية الدينية التي تركها الدعاة المسلمون لأهل مصر.....
٢٢٨	أثر ترك الحرية الدينية على الدعوة الإسلامية في مصر.
٢٣١	الفصل السابع : أشهر الدعاة
٢٣٢	زمهيد
٢٣٣	١ - إبراهيم أبورافع
٢٣٣	٢ - برح بن عسكر
٢٣٤	٣ - بسر بن أرطاه
٢٣٤	٤ - حاطب بن أبي بلتعة
٢٣٦	٥ - خارجة بن حذافة
٢٣٦	٦ - أبو الدرداء
٢٣٧	٧ - أبوذر الغفاري
٢٣٨	٨ - ربيعة بن شرحبيل بن حسنة
٢٣٩	٩ - الزبير بن العوام
٢٣٩	١٠ - عبادة بن الصامت
٢٣٩	١١ - عبد الله بن حذافة
٢٤٠	١٢ - عبد الله بن أبي سرح
٢٤١	١٣ - عبد الله بن عمرو بن العاص
٢٤٢	١٤ - عمرو بن العاص
٢٤٣	١٥ - قيس السهمي

٢٤٤	الفصل الثامن : تقويم الجهود الدعوية
٢٤٥ نهيد
٢٤٧	المبحث الأول : الآثار الإيجابية للجهود الدعوية في مصر :
٢٥٧	المبحث الثاني: الشبهات المثارة تجاه جهود الدعاة الأوائل:
	المطلب الأول : الشبهات المثارة تجاه الدعاة فترة
٢٥٧	البحث.....
٢٥٧	١ - هدف المسلمين تحقيق المكاسب المادية
٢٥٨	٢ - التهوين من شأن الانتصارات الإسلامية ...
٢٥٩	٣ - اتهام الخليفة عمر بن الخطاب
٢٦٠	٤ - حريق مكتبة الإسكندرية
٢٦٢	المطلب الثاني : تفنيد الشبهات المثارة تجاه الدعاة الأوائل ...
٢٦٢	١ - رد الشبهة الأولى
٢٦٥	٢ - رد الشبهة الثانية
٢٦٧	٣ - رد الشبهة الثالثة
٢٦٩	٤ - رد الشبهة الرابعة
٢٧٢ تعقيب
٢٧٤ الخاتمة
٢٧٨ - ٣١٢	الفهارس :
٢٧٩ - ٢٨٥ فهرس الآيات
٢٨٧ - ٢٨٦ فهرس الأحاديث
٢٨٨ - ٢٩٢ فهرس الأعلام
٢٩٣ - ٢٩٤ فهرس الأماكن
٢٩٥ - ٣٠٢ فهرس المراجع والمصادر
٣٠٣ - ٣١٢ فهرس الموضوعات